# اشكاليات فلسفية

## آداب و فلسفة مقاربة الجيل الثاني



الأستاذ : كزواي الحاج العرابي


بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الصادق الأمين نبينا محمد و على آله وصحبه أجمعين

إن مرتكزات النظرية المعاصرة في التعلم تستند إلى مسلمات واضحة تتجلى في أبعادها المعرفية والمنهجية والتواصلية وكذلك الاجتماعية, لأن الهدف من العملية التعليمية في مادة الفلسفة هو رفع المكتسبات القبلية وإعادة تنظيمها في صيغ وبنيات جديدة, وهذا يشكل في ذهن المتعلم نسق منطقي ومنهجي يعطيه القدرة على التفاعل مع قضايا الفكر العالمي بوجود خاصية تميز الذات عن الآخر,إن تحصيل المادة كمشكلات من نتائجه بناء الشخصية الفردية المستقرة ولا يكون المتعلم وعاءا فارغا تصب فيه القوالب الفكرية والثقافية الواردة, لذلك تحد الفلسفة ومباحثها المعرفية بما تعرض من إشكاليات حصانة فكرية للمتعلم, فلا يستهلك بضاعة الغير الثقافية دون تأمل أو روية وإن بناء الفرد الجزائري غاية وهدف كل مربي ومعلم, ولا يتحقق ذلك إلا بالمحافظة على ثوابت الأمة وأصالتها, وما يعين على ذلك إستراتجية التدريس الجديدة القائمة على نظرية الكفاءات, ولها تعريفات كثيرة والأصل أن الكفاءة مصطلح عام شاع بين علماء التربية وهو يتضمن قدرة المتعلم على استعمال المهارات و المعارف الشخصية ضمن وضعيات تتضمن إشكاليات القصد تبسيطها وحلها إلى مشكلات من أجل دراستها وفهم مقاصدها, ولقد اشتغلت ضمن هذا المستوى فوضعت المادة في صورة وضعية مستمدة من الواقع البسيط ثم أفضي عليها المكتسبات,وجعلت هذا العمل كدفتر للتلميذ يستعين به, وألزمت نفسي الاختصار وذكر الأهم مع وجود عائق,وهو أنني ملزم بتتبع المنهاج والتقيد به, ولقد استقر في ذهني ضرورة إخراج هذا العمل ليخدم المعلم والمتعلم في آن واحد,فقمت بتقسيمه تقسيما ينسجم مع الإشكاليات المقررة,ومن أراد الاستزادة فعليه الرجوع إلى كتابنا من الإشكالية إلى المشكلة الخاص بالجانب التطبيقي,سيجد التلميذ غايته إن شاء الله تعالى,وهكذا نكون قد جمعنا بين ما هو نظري خالص,وبين ما هو عملي تطبيقي,ولا يسعني في الأخير إلا أن اشكر الأخ والصديق توفيق الحاج عيسى عما قدم وبذل لإخراج هذا العمل كما نحب ونريد,ونعتذر عما وقع من الخطأ والنسيان.

والله من وراء القصد أولا و آخرا

الحاج العرابي كزواي

الأغواط في : 04 / 2 / 2025 م

## الميدان: في إدراك العالم الخارجي
## المشكلة الأولى: في الإحساس والإدراك

ـ تمهيد : إدراك العالم الخارجي إشكالية الإنسان الحاضرة في وجوده ووعيه المطرد بتفاعل المعطيات الخارجية وهذا يطرح المشكلة التالية : لماذا يختلف البشر ويتناقضون في إدراكاتهم وهذا يقود لتأسيس ثلاث مستويات عامة هي :

1. الإدراك الواقعي ومثاله أن يقول التلميذ أنهض صباحا وأذهب لدراستي.
2. الإدراك الافتراضي ومثاله أن يقول التلميذ لا أذهب لدراستي وسيخلفني الأصدقاء ويتولون كتابة دروسي.
3. الإدراك الوهمي ومثاله أن يقول التلميذ أنا لا أذهب إلى المدرسة فهي لا تفيد في شيء وأنا أمتلك من المؤهلات والقدرات ما يجعلني في غنى عنها.

ـ هكذا يكون الإدراك الواقعي يعكس قيمة الفعل, إلا انه لا يتحقق بداية إلا بوجود الإحساس.

### I ماهية الإحساس :

ـ الوضعية:" عندما أرى الألوان, وأسمع الأصوات, و أشم الروائح, وأذوق الطعم وألمس الأشياء هذه الإحساسات تتشكل من معطيات أولية لا تبلغ درجة المعرفة بعد".

ـ التفسير: إذا رجعنا إلى البداهة والتصور العام نجد أن الإحساس إحدى الوظائف الحيوية التي تحدث التكيف العام لدى الكائن الحي , فلا عيش ولا حياة طبيعية دون وجود حواس تمارس وظائفها بشكل طبيعي ومنسجم مع الوظائف الأخرى.

ـ التعريف الاصطلاحي للإحساس:

a. قال ابن سينا :" فاني إنما أعرف أن لي قلبا ودماغا بالإحساس والسماع والتجارب".
b. قال الجرجاني :" الإحساس إدراك الشيء بإحدى الحواس ." ولفظ الإدراك يعني عنده المعرفة .
c. عرف الفلاسفة الإحساس بقولهم :" الإحساس ظاهرة نفسية متولدة من تأثر إحدى الحواس بمؤثرها .".
d. عرفه علماء النفس بقولهم :"الإحساس ما جاء عن طريق الحواس".

e. عرفه علماء الفزيولوجيا:" كل خبرة تستثار خارج الجملة العصبية".

أولا:وظيفة الإحساس والإطلاع على العالم الخارجي:

ـ الوضعية:" أثبتت تجارب علم النفس التجريبي أن الإنسان إذا كان يحمل100غ فإنه يحس بالفارق إذا بلغت الزيادة5غ فما فوق وإذا كان يحمل 10كغ فإنه يحس بالزيادة إذا بلغت500غ فما فوق هكذا تكون العتبة الفارقة نسبة ثابتة مقدارها1/20, وهي ثابتة بين شدة المثير الأول والتغير الحاصل في الحس ."

ـ التفسير: علم النفس والسيكولوجية المعاصرة تخلت عن التحليلات الفلسفية الكلاسيكية القائمة على منهج تطابق الفكر مع ذاته إلى منهج تطابق الفكر مع الواقع وهذا تجلى عند علماء النفس التجريبي أو ما يعرف بسيكولوجية الوظائف التي جعلت إمكانية قياس الإحساس متاحة وممكنة وخاصة مع وجود علوم مساعدة كالعلم البيولوجي والفيزيائي وغيره.

ـ نظرية علماء النفس التجريبي وإمكانية قياس الإحساس :

ـ الإحساس ينشأ عن الحواس وبالتالي هو ذلك النشاط الأولي والمتعدد فالكائن الحي يستقبل كماُ لا متناه من الإحساسات وتكون النتيجة أنه متعدد وبسيط ومركب في آن واحد , ولبيان ذلك نضرب مثلا :" يدق الجرس فيشرع التلاميذ في الانصراف ." سمع التلاميذ الجرس, هذا معطى حسي أولي يتبعه مباشرة ذلك الإدراك الواعي الذي أعطى لكل تلميذ القدرة على إدراك عالمه الخارجي, وهذا يجعلنا نسجل الملاحظات التالية:

1. الطابع الأولي البسيط لوظيفة الإحساس لأنه لا يحتاج إلى واسطة بين المؤثر فالجرس ينتقل إلى الأسماع مباشرة مثله مثل صوت الأذان الاستثناء الوحيد هو وجود الإعاقة الحسية, وهذا ندركه مباشرة في سلوكيات الكائن الحي فنجد أن الإعاقة تحول دون بناء معرفة حسية فالأعمى يفتقد الإحساس بالألوان, والأصم يفتقد الإحساس بالأصوات.
2. الإحساس له طبيعة أولية وبسيطة, التلميذ لا يحتاج لجهد خاص وإرادة نافذة حتى يستوعب عالم الحس عنده فهي تتواتر في حياته الواعية بشكل مباشر.
3. الإحساس نشاط أولي ومتعدد فهو ينحل إلى مجموعة لا منتهية من الإحساسات , في القسم يسمع التلميذ صوت الجرس وحركة زملائه وجلبة الساحة وتسارع حركة الخروج وهكذا.

ـ نظرية العالم الألماني هلموهلتز Helmholtz : ألح على الطابع الذاتي والأولي للإحساس, بمعنى إنه الشعور بالتغير الذي يحدث في العضو الحسي وليس صورة للشيء الخارجي, وهي ترفض تصور

القدماء للإحساس القائل :" الإحساس قبول صورة الشيء مجردة من مادته ." وهذا الاعتقاد ساد في الفلسفات الكلاسيكية اليونانية والإسلامية واتفقوا على أنه صادر إعمال العقل, مثلا أقول هذا قلم أحمر, هذا في صورته الأولى رد فعل عقلي عن معطى حسي مباشر ويمكن فهمه بمبدأ الثنائية الذي نص على أن الإنسان في ماهيته الأولى نفس ثم جسم والنفس الناطقة تؤلف بين الأجزاء , فقولي هذا قلم أحمر هو في جوهره حكم عقلي ويرد علماء النفس الفيزيولوجي لا يؤلف الإحساسات من العدم, و لو مكث جدلا أعمى ألف سنة ما استقر في ذهنه اللون, قديما تنبه ابن سينا لذلك فقال:" قبول صورة الشيء مجردة من مادته فيتصورها الحاس." الإضافة هنا يتصورها الحاس,وهو لم يحل المشكلة لأنه وضع الإحساس في المرتبة الثانية بعد إعمال العقل.

ـ قياس الإحساس: اعتقد لايبنتز أن هدير البحر ما هو إلا مجموع أصوات الأمواج وهذا خطأ لأن الإحساس يظهر ويتحقق عندما يبلغ المثير درجة مقاسه ,لأن هناك عتبة فارقة تحدد بداية ونهاية الإحساس وكذلك طبيعته.

1. عتبة الإحساس: إذا راجعت الوضعية تجد كيف أثبت علم النفس التجريبي أن هناك عتبة عندها يبدأ وينتهي الإحساس فنحن لا نسجل بحواسنا إلا ما بلغ حدا من الإثارة فالحاسة عندنا لا تستقبل الهمس لأنه خافت ولا تستقبل حركة الكون القريب فلا نطلع مباشرة على ضياء الشمس و الانفجار الهائل الحاصلة فيها.
2. العتبة الفارقة: أثبتت سيكولوجية الوظائف وعلم النفس التجريبي أنه من كان يحمل 10كلغ لا يجد زيادة إلا إذا بلغ الفارق 500غ وعلى ضوء التجارب نثبت أن العتبة الفارقة هي 1/20مع العلم أن لكل نوع من الإحساس نسبة ثابتة بين شدة المثير الأول والتغير الأدنى وهذا ما صاغه فيبر Weber. ف.س/ س= ثابت.
3. قانون فيخنر Fechner "1801 –1887" : درس النتائج السابقة وأعاد صيغة قانون فيبر بشكل رياضي , القانون نص على ما يلي : "لكي يزداد الإحساس

ثانيا : آلية الإحساس ثلاثية التركيب .

ـ الوضعية:" تجتمع العائلة مساء يرن الهاتف, فينتبه الوالد, ويقوم بعملية الفتح ويتلقى المكالمة, ثم يتهيأ للخروج, ويعلم الأسرة بأنه مضطر للخروج والذهاب لأن الجدة تحتاج إلى عناية خاصة ويجب أن تنقل إلى المستشفى".




ـ التفسير: الإحساس شرط من شروط الإدراك ولازمة من لوازمه, أما مسألة البحث في تقدمه وصور تعاقبه في ساحة الوعي فهي من مشكلات الفلسفة الكلاسيكية سنظهرها في موضعها لما نحدد ماهية الإدراك ووضعه في الأنا ونكتفي الآن بتسجيل ثلاثية التركيب في ال النفس التجريبي.

ـ آلية الإحساس الثلاثية :

1. مرحلة فيزيائية: وهي تأثير الأشياء في الأعضاء الحسية كتأثير الأشكال والألوان والأصوات.
2. مرحلة فيزيولوجية : وهي العلاقة الحاصلة بين الأعصاب والمراكز الدماغية.
3. مرحلة نفسية: وهي الحالة الشعورية القائمة على ردة الفعل المؤدية إلى الاستجابة.

ثالثا: الإحساس واحد ومتنوع في نفس الوقت.

ـ الوضعية:"صاحب محل يكتشف مدى التنوع في البضائع, أمام هذا التنوع يقرر أن يعيد عملية الترتيب والتصنيف, فيقسم المحل إلى أقسام. قسم العطور والروائح, وهذا يلبي الحاسة الشمية, وقسم الثياب, والألبسة, وهذا يلبي الحاسة البصرية, فاكتشف أنه إذا وازن بين متطلبات الحواس وحاجة الناس, يحدث عملية تفاعل فيستجيب الناس, ويقبلون على الشراء".

ـ التفسير: إن الإحساس ظاهرة حيوية لا تأتي من العدم والفراغ بل هي نسق عام تقوم به العضوية لأن التكيف البيولوجي الحسي أداة الكائن الحي في إدراك العالم الخارجي ومن ثمة التفاعل والتواصل معه ومن ثمة نحصل النتيجة التالية :

ـ إن الإحساس حادثة سيكولوجية تتم بشروط فيزيائية وأخرى فيزيولوجية, المستهلك يستجيب للبضاعة لما نحدث الأثر في إحدى حواسه, وقد نستعين بعلوم مساعدة كعلم الصوت أو علم الألوان أو تطبيقات نظريات الديكور, ونجد ذلك في المراكز المستقبلة كالفنادق والمحلات التجارية الراقية.الحاسة لا تنفصل عن الوظائف العليا فهي تعمل بشكل منسجم وهذا يحقق إمكانية الفصل

بين العالم الداخلي, وهو عالم الوعي, والعالم الخارجي وهو عالم المحسوس, الطفل مثلا يستجيب لعالمه الداخلي بوجود الإثارة الحسية.

رابعا : من الظاهرة الحيوية إلى الظاهرة النفسية.

ـ الوضعية:" في حلبة السرك يستطيع الممرن أن يكيف سلوك الحيوانات بما تقتضيه ضرورة العرض, فتقوم الحيوانات بسلوكيات ملتوية, وهذا يبرهن على قدرة الممرن على إخضاع السلوك".

ـ التفسير: إحساس الحيوان مهما بدا معقدا فهو لا يخرج عن سلوكيات متعودة, نفسرها بنظرية المنعكسات الشرطية التي وضعها العالم الروسي بافلوف, فمثلا لما يقرن بين الجرس وتقديم الطعام يستجيب الحيوان ويكتسب في سلوكه آليات حركية قابلة للاستثارة و أما الممرن فهو كانسان

يمتلك من الوظائف ما يؤهله للقيام بحركات, واستجابات حسية مدعومة بمؤهلات تعكس الإبداع, مثلا فهو يستعين بأدواته الحسية ويتجاوز لحظات الضعف والخوف لأنه يمتلك القدرة على التحكم في الزمان والمكان وتكون النتيجة كما يلي:

1. الإحساس ظاهرة حيوية, غايتها المحافظة على البقاء والنوع.
2. عدم إمكانية الفصل بين الإحساس والانطباع النفسي القائم على قوة الشعور وبقية الوظائف كالذكاء والتخيل والتذكر وهكذا.

خامسا: الإحساس غير قابل للقياس.

ـ الوضعية:" عادل طالب علم جزائري يحب وطنه ويدافع عن هويته وثوابته الإسلامية والعربية ومع ذلك فهو ملم بثقافة الغير,زار مجتمعا غربيا وكان ذلك من باب السياحة,تأمل حياتهم الاستهلاكية المادية وشاهد نمطية الحياة القائمة على الذاتية والأنانية وكيف أن عالم الحس الكامن في الشهوات يطغى على سلوكياتهم وكيف أن وسائل الإعلام تتحكم في أذواقهم وحتى ميولهم وقناعاتهم, فحمد الله على نعمة الرضا والطمأنينة والسكينة التي لا تفارقه, وتذكر الحياة الجميلة في الجزائر القائمة على البساطة التي تملا حياة الناس سعادة وهناء."

ـ التفسير: الاعتقاد بأن الإنسان مجرد آلة منضبطة على قواعد الحس مفارقة لإنسانية الإنسان نفسه, لأن عالم الحس مجرد أدوات تحدث ذلك التفاعل الحيوي ويبقى جوهر الحياة كامن ضمن معطيات الوعي وقواعد الإدراك.

ـ النظرية الحدسية وكيفية الإحساس:

ـ يعتقد الفيلسوف الفرنسي المعاصر هنري برغسون أحد مؤسسي الاتجاه الحدسي وهو عرفان من نوع خاص مثيله عرفان الغريزة وظيفته أنه ينقل الإنسان إلى باطن الشيء ويطلعنا على حقائقه المفردة لا تعبر عنه الكلمات وهو مناقض للمعارف المنطقية وكذلك التحليلية التي تقف على ظاهر الشيء

وعبر عن ذلك بقوله:"الحدس هو التعاطف العقلي الذي ينقلنا إلى باطن الشيء,ويجعلنا نتحد بصفاته المفردة التي تعجز اللغة عن التعبير عنها." وهكذا تكون الحدسية Intuitionnisme مذهب فلسفي يعرف بأن الحدس معرفة شعورية مباشرة متقدم في تكوين المعرفة التي تقود إلى إدراك العالم الخارجي, لذلك يكون الإحساس حادثة نفسية واقعة في الأنا تتم بشروط فيزيائية وأخرى فيزيولوجية ويعتقد باستحالة قياس الكيفية و انتقد فيخنر وبين أن الإحساس كيفية خالصة وأن ما نسجله هو في الحقيقية هو ردود الفعل التي تقوم بها العضوية لا غير.

## II الإدراك كمعرفة عقلية تطلعنا على حقيقة العالم الخارجي:

ـ أولا: الإدراك وفعاليات العقل العليا:

ـ لاحظ الوضعيات التالية :

ـ الوضعية1: " أدرك لون الكتاب, ودقات الساعة, ورائحة الزهر وطعم الأكل وصلابة القلم".

ـ الوضعية2: " بعد سماع الأذان يدخل محمد المسجد لأداء الصلاة فيدرك قداسة المكان, فيأتي بتحية المسجد, ويستقبل القبلة..".

ـ الوضعية 3: " سمع التلاميذ الجرس فأدركوا نهاية الحصة."

ـ التفسير: الإدراك من الوظائف العقلية الأولى التي تتيح المجال أمام الأنا لكي تدرك عالمها الخارجي وتتفاعل معه لذلك عرفته المعاجم اللغوية العربية بأنه هو اللحاق والوصول, ويقال أدرك الشيء بلغ وقته وانتهى وأدرك الثمر يعني نضج, وأدرك الطفل بلغ التمييز والرشد.

ـ ماهية الإدراك: له تعريفات اصطلاحية من أهمها.

1. قال القدماء: "من أدرك الشيء ببصره رآه, ومن رآه وعى جوانبه وأبعاده".
2. عرفه لالاند بقوله:"هو الفعل الذي ينظم به الفرد إحساساته الحاضرة مباشرة, ويفسرها ويكلمها بالصور والذكريات, ويبعد عنها بقدر الإمكان طابعها الانفعالي, أو الحركي مقابلا نفسه بشيء يراه بصورة عفوية تتميز عنه واقعيا, ومعروفا لديه في الآونة الراهنة".
3. عرفه علماء النفس المعاصر:" وظيفة نفسية تنتظم بها الإحساسات."

ـ ثانيا: إدراك ما وراء الإحساس.

الوضعية: تعليق صحفي:"في مدينة بومرداس أدرك السكان الخطر المحدق الذي تحدثه الزلازل, إن من يشاهد الخراب يعرف أن أمرا جللا قد وقع".

ـ التفسير: الإدراك عند الفلاسفة وظيفة عقلية عليا يكتشفها الإنسان في حالات الوعي المصاحبة لسلوكياته وهي تنتج مباشرة من اندماج الفرد في واقعه القائم على تواتر الحالات الشعورية التي تتجلى له كومضات ضوئية في عمقه السيكولوجي.

1. حالة الهلع والخوف والهروب, سلوكيات تعكس الخلل الحيوي وهي حالات مشتركة بين الإنسان والحيوان.
2. الإنسان بما يمتلك من التصورات والأحكام العقلية المجردة فاستوعب الواقع بطريقته, وبدأ في تسجيل الوضعيات والتعليق عليها, وذلك بصيغ استفهامية, عمقت المشكلات وحولتها إلى إشكاليات, كأن يقول القائل, متى يتعلم الجزائري أساليب البناء المقاومة للهزات الأرضية.

ـ ثالثا: إدراك ما وراء المعرفة.

ـ الوضعية:" أظهرت التحقيقات الصحفية مدى التهاون والتساهل في هندسة البناء, وكيف أن المساكن تحطمت, وتلاشت وهوت على الأرض, وكأنها صنعت من ورق, إن هذه المشاهد المثيرة عجلت بتأسيس لجنة علمية وظيفتها التحقيق والمتابعة".

ـ التفسير: الإدراك من الوظائف العقلية العليا, فهو خاصية إنسانية يقول ديكارت:"أنا أدرك بمحض ما في ذهني من قوة الحكم ما كنت أحسب أني أراه بعيني."والوضعيات المباشرة في الحياة العامة تبين ذلك وتفسره ونقدم نماذج شارحة:

1. التلميذ لا يكتفي بالنظر والتحديق في موضوعات الامتحان, بل يشرع في فك العناصر وبناء فرضيات الإجابة.
2. الطبيب لا يكتفي بما سجله حسه من أعراض مرضية, بل هو يشرع في وضع فرضيات مشروعة تساهم في تشخيص الحالة.
3. المهندس لا يكتفي بفك الرموز الهندسية الرياضية بل يسقط ذلك على الواقع الحسي.

ـ ونصل إلى النتيجتين التاليتين:

ـ الأولى: وهي وجود صورة إجمالية كنظرة التلميذ إلى وثيقة الاختبار, أو نظرة الطبيب للأعراض المرضية, ونظرة المهندس لوضعية السكن,ويتم الاستعانة بخاصية التحليل, ثم الانتقال إلى عملية التركيب,لأن حل معادلة رياضية مثلا يحتاج إلى فهم الجزئيات ثم بناء الكليات.

ـ الثانية: امتلاك القدرة على التأليف بين الوظائف العليا قال برغسون:"الإدراك تذكر." ويمكن أن نوسع هذا القول فنقول:"الإدراك تذكر, وتخيل, وشعور, واتصال, وانفعال وهكذا".

ـ هكذا يكون الإدراك وظيفة إنسانية صادرة عن العقل, لا تنفصل عن الوظائف العليا التي تشكل عالم المعرفة.

ـ رابعا: نسبية المعرفة في إدراكنا الحسي.

ـ الوضعية:"بعد ظهور قوائم الناجحين استغرب الأساتذة إخفاق أحد الطلبة النجباء, وبعد الاستفسار والتحري, تبين أنه قد أخفق في فهم السؤال, فترك المشكلة المطروحة وهي وظائف اللغة, وأجاب عن العلاقة التبادلية بين اللغة والفكر".

ـ التفسير: لا يستطيع الإنسان أن يمنع نفسه من الخطأ والزلل حتى ولو استحضر قوة الذات, لأن هناك عوامل متداخلة تفسر هذا الخطأ وتبرره.

لقد أخفق الطالب لوجود العوامل التالية:

1. عوامل موضوعية: لها صلة بالموضوع المدرك نفسه أخطأ التلميذ في الإجابة, لأن الموضوع المقترح فيه التباس, ويأتي هذا من طريقة الوضع, والتقديم, وشكل اللغة, وتناسبها مع الموضوع وهذا القسم اهتم به علم النفس الغشتاليتي.
2. عوامل نفسية وعقلية: وهي تتعلق بالذات المدركة كالحالات الشعورية والانفعالية.
3. عوامل اجتماعية: وتتحدد بما يتلقاه الفرد من مقتضيات البيئة الاجتماعية, وما تمليه الأسرة من قيم ومثل تحدد وضع الأنا يقول علماء الاجتماع:" الفرد ابن بيئته".

ـ خامسا : للإدراك أخطاء وأمراض.

ـ الوضعية:" يتعجب الناس من عروض السرك, وخاصة ما تعلق بأعمال الخفة, فنحن نشاهد الأجسام تقطع, وتضرب بالسيوف, ونشاهد غياب الأشخاص والأشياء, وكلها تثير الدهشة والانبهار".

ـ التفسير: الإدراك من التعقيد والتداخل ما يجعله عرضة للخطأ, الناتجة عن أخطاء الحواس, أو الأحكام الذهنية, إن العامل في عروض الخفة يستعين بصناديق خاصة ومرايا عاكسة ويستعين بالإضاءة حتى يتوهم المشاهد أن ما يرى هو الحقيقة ذاتها.

ـ أخطاء الإدراك:

1. الخداع البصري ما نشاهده في الإعلام من تعاقب الصور والحركات.
2. تنخدع الحواس فيغيب التمييز فنتوهم القادم صديقا ونكتشف بعد حين الخطأ.

3. الخداع الحركي ونلاحظه واضحا في أخطائنا اليومية كأن نخفق في تقدير مسافة المرور والزمن أثناء تجاوز ممر أو قطع طريق.

4. أمراض الإدراك وهي لا تنفصل عن أمراض الشخصية وفيها يفقد المريض القدرة على التكيف كأمراض الهلوسة و الهستريا وخير مثال الهرم وفيه يفتقد التواصل الحقيقي مع العالم الخارجي وقد يصل فيه الإنسان لمرحلة خرف الشيخوخة.

سادسا: المدرسة الذاتية والعملية الإدراكية.

- الوضعية:" في مشاهدة وثائقية تلفزيونية لأحداث 11 سبتمبر, كان من الصعب أن نفصل بين الإحساسات والإدراك المصاحب للفعل, ويطرح السؤال هل مناظر الواقعة في شدتها وقوتها كانت أقوى ؟ أم أن الواقع النفسي كان أشد وأعظم؟ ."

- التفسير: نفهم منها أن التداخل بين الإحساسات والإدراك موجود إلا أن المدرسة الكلاسيكية ارتأت أن إمكانية التمييز ممكنة لأنها تعتقد أن بناء الصيغة الإدراكية يكون بالانتقال من الجزء إلى الكل.

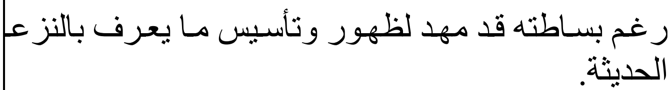
- المدرسة الكلاسيكية والبناء الذاتي للإدراك: الفكر الكلاسيكي تصور عام ينضوي تحت مسلمات التحليلات الأولى ويقتنع بالتصور الماورائي للوظائف العقلية العليا وفي مقدمتها بناء الصيغة الإدراكية وسجل مؤرخو الفلسفة الحديثة ذلك السجال الطويل بين المدرستين العقلانية والحسية واختلفوا في أيهما متقدم في الذات العقل ؟ أم الحس ؟

سابعا: الإحساس والإدراك المجرد.

- الوضعية:" عرف عالم اللعب نقلة حقيقية بإبداع طريقة حديثة في التسلية, وهي آلية الجمع ,والتأليف بين الأجزاء, تقدم مجموعة من القطع القابلة للتركيب, فيستعين اللاعب بعقله وحسه فيركب أشكالا مختلفة ومتنوعة, إنه قد أحدث عملية تجريدية بنائية".

- التفسير: الفكر الفلسفي الكلاسيكي هو امتداد للفكر اليوناني الذي اعتقد أن الأرض مركز الكون وأن العقل جوهر الإنسان وماهيته به يؤلف بين الأنسقة العقلية والمعطيات الحسية وهو المتقدم دائما .

- الوضعية والتفسير يلخصان موقف النزعة الذاتية في الإدراك القائمة على ضرورة الفصل بين الإحساس والإدراك, وتجاوز فلاسفة اليونان كأفلاطون وأرسطو وغيرهم سطحية وسذاجة التصور السوفسطاني الذي قال به جورجياس و بروتاغوراس قبلهم وملخصه أن الإنسان مقياس كل شيء وتفسيره أن حواس الإنسان هي التي تحكم على الأشياء بالحسن و القبيح وهذا



رغم بساطته قد مهد لظهور وتأسيس ما يعرف بالنزعة الحديثة.

ـ الصيغة الإدراكية ببين العقل والعقلانية:

لاحظ هذه الوضعيات:

ـ الوضعية الأولى:" حتى يتعلم التلميذ مبادئ الهندسة يجب أن يعي فكرة الامتداد, وأساسها الأول تعريف النقطة و هي شكل هندسي لا بعد له, فيتعرف على المستقيم, ثم على المضلعات هكذا ينتقل من البسيط إلى المعقد لأنه يمتلك القدرة على التأليف ".

ـ نظرية ديكارت: يميز بين الأفكار التي هي أحوال نفسية موجودة داخل الذات أي النفس, والأشياء المادية التي هي امتدادات موجودة خارج الذات, وهكذا يكون الإحساس كحالة ذاتية غير ممتدة وتكون النتيجة أن إدراك شيء ممتد إنما يكون بواسطة أحكام تفضي على الشيء صفاته وكيفيته الحسية.

ـ هكذا يدرك المكان إدراكا عقليا خالصا ويفسر بالقدرة على التجريد الخالص وهو انتزاع الشيء من مادته.

ـ الوضعية الثانية:" يرى باركلي أن تقدير مسافة الأشياء البعيدة جدا ليس إحساسا, بل حكم مستند إلى التجربة الذهنية, إن الطفل يجد أن بيت جدته قريب لقربه من نفسه, وإن بعدت المسافة, ويجد المدرسة التي يتلقى فيها الدعم مساء الاثنين بعيدة, وإن قربت المسافة, لأن الإدراك هنا واقع في عقله لا في حسه.استطاع الجراح الإنجليزي شيزلندن Cheselden بعد باركلي بحوالي عشرين سنة و يبين صدق موقفه, لما أعاد لاكمه بصره,لما لاحظ أنه لا يمتلك أية فكرة عن المسافة البصرية, فالشمس والنجوم والأقرب والأبعد كلها انطباعات نفسية لا حسية".

ـ نظرية باركلي: "1684ـ 1753 م " فيلسوف ايرلندي صاحب نزعة مثالية نظر إلى ظواهر العالم المجردة حتى أنه كاد ينكر وجود المادة فهو يقول :" إن تقدير المسافة البعيدة جدا ليس إحساسا بل حكم يستند إلى المعايشة ." مما جعله يعتقد أن الأكمه الذي ولد أعمى أنه إذا استعاد بصره لا يمكن أن نجد عنده فكرة حول المسافة البصرية, لأن العالم يكون عنده مخزونا في عقله ويكون مفهوم البعد عنده تصورات وعلاقات منطقية مفارقة للحس , إن الطفل مثلا يجد أن بيت جدته قريب لقربه من نفسه, وإن بعدت المسافة, ويجد المدرسة التي يتلقى فيها الدعم مساء الاثنين بعيدة, وإن قربت المسافة, لأن الإدراك هنا واقع في عقله لا في حسه واستطاع الجراح الإنجليزي شيزلندن Cheselden بعد باركلي بحوالي عشرين سنة أن يبين صدق موقفه, لما أعاد لاكمه بصره بعد عملية جراحية ,لما لاحظ أنه لا يمتلك أية فكرة عن

المسافة البصرية, فالشمس والنجوم والأقرب والأبعد كلها انطباعات نفسية لا حسية.

ـ نظرية الفيلسوف آلان : "1868 ـ 1951 م " لاحظ أن المكعب الذي نراه ونلمسه ونقلبه على مختلف أوجهه لا نراه, ولا نلمسه كله, فنحن لا نرى منه على الأكثر إلا تسعة أضلاع من بين أضلاعه الإثني عشر, وثلاثة سطوح من بين ستة, ومعنى هذا أن المكعب يتم إدراكه بالعقل أولا والحس ثانيا .

ثامنا: المعرفة بالجزئيات والمعرفة بالكليات والبحث عن القيمة.

ـ الوضعية:" لما شاهد الناس أحداث إحدى عشر سبتمبر, اعتقدوا إنه مجرد عمل مسلح استهدف دولة عظمى, أما علماء السياسة والفلاسفة فقد اعتبروه نقطة تحول في السياسة العالمية."

ـ التفسير: على ضوء الوضعية السابقة ندرك أن المعرفة الإدراكية هي جهد إنساني يتم فيه الانتقال من الأجزاء و الذرات إلى الكليات, لأن هناك تمييزا واضحا عند المدرسة الكلاسيكية بين المصطلحين إحساس وإدراك وكلنا نتذكر طريقة التعلم في المدارس القرآنية في الجزائر,حيث يبدأ الطفل بحفظ الحروف, ثم يشرع في حفظ السورة آية آية, ثم يشرع بالتكرار, ثم يقوم بعملية التأليف والجمع, وهذا يحقق المعادلة في المعرفة وهي الانتقال من المعرفة الظنية إلى المعرفة اليقينية ونصل إلى النتيجتين التاليتين :

1. الإحساس وحده لا يحقق معرفة مجردة.
2. الإحساس هو إثارة للعقل للقيام بعملية التجريد.

- أنصار المذهب العقلي منذ العهد اليوناني إلى الآن اعتقدوا اعتقادا جازما بإمكانية الفصل, وأضافوا مبدأ القيمة,إن الإحساس عملية ظنية لأن الحاسة قد تكذب, أما الإدراك فهو معرفة يقينية لأن العقل معيار للصدق والكذب, وهذا الموقف يرتد إلى مبدأ الثنائية القائل:"إن ماهية الإنسان نفس ثم جسم." قال ابن سينا:"إن النفس تدبر الجسم".

ـ التيار العقلاني قديما وحديثا تعرض لانتقادات وخاصة لما جزم بثنائية الإنسان ثنائية النفس والجسم وبالتالي يكون الإدراك هو المتقدم والمتموضع في النفس الناطقة الآمرة الناهية لعالم الحس,ويثبت علم النفس المعاصر أن الأنا هي محتوى لكل الأحوال وأن الأخذ بالنظرة الذرية التي تقود الشخصية حتما لتحللها وانفصامها.

ـ تاسعا: الحواس مصدر لكل معرفة.

ـ الوضعية: تكلم أحد الناجين قائلا:" لقد شاهدنا النيران تلتهم أقساما مهمة من الغواصة, وسمعنا الصراخ المنبعث من قسم المحركات وهو صادر عن عمال الصيانة, ومع تناقص نسب الأوكسجين, كان الاختناق هو سيد

الموقف ,و بعد انطفاء المصابيح حاولت أن ألتمس بيدي مخرج النجاة, بعد كل هذا أدركت أن حظي من النجاة يتضاءل شيئا فشيئا".

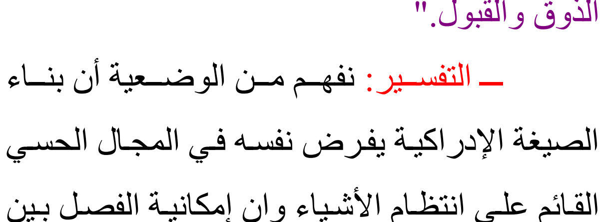
ـ التفسير: الإطلاع على العالم الخارجي لا يتم إلا بقوة الحاسة الفاعلة وقديما قال الفلاسفة:" من فقد حاسة فقد معرفة." والتيار الحسي في الفلسفة يأخذ بمبدأ التمييز لا على أساس الطبيعة أو القيمة, بل انطلاقا من درجة الانطباع الحسي الصادر عن درجة وتعقيد المؤثر لأن الحاسة هي نافذة الإنسان التي يطل بها على العالم الخارجي وعرف هذا التيار طورين تاريخين هما:

1. المدرسة الرواقية: فلاسفة يونان, من أشهر فلاسفتهم زينون الإيلي أنزلوا العقل من مثاليته كما أراد له أفلاطون وأرسطو,وجعلوا التجربة الحسية مقياسا للمعرفة.
2. المدرسة الحسية الحديثة: إلا أن التصور الحسي جاء في الفلسفة الحديثة مع تأسيس النزعة الحسية التجريبية,وهي مدرسة في الأصل إنجليزية من مؤسسيها د.هيوم1711_1776".يرى أن المعرفة تأتي عن طريق الحواس وترابطها الذي يبني عالم الفكر والمعرفة ويكون بفعل قوة الحاسة ويبين جون لوك ذلك بقوله:"إن المعاني الفطرية إنما هي مرآة عاكسة لما تقدمه الحواس". ويقول كذلك: " إن البرهان الوحيد على أن الشيء مرئي هو أن الناس يرونه بالفعل." هكذا يكون فعل الحواس في إدراك العالم الخارجي قائم على تقدم الخبرة الحسية وتراجع الفطرة وهذا الموقف رغم بساطته الفلسفية إلا أنه ساهم في ظهور فلسفة حديثة ساهمت في وضع الصيغة الإدراكية ضمن تواتر عالم الحس في الذات الواعية.
3. الصيغة الإدراكية بين نسقية العقل والعقلانية: الأخذ بالذاتية والنظر للإدراك على أنه وظيفة من الوظائف العقلية العليا يحل معضلات كثيرة ومن أهمها ببناء المعرفة وتحصيلها وهذا ندركه واضحا جليا فحتى يتعلم التلميذ مبادئ الهندسة يجب أن يعي فكرة الامتداد,

وأساسها الأول تعريف النقطة وهي شكل هندسي لا بعد له فيتعرف على المستقيم, ثم على المضلعات هكذا ينتقل من البسيط إلى المعقد لأنه يمتلك القدرة على التأليف ولقد عرفنا كيف ميز ديكارت بين الأفكار التي هي أحوال نفسية موجودة مستقرة بالفطرة في النفس وعالم الأشياء المفارقة للتصورات.

عاشرا: الطابع الأولي لإحساساتنا لا يلغي قوة الذهن.

ـ الوضعية:" إن فن المنمنمات وروائع محمد راسم للوهلة الأولى تفرض نفسها على المشاهد, إنها تعكس صورة الإبداع, والقدرة على التأثير المباشر فأنت لا تحتاج إلى القدرات الذهنية الخاصة أو اتساع عالم الإدراك الحسي, حتى تنطبع في نفسك وتحدث ذلك الأثر الهائل في





الذوق والقبول."

ـ التفسير: نفهم من الوضعية أن بناء الصيغة الإدراكية يفرض نفسه في المجال الحسي القائم على انتظام الأشياء وان إمكانية الفصل بين عالم المعقول والمحسوس يبدو مستحيلا لأن إدراك العالم الخارجي هو تناغم وانسجام بين القوتين الفاعلتين ونسجل النتائج التالية:

1. إن الإدراك جهد إنساني تشترك فيه الوظائف العقلية .
2. إن فعل الحواس قوة دفع حيوية تبني الإدراك وتجدده.

الوعي يصاحب الذات المدركة ويمكنها من قوة التمييز.

إحدى عشر: تأسيس المدرسة الغشتالتية.

ـ الوضعية:" gestalt كلمة ألمانية من مفرداتها الكل, الشكل, الصورة, لذلك اختلفت الترجمات: نظرية الشكل, المجال, الصورة, تأسست سنة1910 في برلين ومن مؤسسيها: فيرتهيمرWertheimer,

وكـوهلر koehler, وكـذلك كوفكـا Koffka بدايــة انتقـدت النزعــة الذاتيــة ورفضت أن يكون الإدراك مجموعة إحساسات أو عملية تأليف يقوم بها الذهن قالوا:" الإدراك من أول وهلة هو إدراك لمجموعات ذات صور وبنيات".





ـ التفسير:الوضعية الصورة تبرز قوة الموضوع وشدته وأثره المباشر في بناء الصيغة الإدراكية وهذا ينطبق كذلك علـى اللحن الموسيقي نحن تتبين أن سماعنا قد حدث بالانتقال من الكل إلى الجزء, فنحن نستعرضـه كبنيـات ثم نجزئه إلى ذرات أي نوتات موسيقية, ونصل إلى النتائج التالية:

1. الانتقال يتم من الكل إلى الجزء.
2. إمكانية التمييز بين الإحساس والإدراك تبدو مستحيلة.
3. إن الذي يبني الصيغة الإدراكية هو شدة المجال و انتظام الأشياء.

ـ كيف تنتظم الأشياء الواردة للحس؟
ـ وكيف يتحدد مجال إدراك المكان؟

ـ وضعت المدرسة الغشتالتية قوانين الانتظام ويمكن أن نمثلها في الوقائع التي ندركها, والتي تفرض نفسها بقوة حركتها وتجسدها كأشياء, تنطبع في حسنا البصري والسمعي وكذلك اللمســـي مع وجود التتابـــع والتسلسل والتناسق الأخاذ الذي لا ينظر إليه إلا في كليته أننا نبنيها في أنفسنا كموضوع يفرض نفسه في مجالنا الإدراكي, قد نستعين بنظريات الفن لتوضح لنا الأبعاد الجمالية وفـق قوانين لانتظام, القائمة على فلسفة المنظور والقدرة على تشكيل الضلال وضبط الخطوط وما شابه ذلك و يمكن أن يتحقق في الموضوع الذي نريد إبرازه, قد نعتمد ذلك مثلا لما نريد أن نبرز كلمة أو نريد ضبط معلومة, أو تحقيق غاية معلومة يحتاجها المتعلم في كتاب مدرسي, أما الثاني فهو يعبر عن قانون الاستمرار وندرك قيمته في تعاقب الصور, أو الأصوات كما يحصل في

بناء الإعلان التجاري والشواهد تفضي إلى وجود تلك الصورة الفضلى وهذه وغيرها ينتظم بها إدراك المكان.

أثنى عشر: نشاط الذهن في الإدراك الحسي شكلي.

الوضعية:" إن اللعب الإلكترونية تجسد حقيقة التصور الغشتالتي,إن اللاعب ينطلق من خلفية حسية حركية فتنطبع عنده المشكلات ككليات تتجزأ وفق حركات الصور المتتابعة لا تعرف الانفصام و التجزؤ مع مرافقة اللحن الذي يحقق الانطباع الإدراكي حقيقة وواقعا وأحسن مثال يمكن ذكره لعبة الكرة الافتراضية".

ـ التفسير: المدرسة الغشتالتية جعلت علم الموضوع مستقل بذاته له قوانينه ومسلماته وهذا يتجلى في عالمنا المعاصر عالم السمعي البصري الذي نفذ إلى قلوب البشر فطوعها وجعلها أسيرة لمؤثراتها وخير مثال فعل الإعلان التجاري وسلطته القاهرة.

ـ هل الفكر الغشتالتي هو تجاوز لقوة الذهن ؟

ـ إذا كانت النظرية الذهنية تعتقد أن الإدراك صادر عن التربية, فإن الغشتالتية تنكر ذلك, المعرفة عندهم تفرضها حقائق الموضوع, ففي حقل التربية والتعليم لا نؤمن بوجود متعلم, بل نؤمن بوجود مناهج وطرائق تعليمية قاصرة فالطفل في الواقع يتجاوب وبتلقائية مع لعبة إلكترونية بإرادة خلاقة, فيحل الغامض, ويبسط المعقد, ويستعين بالخطأ لتحقيق الصواب, وفي حياته المدرسية يدرس المفاهيم الرياضية مثلا بطرائق موضوعية صادرة عن واقعه فيمثلها في نفسه بشكل حدسي وتلقائي فتغيب العوائق المانعة للتعلم وبعد كذا سنة من التعلم المستمر لا يعجز عن حل المسائل مهما بدت معقدة و متداخلة, وهذا ظهر بشكل واضح في الدراسات السيكولوجية التي أثبتت أن الطفل عندما يشرع في القبض على الأشياء يكون ذلك تحت توجيه البصر,لذلك نجد أن قوة الحاسة المدركة هنا متقدمة بالضرورة عن الفكر المجرد الخالص ونصل إلى النتائج التالية:

1. إن قيمة هذه النظرية كامنة في تطوير صيغ العالم الموضوعي,وبالتالي خلصت البحث من التحليلات الاستبطانية القائمة على وجود النفس كماهية عند العقليين, أو الذرية الإرتباطية عند التجريبيين الحسيين.
2. إن هذه النظرية قد قللت من وظائف المدرك وجعلته مجرد ناقل للمعلومة, إن المؤمن لا يستجيب لإعلان تجاري يروج لبضاعة حرام مهما كانت شدته وقوته و هكذا تكون قد ألغت دور الوضعيات الذهنية والحركية, وكذلك لم تفسر كيف لا تخضع الحواس الذوقية والشمية لقوانين انتظام المجال.

ثلاثة عشر: الإدراك والتعايش مع الأشياء قصدا ونزوعا.

ـ الوضعية:" في الأسواق الأسبوعية ينزع الناس ويقصدون هذه التجمعات, التي تتحول فيها الحالات البسيطة إلى ظواهر تسترعي الانتباه, ويغلب عليك وعلى غيرك الحالات الشعورية المتعاقبة, المستمدة من هذا الواقع المطرد المتغير, فأنت تشاهد كل هذا وتعجز عن تمييز الواقع من الوهم والصدق من الكذب, والعجب أننا نختار ذلك ونتعايش معه بحريتنا واختيارنا".

ــ التفسير: تأسست النزعة الظواهرية وهي فلسفة معاصرة وهو الدراسة الوصفية للظواهر كما ندركها في الزمان والمكان وهو ينظر في الحالات النفسية الشعورية كما تتجلى في الواقع و في اللغة الفرنسية هي phénoménologie أي علم الظواهر ومن مؤسسيها الفيلسوف الألماني إ.هوسرل وكذلك ميرلو بونتي وغيره.

ـ الإدراك معايشة ونزوع : يعتقد الظواهريون أن الإدراك ظاهرة تشد الوعي وبالتالي تسترعي الانتباه لدرجة أن إمكانية التمييز بين الذات المدركة والموضوع المدرك تبدو مستحيلة لذلك يقول هوسرل :"إن الإحساس هو ذلك الاتصال الحيوي بالعالم الذي يجعله لنا حاضرا بصفته مكانا مألوفا لحياتنا ومنه يستمد الموضوع المدرك والذات المدركة سمكهما و إنه نسيج قصدي يعمل السعي إلى المعرفة على تفكيكه." ويقول كذلك:" إن الإحساس غير محسوس."هذه النزعة قد وازنت بين العاملين الذاتي والموضوعي وألفت بينهما,وجعلت من القصد و النزوع رابطة, مثلا لما نختار كتابا بعينه يكون الاختيار هنا له مصدر قائم على التجربة الذاتية المجردة,التي توضع في المكان لأنها نعترف بوجود قوة حيوية وطاقة دافعة هي الشعور الذي يجعل بناء الصيغة الإدراكية خاضعة لمبدأ الإمكان.

الرجوع إلى المشكلة وذكر الأهم

إن الإحساس والإدراك علامتان للوقوف على معرفة العالم الخارجي ولا يمكن أن نصفهما بصفة الوظيفة, أو أن نبحث في إمكانية التمييز بينهما, لأنهما في الأصل مجرد افتراض لتفسير أجزاء مبهمة في حياتنا النفسية, وإذا أردنا أن نصل إلى ذلك التصور الجامع المانع يجب أن ننظر إلى الأنا في كليتها وفي انسجام وظائفها العقلية والنفسية و الفزيولوجية, مع العلم أن التمييز بين ما هو عقلي ونفسي دونه عوائق كثيرة ومع ذلك نرتب سلم الأولويات:

1. نقض التصور الكلاسيكي للإحساس وتقديم التصور الموضوعي القائم على إمكانية قياس وضبط درجة الإحساس مع عدم الفصل بينه وبين الوظائف النفسية وخاصة الوعي.
2. الإدراك من الوظائف العقلية العليا المعقدة التي تحتاج إلى آراء ونظريات شارحة مع إمكانية الفصل بين النزعة الذاتية في صورتها الفلسفية القائمة على التفسير العقلاني وكذلك الحسي والنزعة

الموضـوعية العلميـة فـي التصـور الغشـتالتي ونظريـة البنيـة وشـدة المجال.

3. الرجـوع أخيـرا إلـى الطـرح الفلسـفي المعاصـر والنظريـة الظواهريـة وفلسفة المعايشة المؤسسة على مبدأ القصدية والنزوعية.

النص

:"إن أكثر الآراء و الأعمال الجديدة إنما جاءت بها نظرية الصورة في الإدراك ,بحيث أن هذا الباب يحتل في المذهب مكانة مركزية ,لقد كان الناس في الكتب الكلاسيكية يدرسون أولا مواد ومعطيات الإحساس ثم في الأبواب التالية "تأليفاتها " في التركيب:الإدراك والذكريات والأحكام الخ. لكن إذا فرضنا الفكرة القائلة بأنه يمكن أن توجد المواد قبل كل تنظيم, كنا منذ البداية أمام بنيات. أن بعضا من أشكال التنظيم تنتمي للإدراك أصالة فهي ليست بناءات يجب وصف نشأتها . فلم يعد للوظائف المسماة عليا امتياز بالتنظيم, والمسائل المدروسة في مختلف الأبواب ينتسب بعضها إلى بعض.

ولنبدأ بتجديد "منهجنا" إن منطلق كل علم نفس - بل وحتى كل علم - هو "التجربة المباشرة" غير أنه أعطي هذا الحد أحيانا معنى خاصا وقابلا للمناقشة فقد كان يقصد به تجربة العالم النفساني المتدرب على الاستبطان التحليلي.وكان يقال أن التجربة الساذجة كانت تنخدع لبعض الأوهام, فكانت تجهل التمييز بين الإحساس والإدراك, وكانت ترتكب "خطأ المثير"وكانت تخلط "المعطيات الحسية" بالمعلومات عن شيء أي بدلالاتها وبالقيم الثانوية التي حملتها لهذه المعطيات الأولية تجربتنا السابقة وتأملنا.فكان على خبرة العالم النفساني أن تعزلها على العكس من ذلك لكي تحصل عليها بكل خواصها.

إن نظرية الصورة لا تنكر أبدا تحكم الخبرة المتمثلة المحولة إلى مفاهيم في الإدراك الراهن. فلا شك أن معنى الكلمة مكتسب وأن نفس الصوت المنطوق به قد اكتسب مختلف المعاني في مختلف الأوساط.و يمكن في ملاحظة طفل صغير الرجوع إلى أصل وتاريخ كل واحد من هذه المكتسبات.غير أنه عندما يعزى لتأثير الخبرة الماضية إدراك الأشياء والحوادث ذاته وانفصالهما في المجال الإدراكي كوقائع متمايزة,وصورتهما وتنظيمهما المكاني والزماني ,فإن هذه الفروض لا تعود معتمدة على ملاحظات.إن مثل هذه الملاحظات لم تحصل قط .وإنما يتم الاستدلال على ذلك بصفة قبلية. فتعزى بعض سمات الإدراك إلى الذاكرة لأنه "لا يمكنها" فيما يقال أن تأتي من الإحساس, فيقع الانطلاق إذن في الحقيقة من بعض "المسلمات" القابلة للمناقشة حول طبيعة هذا الإحساس."

بول غيوم

- أكتب مقالة فلسفية تعالج فيها مضمون النص.

ـ موضوعات مقترحة للمناقشة والتحليل:

" الإحساس متنوع وواحد وهذا يجعل إمكانية قياسه تبدو متاحة لعلم النفس التجريبي, الذي أراد أن يكون منهجه استقرائيا تجريبيا, مثله مثل علوم المادة." هذه الأطروحة تبدو غير سليمة, إلا أن مبرراتها متاحة.

1. هل يمكن أن تفصل بين الوظيفتين الإدراك و الإحساس.
2. "إن الإدراك صيغ و بنيات مجاله الصورة والموضوع".برهن بالأدلة على صدق هذه المقولة.
3. :"إن إمكانية التمييز بين الإحساس والإدراك تبدو معدومة".قد تبدو هذه المقولة غير سليمة,ومع ذلك توجد الأدلة العلمية والمنطقية التي تثبت صدقها.
4. هل تجد في الإحساس قصدا ونزوعا ومعايشة لواقع نعيه؟
5. الوضعية:" استلم التلميذ كشف النقاط, فأبصر العلامات ونظر إلى الملاحظات فأدرك بأنه قد حقق ما تمنى". كيف تفسر ذلك؟
6. الوضعية:



:" الفنان الجزائري العظيم محمد راسم ساهم في بناء فن المنمنمات وهو فن كلاسيكي يتجه دوما إلى الأجزاء فيلقي عليها ظلال الجمال. "

ـ أكتب مقالة فلسفية مستعينا بنظريات الإدراك لتثبت قيمة هذا الفنان العالمي.

## وضعية مشكلة تعلمية أولى

الميدان: الإنسان والعالم

المحور: اللغة والفكر.

الكفاءة القاعدية: إدراك وظيفة الخير والشر وتحديد القيمة الأخلاقية.

مؤشر الكفاءة:

1. مبحث القيم في الفلسفة.
2. التعرف على الخير والشر.
3. تحديد القيمة الأخلاقية ومعيار الحكم على السلوك.

سير الدرس

تقويم تشخيصي:

أتعرف على المصطلحات التالية:

**السند:**

الإشكالية الأولى: في إدراك العالم الخارجي.

المشكلة الثانية: في اللغة والفكر.

- تمهيد: اللغة ماهية الإنسان ووجوده وهي حلقة التواصل بينه وبين الآخر وهي عالم العلامات الذي يفضي على الحياة غايته وكذلك دلالته.

I إذا لم تكن اللغة مجرد تعبير انفعالي, ولا نشاط حيوي عام, ففيم تتمثل طبيعتها؟

أولا: أشكال التعبير الانفعالي:

- الوضعية:" كان اجتماع العائلة مساء لمشاهدة حصة وثائقية حول حياة الطيور, وشد انتباههم مدى التنوع الهائل في الأجناس والأنواع, وبدت الحيرة على وجوه الأبناء, وهم منبهرون بقدرة الببغاء على التقليد والمحاكاة, وبين لهم الوالد أنه آية من آيات الله, وأنه لا يختلف عن الكائنات الأخرى, إلا بخاصية واحدة وهي قدرته على التقليد, وهي حالة غريزية لا تعطيه مكانة أو قيمة خاصة".

- التفسير: عرف ابن جني توفي سنة392 اللغة بقوله:" إنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". وعرفها سابير Sapir بقوله:"اللغة نظام بشري غير غريزي لتبليغ الأفكار والأحاسيس والرغبات بواسطة رموز مستحدثة بطريقة إرادية". عرفها لالاند:"كل جملة من العلامات يمكن أن تكون وسيلة للاتصال".

-إن الكائن الحي بأنواعه يحدث آلية الاتصال, في نوعه كما نجد ذلك مثلا في عالم النحل اكتشف العالم فون فريش von frish , أن التواصل في هذا المجتمع يتم بلغة الحركة والإشارة, ونصطلح عليها مجازا بلغة الرقص, فالحركة عندها لها دلالات, كدلالة المسافة, ودلالة اكتشاف الغذاء ودلالة رد العدوان وهكذا واتسعت هذه الرؤية بالدراسات الفيزيولوجية التي اشتملت عالم الحيوان و تنوعه, فأثبتت الملاحظات التشريحية على عدم وجود فوارق بين الإنسان و الشامبنزيchimpanzé وهو من أنواع القردة العليا, إلا أنه يمتلك حوالي ثلاثين صوتا تحقق له لغته الانفعالية, وجاءت المشكلة فإذا كان يمتلك هذه الأصوات, فلماذا لا يدخل لعالمه الانسجام بالتواصل الحقيقي, فيقفز على غريزته, ويعبر عن مشاعره بصدق وعفوية.

- التجربة: " وضع قرد وصبي في ظروف متماثلة, في البداية استعملا نفس الوسائل, وبقي التعادل بينهما في ما بين9 و18 شهرا. ثم استقر الصبي في عالم إنسانيته, في حين استقر الحيوان في حيوانيته وغريزته".

- التفسير: في مرحلة متقدمة اكتشف الطفل عالمه, باكتشاف لغته, أما الحيوان فقد افتقد عالمه لما استقر في مجاله الغريزي.

ـ أثبت العلم الفيزيولوجي الحقيقة التالية:" الأصم بالولادة, أبكم بالضرورة". لأن في النطق نستعمل الحبال الصوتية الموصولة بالوظائف الدماغية العصبية, ونستعين بالرئتين وجميع أعضاء الفم, فإذا فقد الإنسان التواصل السمعي, فقد لغته بالضرورة, لأن السمع هو أداة تواصل مع العالم الخارجي

وبعد هذه المقاربة نصل إلى النتائج التالية:

1. إن إمكانية المقارنة بين لغة الحيوان والإنسان, وإن ظهر التشابه في الوظائف الفيزيولوجية تبدو مستحيلة.
2. مهما بدا سلوك الحيوان معقدا, فهو لا يخرج عن الفطرة والغريزة.
3. يقول عالم النفس دونالد هب:" الاتصال عند الحيوان وظائف حيوية منعكسة لا قصدية".
4. رسالة الحيوان وعلامته غير قابلة للتفكك والتحليل.

ثانيا: التعبير من التكيف إلى الوعي:

الوضعية:" في حديثه عن غزوة مؤتة روى الإمام البخاري عن أنس رضي الله عنه - أن النبي ﷺ نعى زيدا وجعفر وابن رواحه للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال:" أخذ الراية زيد فأصيب, ثم أخذ الراية جعفر فأصيب, ثم أخذ الراية ابن رواحه فأصيب وعيناه تذرفان الدموع, حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله, حتى فتح الله عليهم".

- التفسير: نلاحظ إمكانية التمييز, بين نمطين وشكلين من اللغة هما:

1. العلامات الطبيعية: نجد في عبارة عيناه تذرفان الدموع, وهي لغة طبيعية تجمع ما يلي:

الإشارات والحركات, والأصوات التقليدية, والظواهر الجسدية وهي تصاحب الانفعالات وعالم الأفكار.

2. العلامات الاصطلاحية: وهي الجامعة للرموز والإشارات المتفق عليها كرموز الجبر والكيمياء ولغة الموسيقى وغيرها.

- ما هو وضع الكلام بين العلامتين الطبيعية والاصطلاحية؟

الوضعية الأولى: قال عنترة ابن شداد مخاطبا جواده:

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحم

- التفسير: جمع بين العلامات الاصطلاحية في البيت وانتهى بعلامة طبيعية في قوله تحمحم وهو صوت الجواد الهادر في المعركة.

الوضعية الثانية: يقول الشاعر:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة محزون ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

- التفسير: العلامات الطبيعية هنا واضحة وهي بطرف العين, إشارة, الطرف وما تبقى هي علامات اصطلاحية هكذا نتبين مدى التداخل بين العلامات أي الإشارات الطبيعية والاصطلاحية.

ثالثا: اللغة خاصية إنسانية فريدة:

الوضعية:" في غزوة مؤتة أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فأبلى بلاء عظيما, حتى إذا ألحمه القتال نزل عن فرسه فعقرها ثم انطلق يشتد في قتال القوم وهو يرتجز:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وباردا شرابها

والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

علي إذ لاقيتها ضرابها

وظل يقاتل حتى قتل رضي الله عنه, ضربه رجل من الروم فقده نصفين, فوجد في جسمه خمسون طعنة, ليس منها شيء في ظهره. الرواية للبخاري.

- التفسير: إن اللغة هنا إنسانية فريدة جعلها الشاعر أداة لها معنى ومغزى تجاوز بها لحظة الضعف الإنساني, وبنا لحظة شاعرية غير قابلة للاستعادة.

- يعتبر الفيلسوف الفرنسي ج.غسدورف, أن اللغة كلمة السر التي تدخل الطفل عوالم الإنسانية و إنها وظيفة نفسية وروحية, نصل إلى النتائج التالية:

1. إنها مكتسبة عن طريق التعلم.
2. إنها من الوظائف العقلية العليا.
3. تتصف بازدواجية خاصية الكلام وهي تنحل إلى:

- أ ـ المستوى الصوتي " المخارج والأصوات"
- ب ـ المستوى التركيبي"مستوى الكلمات والجمل".

ـ هل اللغة تحمل صفة الإبداع ؟

إن لغة الإنسان لا تقارن بلغة الحيوان, فلو اجتمعت حيوانات الغابة, وأسماك البحار, ونحل الجبال, ونمل الوديان, ما اقتدروا على وضع جملة مفيدة أو كلمة معبرة, أما ذكر النملة أو الهدهد أو الوحي إلى النحل فهذا في علم الله, ولا يحق لفيلسوف أو عالم نفس أن يخوض فيه, إنما يترك لأهل العلم, العالمين بقواعد ومناهج التفسير.

II وما الأسس التي تقوم عليها بوصفها بنية رمزية تطبع نشاط الفكر وتترجم إبداعاته؟

الوضعية:"أحب عادل اللغة ومباحثها, فاستقر في نفسه أن يتعلم الأسس التي تمكنه من دراستها دراسة علمية وموضوعية, فسأل أستاذه عن الطريقة والمنهجية المساعدة على ذلك فأجابه:

ـ دراسة اللغة بوصفها علما موضوعيا متاحا بمنهجيتين وطريقتين, الأولى تتحقق بدراسة العلم اللساني بوصفه علما ينظر للغة على أنها علامة وهذا تدركه بالإطلاع على المباحث اللسانية ومقدمتها الجهد الذي قام به العلامة دو. سوسير ومن جاء بعده,أما الأخرى فلها وجود في علم النفس اللغوي الذي ينظر إلى اللغة على أنها سلوكا بشريا يقبل الدراسة الموضوعية القائمة على البحث العلمي الاستقرائي,والدارس له الاختيار بحكم تخصصه ومنطق دراسته".

ـ التفسير: إن الدراسة الموضوعية للغة تقوم على منهجيتين الأولى أدبية لسانية تسعى للعلمية ونبذ الذاتية, والأخرى علمية سيكولوجية تجعل اللغة ظاهرة شيئية طبيعية تتأسس دراستها على الملاحظة والتجربة.

أولا:اللسانيات المعاصرة والدراسة السميولوجية للغة.

الوضعية: قال تعالى:"تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا".273.البقرة

قال تعالى:"سيماهم في وجوههم من أثر السجود". 29. الفتح

قال تعالى:" يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام".41. الرحمن

ـ التفسير: قال الأصمعي السيمة من السيمياء والسيما وهي العلامة.

قال أسيد بن عنقاء الفزاري مادحا:

غلام رماه الله له سيمياء لا تشق على البصر.

ـ النظرية السيميولوجية: كلمة سيمياء مشتقة من سمة وهي العلامة أو الآية وفي الفرنسية,Signe وتعني العلامة و أما السيميولوجي فهي نظام السيمة أو الشبكة من العلامات النظمية المتسلسلة وفق قواعد لغوية متفق عليها في بيئة

معينة ونجد من اهتماماتها اللسانية دراسة اللغة واللسان والكلام,وهذا ما أكده العلم اللساني والذي يشترط فيه الموضوعية والعلمية. وهذا يعرفنا على ذلك الاختصاص المسمى بالدراسات السيميولوجية التي جعلت إمكانية الدراسة العلمية للغة ممكنة مثلها مثل الدراسات الشيئية, لذلك يعرف أندريه مارتيني اللسانيات العامة بقوله: " هي الدراسة العلمية للسان البشري , وتكون علمية حقيقة عندما تتأسس على ملاحظة الوقائع, وتمتنع عن افتراض الاختيارات القائمة على المبادئ الجمالية أو الذهنية" وهكذا النشاط اللغوي الإنساني يشمل ما ينطق أو يكتب كعلامة و اصطلاح, ونصل إلى النتائج التالية:

1. اللغة: كل تتكامل أنسقته من الرموز
و العلامات وهي واقعة اجتماعية.
2. مفهوم اللسان: يظهر في كونه اللغة
3. المعبر عنها في سياقها الاجتماعي كأن
4. نقول لسان عربي مبين أو نقول لسانا
5. فرنسيا فصيحا, والقصد هنا الموروث
6. اللفظي من مفردات وكلمات وقواعد صرفية.
7. مفهوم الكلام: هو الممارسة الفردية المنطوقة, وندركه بملاحظة الكلام أو الكتابة, وهو القدرة على التفاهم الاجتماعي ويشترط فيه ما يلي:
   - أ ـ وجود لغة محددة كالعربية و الفرنسية مثلا.
   - ب ـ وجود القدرة على التبليغ والتعبير المادي والمعنوي.
   - ج ـ معرفة المفردات والكلمات والقواعد الضابطة.

ـ أين تكمن نقاط الالتقاء بين الكلام واللسان؟

يمكن حصر ذلك كما يلي :

1. اللسان هو اللغة التي تستعملها جماعة محددة بجماعة وتاريخ وجغرافية.
2. اللغة تختلف عن الكلام كونها اجتماعية, في حين يبقى الكلام عمل فردي متغير.
3. اللغة متوارثة, بينما الكلام عمل فرد وإن ظهر بشكل جماعي.
4. اللغة تمثل الجانب الاجتماعي من الكلام.
5. اللغة أعم من اللسان.

ـ نظرية فردنان دي سوسير m.f.de saussur : ولد في جنيف بسويسرا ومساهمته في بناء علم لساني جديد خالف فيه القدماء ولد في 17 نوفمبر سنة 1857 م وتوفي سنة 1913 م يرى أن اللسانيات فرع من السمياء semiology أي علم العلامات العام, يرى أن الظاهرة اللغوية تتمثل في ثلاثة

مصطلحات أساسية: اللسان le langage, اللغة la langue الكلام la parole هذه الصيغ أضحت عالمية في اللسانيات المعاصرة و يرى أن اللغة واقعة اجتماعية وليست مجردة, بل متواجدة في عقول الناس يقول:" إن اللغة توجد على شكل مجموعة من البصمات المستودعة في دماغ كل عضو من أعضاء الجماعة على شكل معجم تقريبا, حيث تكون النسخ المتماثلة موزعة بين جميع الأفراد... يمكن صياغة نمط وجودها بهذا الشكل:1+1 +1 +1....=1".

ثانيا: طبيعة الرمز والدلالة في المنهج السيميولوجي .

الوضعية:" استغرب أحد المهتمين بحقل الإعلام اتساع قنوات وإذاعات التبشير المسيحي, وتضاؤل الجهد الإعلامي الإسلامي الذي يصل إلى درجة العدم, فسأل أحد الباحثين في سيميولوجية الصورة فأخبره:إن العاملين في حقل التبشير قد اهتموا بعلم الأصوات phonologie, ووضعوا به الأنظمة الألف بائية لكل اللهجات واللغات الشرقية والإفريقية, فوضعوا القواميس, وبثوا أفكارهم".

ـ التفسير: عرفنا أن لفظ sèmologie, هو علم المعنى, أما phonologie فهو علم الأصوات,وهذه وغيرها علوم مساعدة لفهم الأسس وتشكل نسقية لفهم بنية الكلام الذي يحمل على جزئيتين:

1. الفونيمات: phonème وهي الأصوات الأساسية غير الدالة على معنى.
2. المورفيمات: morphème وهي ضم الصوت إلى وحدات لها معنى, بداية الكلمة ونهايتها.

ـ مثال: ت. ر. ع. ر. ع. فونيمات.
ترعرع مورفيمات.

ـ نظرية مارتيني a.Martinet : 1908ـ 1999م ألف ما يقرب من مائتين وسبعين مؤلفا العديد منها يتعلق باللسانيات العامة و مدرسة براغ اللسانية فصلت بين الصوتيات الوظيفية phonologie عن الصوتيات phonetics فالأولى تنسب إلى العلوم, أما الثانية فتنسب إلى الدراسات اللسانية. مارتيني أزال هذا الفصل واعتبر الفونولوجيا نوعا من الفونيتيك وكان هدفه تشخيص العناصر الصوتية وتصنيفها حسب وظيفتها في اللغة وميز بين ثلاث وظائف أساسية:

1. الوظيفة التمييزية: distinctive و تمكن السامع من المعرفة.
2. الوظيفة الفاصلة: démarcative و تمكن السامع من تحليل القول.
3. الوظيفة التعبيرية: expressive و تعلم السامع عن الحالة العقلية و الفكرية.

- اللسانيات ونسقية الرمز وتنوع الدلالة :

ـ عرف علماء اللسانيات الرمز بأنه مثير بديل يستدعي بنفسه نفس الاستجابة وقسموه إلى قسمين:

1. الرمز اللغوي: وهو الكلمات المنطوقة أو المكتوبة.
2. الرمز غير اللغوي : ومثاله الجرس في تجربة بافلوف.

ـ نظرية دي سوسير: اللغة عبارة عن مستودع من العلامات, والعلامة وحدة أساسية في عملية التواصل وتضم جانبين أساسين هما: الدال signifiant, والمدلول signifié فالدال هو الصورة السمعية, أما المدلول فهو التصور ويرى أن العلامة اللغوية لا تربط شيئا باسم بل تصورا بصورة سمعية و إن غرض اللسانيات هو دراسة هذه العلامة التي يمكن ملاحظتها كأشياء, التي يغلب عليها الطابع الاعتباطي.

ثالثا: علم النفس اللغوي ودراسة اللغة.

الوضعية:"تكاد تكون اضطرابات اللغة عامة عند الأطفال وخاصة في المراحل التعليمية الأولى وهذا انعكاس مباشر لما يتعرض له الأطفال في بلادنا من ظروف حياتية قاسية قد تجعل الاضطراب ظاهرة عامة,يقف عليها المربي وكذلك من له علاقة بحقل التربية,ويمكن تبرير ذلك بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية,وهذا عجل بوجود دراسات سيكولوجية لغوية,تبحث في الأسباب وتضع الحلول العلمية والعملية التي تحد من هذه التناقضات,التي إن بقيت ستنعكس سلبا على مستوى التحصيل وتشكك في مستقبل التربية والتعليم,لأن بداية التعلم ونهايته هي لغة الطفل التي تعكس شخصيته وماهيته".

ـ التفسير:علم النفس العام من أحدث العلوم الإنسانية نشأة ومع ذلك تعددت اختصاصاته ومن أهمها علم النفس اللغوي وهو فرع من علم اللغة التطبيقي,ويختص بدراسة العوامل النفسية المؤثرة في تعلمها,ويحاول أن يقف على عيوب النطق ويرصد علاقة النفس البشرية باللغة.

ـ نظرية ياكبسون Jakobson :

ـ قام بدراسات مستفيضة وعميقة في علم النفس اللغوي ووصل إلى نتيجة ترفع الغموض عن أسس اللغة, فأقر بوجود قوانين كلية عبر عنها بالإنجليزية Universal Laws, تفسر عملية اكتساب اللغة الأم,بالنظر إلى العوامل السيكولوجية المؤثرة,وهذا سمح بتحديد طبيعة الأمراض اللغوية وفي مقدمتها الحبسة ,وبين أن فهم هذه الإختلالات الحاصلة لا يتحقق بالدراسة اللسانية فقط بل يتعداه إلى الأمراض العقلية والنفسية وكذلك العصبية,ومع ذلك لم ينكر المناهج اللسانية المساعدة,كالنموذج التصنيفي والتوزيعي والتحويلي وقواعد الحالات وهذه وغيرها أضحت من مفردات العلم اللساني المعاصر.

ـ نجد أن التداخل حاصل بالضرورة بين العلم اللساني والدراسات اللغوية السيكولوجية, لأن فهم أسس بناء اللغة يحتاج لهذه المناهج وغيرها, لأنها ماهية إنسانية تجسد إنسانية الإنسان ووجوده.

رابعا : العلاقة بين الألفاظ والأشياء.

الوضعية:" قال التلميذ لأستاذه: أجد في نفسي سؤالا محيرا كيف اتفق الناس ووضعوا المفردات والكلمات فقالوا هذا كتاب وذاك باب ؟

الأستاذ: في الفلسفة وعلم اللسانيات هذا سؤال صعب قد يصل إلى درجة التعقيد ولا نمتلك الآن نظرية علمية مقررة ولا فرضية مبررة ومع ذلك وجدت آراء هنا وهناك تحاول أن ترفع اللبس والغموض عن الإشكالية ."

ـ التفسير: البحث اللغوي وفي كل الحضارات قديمها وحديثها أراد أن يقدم إجابة ويرفع اللبس والغموض عن أصل اللغة الذي يطرح معضلة توافق الناس واتفاقهم على تواضع اللفظ والمفردة وجاءت الآراء والأفكار غير منتجة وعقيمة وتحصيل حاصل ومع ذلك نستطيع أن نرسم صورة فلسفية لسانية ونقدم هذه المقاربة التي نلخصها في موقفين متناقضين تاريخيا وفكريا وإن كان لكل رأي أنصاره عبر الحقب والأزمنة المتباعدة.

1. العلاقة ضرورية: يرى فلاسفة ومنهم أفلاطون أن هناك تطابق بين الدال والمدلول, وأن اللفظ يعبر عن نفسه وحجتهم أن اللغة نشأت بمحاكاة الإنسان لأصوات الطبيعة فأبدع الكلمات.
2. العلاقة اعتباطية: arbitraire, اعتبر دي سوسير العلامة اللغوية اعتباطية ودليله في ذلك أن فكرة أخت sœur لا ترتبط بأية علاقة داخلية مع تعاقب هذه الأصوات:أ.خ. ت و لا يفهم من ذلك أن الفرد له القدرة على تغيير العلامات. لما نقول مثلا واد مزي, أو جبل أم سليمان, لا نجد بالضرورة مطابقة بين اللفظ والمعنى, ونجد أمثلة في مسميات التضاريس الجزائرية.

خامسا: تبادلية اللغة والفكر:

ـ وضعية شارحة:" إن المجتمع المدني الجزائري قد حاز اهتمام المراقبين في العالم, حين جعل فئة الصم البكم, فئة فاعلة في الحقل السياسي, فإعاقتهم لم تمنعهم من حمل الأفكار والتصورات الهادفة للتغيير السياسي والاجتماعي, وهاهم الآن ينتظمون في الحركات الجماعية العاملة".

1. الفكر منفصل عن اللغة:

أ ـ النظرية الحيوية: اعتقد العالم البيولوجي داروين صاحب نظرية التطور, أن الإنسان البدائي قد تخلى عن الإشارات الجسمية, لأنها تقتضي جمود وثبات

الوظائف الفيزيولوجية, لأنها غير عملية, وغير صالحة للاستعمال في الظلام, وهذه الحاجة تدفع الكائن لكي يطور وظائفه لتفي حاجاته.

ب - النظرية الحدسية: اعتقد هنري برغسون Bergson فيلسوف فرنسي 1859- 1941 و اعتمد الحدس منهجا ودافع عن الروحانية ضد الآلية المادية, وجاءت أبحاثه اللغوية أن الفكر يأتي متصلا, وأن اللغة تأتي منفصلة, فنحن حتى نعبر عن مشاعرنا نشعر بقصور الكلمات, فنستعين بالحركات والعلامات الانفعالية, وقد نستعين بألفاظ أجنبية.

- إن هذا الموقف يتصدع أمام النقد الوجيه, إن التفكير المجرد الخالص لا وجود له, فإذا أردنا بناء فكرة فهي تنتظم في سياق لغوي منظم ومنتظم, والممارسة الاعتيادية تثبت ذلك.

2. اللغة والفكر متصلان:

- وضعية شارحة:" كانت فرحة العائلة عظيمة وهم يشاهدون الأخت الصغيرة, وهي تتلفظ بكلماتها الأولى, وكيف أنها اندمجت مع عالم إخوتها, وكيف أنها جعلت اللغة علامة لشيء تقصده.قالوا لها: أين مروان؟فابتسمت وأشارت إلى أخيها الأكبر, واندفعت نحوه لكي تقبله وتعانقه, وتأخذ منه قطعة الحلوى المفضلة لديها".

- لقد تعددت الآراء القائلة بوحدة اللغة والفكر, والأخذ بمبدأ التطابق بينهما يقول آلان:"ليس هناك فاصلة زمنية بين اللغة والفكر, فالطفل يتعلمهما في آن واحد". ويقول ميرلوبونتي:" إن اللغة ليست علامة للتفكير, مثلما أن الدخان علامة للنار".

- أثبت العالم جون بياجي 1896- 1980م, بمناهج علمية ووفق دراسات سيكولوجية قامت على فهم النمو العقلي لدى الأطفال, فبين أن آلية الاكتساب تقوم على التأليف والجمع بين الألفاظ والمعاني وأنها تتحقق كبنيات معرفية, وهذا الموقف أضحى هو الأقرب والأنسب لمشكلة تبادلية اللغة, لأن الفكرة الفلسفية القائمة على إمكانية الفصل, في جوهرها وحقيقتها مجرد مغالطة, تؤدي إلى معضلة كقولنا مثلا أيهما أسبق اليمين أو اليسار, أو قولنا أيهما أحسن الليل أم النهار.

III ثم كيف يتيسر للغة أن تحقق التبليغ والتواصل بالرغم من تنوعها, وتعدد نشاطها؟

الوضعية: أبي البقاء يرثي سقوط الأندلس:

لكل شيء إذا ما تم نقصان    فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول    من سره زمن ساءته أزمان
على ديار من الإسلام خالية    فقد أقفرت ولها بالكفر عمران.

ـ التفسير: التبليغ والتواصل الاجتماعي هو فعل اللغة الحقيقي الذي يتيح ذلك الوسط الحيوي الذي يتعايش فيه الجميع .

ـ مفهوم التواصل وتعدد الوظائف:

ـ نظرية العالم يكبسون: Jakobson وضع ما يعرف بنظرية الوظائف الست التي استمدها من نظرية الاتصال وهذه ظهرت سنة 1948م, ترى أن التواصل يحتاج ستة عناصر أساسية: المرسِل EMITTER والمتلقي RECEPTOR, وقناة الاتصال COMMUNICATIVE CHANNEL, والرسالة MESSAGE, وشفرة الاتصال CODE, والمرجع REFERENTو استخلص منها وظيفة تعبيرية, ووظيفة نزوعية ووظيفة إقامة الاتصال وإذا كان الهدف من الرسالة تطوير شكلها بالذات فهذه وظيفة إنشائية, وقد تكون وظيفة واصفة للغة, وقد تكون وظيفة مرجعية, وهذه الوظائف يلم بها المشتغل بالعلوم اللسانية.

ـ نظرية القواعد التوليدية التحويلية وعلاقتها بوظائف اللغة: واضعها عالم اللسانيات المعاصرة وصاحب الفكر المتجدد الناقد للمتقدمين المفكر البارز أ. ن . تشو مسكي A.N. CHOMSKY, ولد سنة 1928 ومازال يمد الدراسات اللسانية بإبداعاته المتتالية يقول :" إن النظرية اللسانية تعني في المقام الأول, بمتكلم مستمع مثالي في مجتمع لغوي متجانس تماما, حيث يعرف هذا الشخص لغة ذلك المجتمع معرفة جيدة, ويكون غير مصاب بهذه الحالات النحوية غير الملائمة مثل قصور الذاكرة, والاضطراب العقلي وعدم الانتباه والاهتمام, والأخطاء العفوية, والمميزة وذلك عند تطبيق معرفته اللغوية في كل أداء فعلي." هكذا تتجلى لنا الوظائف واضحة جلية ونذكرها بالترتيب:

1. الوظيفة النفعية: تلبية الحجات البيولوجية.
2. الوظيفة الشخصية: التعبير عن الذات والقدرة على الإبداع.
3. الوظيفة التفاعلية: التعبير عن الحالات الوجدانية والشعورية.
4. الوظيفة الاستكشافية: بناء عالم المعرفة, بالإحاطة بمسميات الأشياء, في عالم الطبيعة والإنسان.
5. الوظيفة التنظيمية: التعبير عن الحاجات الآنية, كحاجة الإنسان إلى لغة التوجيه, أو لغة الإشارة والرمز كعلامات المرور مثلا.
6. الوظيفة التخيلية: ينفلت الفرد من واقعه, لما يجعل لغته وهما أو خيالا, ويتجسد ذلك مثلا في عالم الطفولة.
7. الوظيفة الرمزية: اللغة تتحقق كرمز يستعان به في ضبط المفاهيم العلمية والمنطقية كالرمز الرياضي أو الفيزيائي....
8. الوظيفة الإخبارية: وهو نقل المعلومة مسموعة كانت أو مرئية.

الرجوع إلى المشكلة وذكر الأهم

اللغة من الوظائف العقلية العليا, والإنسان بفكره قام بحركة نقل أخرجته من عالم الرتابة والغريزة, إلى عالم الإبداع والتميز و إن الدراسات اللسانية المعاصرة حققت أهدافا معتبرة لما أعادت الإنسان إلى إنسانيته وذلك بتجلي اللغة في وجوده ويبقى التواصل من الوظائف النفسية والمنطقية التي تعطي للفرد وجوده الحيوي وكذلك الاجتماعي ومع ذلك نرتب سلم الأولويات:

1. اللغة كتعبير انفعالي والانتقال من اللغة الطبيعية إلى اللغة الاصطلاحية
2. تجاوز اللغة الطبيعية وبناء لغة إنسانية إبداعية.
3. النظر إلى بناء اللغة مع إمكانية دراستها بمنهجيتي, علم النفس اللغوي والدراسات اللسانية المعاصرة.
4. تبادلية اللغة والفكر.
5. وظائف اللغة من زاوية العلم اللساني.

النص:" لما لا نتفق عن المعنى، كأن لا نتفق عن هذه الأداة التي أكتب بها الآن وهي القلم، نكون أمام مشكلة، لأن كل واحد يعطي لنفسه الحق في تجريد المعنى، يعطي لنفسه الحق كي يصف هذا القلم بالصفة التي يريدها، وليست الصفة التي وجد بها القلم حقيقة. لذلك الفلسفات اللغوية قديمها وحديثها قبل نشأة العلوم اللسانية، تعطي الحق لمن لا يملك وهو الذهن المجرد، الحق في بناء المعنى والحكم على صدقه وكذبه اللغوي. قبل نشأة العلم اللساني اللغوي كان ذلك الشخص الملهم الذي يبحث له عن خلوة، ثم يضع يده على ناصيته ويشرع في الكتابة، يعتقد أنه يستطيع أن يفجر كامن العبقرية فيه، لما ينتهي يعرض عمله ويجزم أن ذاته وتميزه هيأ له صنع هذا الفعل العظيم، لا يجد في نفسه إحراجا أن يوصف بالعبقرية والإلهام. لتصحيح الخطأ يجب أن يتم النظر إلى الفعل اللغوي في تحققه في الواقع وما هي النتائج العملية التي تربت عليه، ما الجدوى من كتاب يكتب يغطي مساحة في المكتبات قلت أو كثرت أجزاؤه وجوده لا يحقق منفعة عامة في حياة الناس العملية، كم هي الكتب التي أخذت جهدا وزمنا ومالا، بعد زمن تنكشف حقيقتها على أنها مجرد ركام من الورق".

ـ أكتب مقالة فلسفية تعالج فيها مضمون النص.

ـ موضوعات للدراسة والتحليل:

1. هل يمكن تصور وجود أفكار خارج إطار اللغة؟
2. :"إن اللغة انفعال قوي يحدث ذلك التكيف والانسجام مع الإنسان ووسطه بما يمتلك من وظائف حيوية".أبطل هذا القول.
3. كيف يتيسر للغة أن تحقق التبليغ والتواصل, بالرغم من تنوعها وتعدد نشاطاتها؟

4-: " إذا كان الغروب علامة على نهاية اليوم, ألا تكون اللغة علامة على القول, فإن هذه العلامة لها وظائف تحدث علاقة التواصل بين أفراد المجتمع الواحد, فتحدث ذلك الانسجام العفوي الذي يجدد إنسانية الإنسان".

ـ أكتب مقالة فلسفية تطرح فيها وظائف اللغة مع الاستعانة بالعلم اللساني والدراسات الفلسفية اللغوية.

5- " يرجع الفضل للعلامة دوسوسير في إرساء معالم اللسانيات المعاصرة"

ـ أكتب مقالة فلسفية تبحث فيها أسس اللغة ومناهجها وطرائق بحثها.



6- إذا كنت أمام موقفين متعارضين يقول أولهما:إن دراسة بنية اللغة يقتضي فهم نسقية اللغة واللسان والكلام .ويقول ثانيهما:إن هذه النسقية تفهم بالدلالة وطبيعة الرمز."

ـ هل تستطيع أن تفصل في الموقفين المتعارضين.

7- هل تعتقد أن العلاقة بين الألفاظ والأشياء ضرورية.

8- قيل:"اللغة عاجزة عن استيعاب أفكارنا."

ـ دافع عن هذه الأطروحة.

الإشكالية الأولى: في إدراك العالم الخارجي

المشكلة الثانية:الشعور و اللاشعور

I- ماذا عن الشعور كإحاطة بمجالات في الحياة النفسية, وكمعرفة بأسبابها الباطنية والظاهرة؟

أولا: الشعور باعتباره معرفة مباشرة وأولية:

الوضعية:" قال معروف الرصافي:

لقد جثمت فوق التراب وحولها    صغير لها, يرنو بعيني متيم
بكى حولها جوعا فغذته بالبكا    وليس البكا إلا تعلة معـدم".

- التفسير: إن عبارة علم النفس موهمة, لا تنضبط بتعريف أو ماهية, فهي قضية ميتا فيزيقية عصية عن كل تعريف, لذلك نقتصر في الدراسة على مظاهر هذه النفس, وأولى تجلياتها تكون في حياتنا الشعورية.

- ماهية الشعور: جاء في كليات أبي البقاء:" الشعور إدراك من غير إثبات, فكأنه إدراك مزلزل." وعرفه علماء النفس :" هو حدس الفكر لأحواله وأفعاله." وتفسيره أنه الوعي الذي يصاحب فاعلية الذات فتتميز به عنها ومنه نميز بين الذات الحادسة, والموضوع المحدوس عرفه لالاند بقوله:" هو معطى أولي غير متميز, ومادة لكل حياة نفسية". ووصفه وليام جيمس بقوله:" حالة شعورية نتعرف عليها بالاستبطان." ومصطلح استبطان يقصد به تأمل الذات لذاتها, وقد أشار كل من هيجل وسارتر, إلى أن كل شعور إنما هو شعور بشيء ما.

1. الشعور معرفة أولية:

وضعية شارحة:" قال الأستاذ لتلامذته: لقد اطلعنا على الوظائف العقلية العليا التي ندرك بها العالم الخارجي كالإدراك, والذكاء,والتخيل, هل يمكن أن نستثني إحداها ونقول أن الشعور قد غاب عنها, فأجمعوا على أن الشعور معطى أولي وأساسي".

- يقول هاملتون HAMELTON 1788-1856:" الشعور أحد المعطيات الأساسية للتفكير, والذي لا يمكن تحليله إلى عناصر أبسط... أنه وعي مشترك لكل تفكير".

2. الشعور معرفة ذاتية:

الشعور واقع في الأنا, وذلك الشعور الخالص لا وجود له, فهو صادر عن شخص له صفاته وأحواله, وهو يعبر بصدق عن جملة الأحوال النفسية غير القابلة للتحلل, أو التجزؤ.

ثانيا: الشعور وحدة في كثرة وتغير في اتصال:

الوضعية: "أثناء الامتحان التلميذ هو ذلك الشخص الذي يحقق الانسجام مع نفسه فينطلق من لحظة شعورية تأملية, تعطيه النظرة الشمولية للموضوع, ثم ينتقل وبشكل حدسي, ليحدث التكامل بين أجزاء الشعور الهامشي, كأن يلم بجزئيات الحل, ثم يندمج, وذلك بكليته لكي يتلقى أجزاء ما تحت الشعور,

والحقيقة كامنة في قدرته على وضع نفسه في مسار هذه الحركة, فهو ينتقل من شعور تأملي إلى هامشي, ثم إلى الأجزاء, انتقالا يخضع لمنطق مسبق, بل إنها حالة نسقية عامة, مصدرها العقل القائم على بناء التصورات, وإصدار الأحكام".

ـ التفسير: الإنسان ينتقل من شعور عفوي إلى شعور إرادي وهذا يثبت أن له درجات متعاقبة في الأنا تعاقبا تفرضه اللحظة التي يعيشها ويجدها في أعماقه .

1. درجات الشعور ومراتبه الثلاث:

- الشعور التأملي: ويقصد به بؤرة الشعور وهو قائم على خاصية التركيز.
- الشعور الهامشي: وهو خال من التركيز, وغير واضح وجلي.
- ـ ما تحت الشعور: وهو درجة أقل ويقترب في أبعاده من الحالات أللاشعورية.

2. طبيعة الشعور التنوع:

الوضعية: قال أحد الفلاسفة:" لو اعتمدنا مناهج علم النفس, وقمنا بدراسة ميدانية لسلوكيات شريحة اجتماعية, وقمنا بعملية إسقاط على الأفعال والاستجابات, سنسجل مدى التنوع والتداخل, وسوف نعجز وبشكل مطلق أن نضع المشاعر الصادرة ضمن مناهج معتمدة في دراسة عالم الأشياء, وسوف تطغى مفاهيم معقدة كالكيفية والحركية والديمومة مثلا".

ـ التفسير: إن الشعور الخالص لا وجود له, وذلك الوعي الموضوعي لا حقيقة له, وهذا ما تثبته المباحث الفلسفية والعلمية, لأن له خصائص تميزه عن الوظائف الأخرى.

1. الشخصية: إنه صادر عن شخص له أحواله, وأفعاله المستقلة, والتي تميزه عن غيره.
2. الحركية: فهو يتشكل كامتداد معنوي لا يستقر, ولا يثبت, وندركه في الحوار الذاتي, فالفرد يحاكم ذاته بذاته, ويقر أو ينفي أفعاله باختياره وإرادته.
3. الاتصال: إن هذه الخاصية ندركها في وضعيات نفسية, كأن يقع الإنسان في غيبوبة, نلاحظ أن الفعل يقع في الوظائف الفيزيولوجية لا النفسية ولما يعاود اليقظة, نجد أن وظائفه الشعورية لم تتغير.
4. الانتقاء: الفرد يختار مشاعره بإرادته, فهو يسجل مقتضياته لشعورية, ويرتبها حسب حاجاته ومطالبه, يقول برغسون:" لا يوجد شعور دون

أن يكون هناك أدنى انتباه للحياة". والمثال في ذلك كثرة الأصوات من حولنا, فنحن نختار ما نريده ونفضله.

- تأسيس المدرسة الحدسية: وضعها الفيلسوف الفرنسي المعاصر برغسون, اعتمد الحدس منهجا, ودافع عن الروحانية ضد الآلية, على ضوء خاصيتي الاتصال والحركة أضاف خاصيتين جوهريتين هما:

1. الديمومة: في معناها العام, هو الشيء الذي لا يعرف الانقطاع و يكون الشعور ذلك النهر العظيم المتدفق الذي لا يعرف الانقطاع, إننا نجد أن الحالات النفسية فترات متعاقبة ونبضات لا تعرف الثبات و كذلك التوقف.
2. الكيفية: الشعور كيفيات خالصة, مجردة لا تخضع لقوانين الإحصاء و المفاهيم الفيزيائية و الكيميائية متى كان الفرح أو الحزن تصورا شيئيا قابلا للملاحظة والتجربة؟

ثالثا: الشعور كمبدأ وحيد للحياة النفسية:

الوضعية:" إن الدارس للمشكلات الفلسفية قديمها وحديثها, يدرك وللوهلة الأولى, مدى تعاقب الدراسات, والتحليلات التي شملت النفس الإنسانية, فنجد أن البحث في النفس الإنسانية قديم قدم الفكر لاقترانه بالسلوك لذلك له وجود في التراث اليوناني,فقد وضع أفلاطون نظرية في النفس, ووضع أرسطو كتابا في النفس, أما التراث الإسلامي القديم فهو غني وزاخر بالدراسات والتحليلات النفسية, نجد ذلك عند ابن سينا, الغزالي وغيرهم أما التراث الفلسفي الحديث فلا تخلو دراساته من المفاهيم الشعورية والحدسية".

- التفسير: ما أكثر النظريات التي اعتمدت الشعور منهجا وموضوعا لبحثها, وتفسيرا للحياة الإنسانية في شقها الواعي.

- المدرسة العقلية: إن الشعور تصور عقلي خالص, فالعقل هو الذي يميز بين الذات الشاعرة والموضوع المشعور به, والدليل على ذلك انتظام السلوك فنحن ندرك ونتذكر الصور بطريقة تلقائية يقول ابن سينا:" إذا تجرد الإنسان من كل شيء حتى شعوره ببدنه, فإنه لن يتجرد من تفكيره, وأنه يستطيع أن يفكر". أما ديكارت فيقول:" الشعور تصور عقلي خالص".
- المدرسة التجريبية: وصلوا إلى أفكار محددة اعتقد د. هيوم أن المعرفة ترابط بين الإحساسات فهو يقول:" إن المعرفة تأتي إما عن طريق الإحساسات, وإما عن طريق الأفكار وتداعيها في مجالها الحسي".ويقول جون ستيوارت ميل:" إن البرهان الوحيد على الشيء

المرئي هو أن الناس يرونه بالفعل". ويقول جون لوك:" إن المعاني الفطرية إنما هي مرآة عاكسة لما تقدمه الحواس".

ـ ما القوانين المنظمة للحياة الشعورية عند المدرسة التجريبية ؟

1. تجاور في المكان: ومثاله الشارح وقوف شعراء العهد الجاهلي على الأطلال وأثره في بناء العاطفة الشعرية.
2. تجاور في الزمان: ومثاله الشارح تعاقب شهر رمضان الكريم في السنة الهجرية, وأثره في بناء العواطف والمشاعر الإيمانية.
3. وجود تشابه: ومثاله الشارح تشابه الأعياد الدينية والوطنية, وما يترتب عنه من مشاعر الثقة والعزة والكرامة.
4. وجود تناقض: ومثاله الشارح المتناقضات وما يتبعها من آثار نفسية, كالموت والحياة, النجاح والإخفاق وهكذا.

ـ المدرسة الظواهرية: اعتبروا أن الشعور قصد ونزوع إلى الشيء المشعور به, فهو يكمل الالتقاء بين الذات الشاعرة والموضوع المشعور به, يقول هوسرل:" كل شعور إنما هو شعور بشيء ما من الأشياء, بحيث لا يكون هناك فاصل بين الذات والموضوع". ويؤكد على الالتقاء فيقول:" يتم هذا وفق خاصية القصد والنزوع". نحن لا نشعر إلا ما نقصد إليه, ويكن ذلك بوجود موضوع ما نقف عليه دون غيره, لما نجد عجلة خشبية في مزرعة نتركها ونقصيها, أما إذا وجدت في عربة, ضمن نسقية حركية معينة فإننا نتجه إليها كحالة شعورية استرعت انتباهنا.

II ـ ثم ماذا عن اللاشعور بوصفه مجالا أعمق لا يدركه الوعي ولكنه يؤثر على السلوك؟

أولا: وجود اللاشعور.

ـ الوضعية:" من يمنع نفسه, في هذا العصر المادي المطرد, أن يوقف أمراض العصر القاتلة, لقد توهم البشر في بداية القرن العشرين, أن الخطر قد يأتي من الميكروبات, أو الفيروسات, إلى أن نهاية القرن بينت غير ذلك, إن العلم البيولوجي قد وظف وسائله, فأبدع الأمصال الناجعة, ووضع المضادات الحيوية, فانزوى المرض وذهب شبح الوباء, وتم القضاء على أوبئة قاتلة, إلا أن الأمراض النفسية, قد اتسعت وتنوعت, من يمنع عن نفسه القلق, أو الاكتئاب, من يزر المجتمعات الغربية الصناعية, يدرك ذلك للوهلة الأولى, سيجد أمامه مجتمعا مفككا, وأحوالا متباينة. هل تستطيع مدارس علم النفس المعاصرة أن تحد من هذه الأزمات, كما فعل العلم الفيزيولوجي".

ـ التفسير: عمق الحياة النفسية يستدعي مناهج متعددة للحد من أزماتها وفهم تناقضاتها وهذا عجل بنشأة مدرسة التحليل النفسي.

1. المصطلح العلمي في مدرسة التحليل النفسي :

له مصطلحات متعددة بتعدد العلوم, يفهم منه كل ما لا يمكن الشعور به, كالأفعال المنعكسة, مثل حركة حدقة العين, ودقات القلب, وحركة الأحشاء وردود الأفعال السريعة, وهذا نصطلح على تسميته باللاشعور الفيزيولوجي, أما الأساطير والمعتقدات المتوارثة, والمؤثرة في السلوك تسمى اللاشعور الجمعي, أما ما تعلق بالحياة النفسية فهو اللاشعور النفسي, وتأخر ظهوره لتعقد وتداخل السلوك الإنساني.

2. ظهور مدرسة التحليل النفسي:

س. فرويد s. Freud 1856-1939م طبيب نمساوي متخصص في الأمراض العصبية والعقلية, أسس مدرسة التحليل النفسي, فاعتمده كمنهج ونظرية في علم النفس المعاصر من مؤلفاته تفسير الأحلام, مقدمة في التحليل النفسي تعرف على المدرسة العضوية التي أسسها الطبيب إميل كرا يبلي, والتي فسرت الأمراض النفسية تفسيرا عضويا, واطلع كذلك على دراسات وأعمال شاركوا في مدرسة سالبترييير, وتعرف على أمراض الهستريا, و نظر إلى الحالات المرضية فدرس مثلا السبات المرضي, والتخشب, والجوال الليلي, ثم اطلع على أعمال برنهايم الذي أكد على الحقيقة العلمية, وهي أن الحالات الهستيرية, تفسر تفسيرا يتفق مع المناهج العلمية الاستقرائية لمعرفة أن النفس يعتريها المرض, وأشار إلى أهمية الإيحاء, وذكر أن الفكرة الراسخة في الذهن يمكن أن تثير نشاطا واعيا دون أن يشعر الشخص بذلك وكان هذا هو العمل المهم هو الذي قاده إلى العمل مع العالم بروير Breuer, لكنه أدرك قصور كل هذه المناهج, فأسس مدرسة أخذت بمبدأ اللاشعور كفكرة ومنهج وأدرك أن الطفل يولد بغرائزه ودوافعه الجنسية والعدوانية والأنانية, ويتشكل في المجتمع كذات متميزة, تفهم في كليتها, أما تفسيرها فيتجلى في دوافعها اللاشعورية, والأدلة على وجودها كثيرة منها:

1. الأحلام: والتي تأتي محملة بالرموز, والتي لا يدل ظاهرها على قصدها, فهي تحقق رغبات مكبوتة أو حاجات آنية, في يوم رمضاني حار ينام الصائم القيلولة فيرى نفسه شاربا أو سابحا, ومن يعاني ضيقا في حياته اليومية يرى نفسه في المنام محلقا أو صارخا.
2. النسيان وزلات القلم وهفوات اللسان: وتكون في الغالب نتيجة لدوافع لاشعورية كنسيان الفشل أو تجاهل من نكره, ينسى من أخفق في الاختبارات كشف نقاطه, في حين يتذكر الناجح أدق التفاصيل .

3. السخرية والنكت: وهي تعبر عن الحالات اللاشعورية, فالإنسان يسترسل في السخرية وينسبها إلى غيره وإلى من هو أفضل منه, لكي يعطي لنفسه وضعا رمزيا, يعلو به عن الآخرين.
4. الفنون: إن من يطلع على الفنون الشعبية التراثية, يكتشف أنها تعبيرات لاشعورية نكتشفها في الأفراح والمآتم والتجمعات.

ثانيا: دلالة توصيف الجهاز النفسي:

الوضعية:" اهتم فريد بنتائج الإيحاء والتنويم التي حضرها مع بيرنهايم, وعرف بأن الأسباب واقعية إلا أنها لاشعورية, وهذه الملاحظة أبداها الدكتور بروير الذي كان يشخص حالة مرضية لفتاة مصابة بالهستيريا. المريضة تذكرت أسباب مرضها أثناء التنويم, فشفيت وزالت الأعراض بعد اليقظة. في الأصل كانت تعاني اضطرابا في حركة العينين, ولازمها بعد وفاة أبيها, ويأتي التفسير إنها كانت تحبس دموعها حتى لا تؤثر على الوالد وهو في مرض الوفاة, و اتفقا على أن الطريقة التي ساهمت في العلاج هي طريقة التطهير".

ـ التفسير: إن الاضطرابات لا تفسر تفسيرا عضويا, بل يجب الأخذ بالتحليلات النفسية القائمة على تشخيص الحالة في ظروفها الانفعالية المتصلة بالوظائف العقلية العليا, الصراع والتوازن النفسي تعكسه الحياة اليومية التي تتعقد, وتتزايد تداخلا وتشابكا, ولا يخرج الفرد من أزمة, إلا وقع في أزمة أقوى وأكبر منها, فهو إن اقتنى شقة بعد جهد جهيد, يجد أن الموقع الذي اختاره, والأفراد الذين جاورهم, لا يتفقون معه في أفكارهم, أو حتى في طبيعة حياتهم اليومية, أضف لذلك أزمات العمل, وأزمات التنقل, وعدم قدرته على تلبية الحاجات المتزايدة لأفراد أسرته, فيستسلم للانفعال, ومع الأيام تكبر أزماته, وتشتد حاجته للخروج من هذه الأزمات المتلاحقة, وهي في الأصل أزمة عصر وحضارة , إن الفرد يتعرض في حياته اليومية لأزمات يستطيع أن يتجاوزها في أغلب الأحيان, وإن تفاقمت فهي تقود إلى الأزمات النفسية, ومدرسة التحليل النفسي, تقدم تصورا عاما للنفس الإنسانية, وهو يتجلى في بنيات ثلاث هي:

1. الأنا الأعلى: وهو جانب نفسي لا شعوري, يتكون بانفصاله عن الأنا بعد السنة الخامسة, لما تتمثل القوى الأخلاقية لديه كحتميات يتلقاها بالتربية والعادات الاجتماعية, وهو يستسلم لها, وهذا الأنا وظيفته الرقابة.
2. الأنا: وهو الجانب الواعي من الشخصية, وهو يساهم في عملية الاتصال بالعالم الخارجي, ووظيفته أنه يحمل الفرد على إرجاء إشباع رغبات الهو, أو التنازل عنها حسب مقتضيات الواقع والمجتمع.

3. الهو: وهو يمثل الغرائز والدوافع والذكريات اللاشعورية, وهي تتمثل في رغبات الطفولة المكبوتة, وكذلك الميول الموجهة التي يحتفظ بها الهو, و تضحى الذكريات والعادات والعواطف المنسية ويعتبر فرويد هذا الجانب ذا طابع جنسي يخضع لمبدأ اللذة ويحمل الفرد على تحقيقها, وإن عجز فهو الكبت وما يترتب عنه من عقد نفسية.

ثالثا: من الليبيدو إلى الغريزة العدوانية:

الوضعية:" مع نهاية ثلاثينيات القرن العشرين, استشعر الناس قدوم حرب عالمية ثانية, وانقسموا إلى قسمين: قسم متفائل اعتقد بعدم وقوعها, وقسم متشائم اعتقد بوقوعها, فراسل أحد العلماء فرويد مستوضحا فأجابه:" إن الإنسان بطبعه لا يمنع عن نفسه ولا عن غيره الشر, فهو بغريزته كائن حي ينموا ويتكاثر, ويندفع أحيانا لكي يحطم نفسه وغيره, إنها حقيقة في النفس والتاريخ, ألا ترى أن الطفل قبل أن يعشق لعبته يحطمها أحيانا".

- التفسير: الفلسفة الكلاسيكية القديمة أخذت بنظرية الثبات ونظرت إلى العالم والحياة بنظرة السكون لا شيء يتغير حتى جاءت الداروينية وأحدثت الانقلاب وأخذت بمسلمة التطور ونظرية الصراع من أجل البقاء وفلسفة الانتخاب الطبيعي فوضعت الإنسان في سلم تطور الكائنات الحبية وأضحت رتبة الإنسان في الدرجة وليست في النوع هذا جعل مدرسة التحليل النفسي تنظر للإنسان في سلسلته الحيوانية لا الإنسانية.

1. دور الليبيدو: إنها غريزة الحياة والوجود, إنها الفعل الحيوي والبناء, إنها العواطف بين الناس, إنها الميول والرغبات والأهواء, إنها العلاقات الحميمة بين الآباء والأبناء, إنها الأفراد والأسر والجماعات والقبائل والشعوب, إنها طاقة الوجود والبقاء.
2. دور الغريزة العدوانية: إذا كان الليبيدو هو الحياة والبقاء فإن الموت هو الفناء متجليا في تخريب الذات, وهو ما يلحقه الإنسان بنفسه من أذى, أو ما يلحقه بأذى الغير هكذا نفسر الاعتداء والجرائم والحروب المتعاقبة في التاريخ.

III- وهل تبرير اللاشعور يمثل نظرية علمية قائمة بذاتها, أم يظل مجرد افتراض فلسفي :

أولا: بين منهج العيادة والتفسير النظري.

الوضعية:" بعد نهاية الحرب العالمية الثانية, وما أحدثته من خراب ودمار عظيم, عاد المقاتلون إلى بيوتهم, بصفة غير الصفة التي خرجوا بها, لقد شاهدوا الموت والدمار, وساهموا في وجوده, فزاحمت العيادات النفسية,

مثيلاتها الفيزيولوجية, فمال المرضى إلى التحليل النفسي بحثا عن الراحة والطمأنينة الغائبة".

التفسير: المناهج التجريبية والروح العلمية وجدت طريقها في علم النفس المعاصر فأضحى بالإمكان النظر إلى النفس الإنسانية من زاوية استقرائية موضوعية.

- التحليل النفسي كمنهج عيادة وطريقة علاج للأمراض: من النتائج التي العملية التي حققها نجد:
  1. بيان أهمية اللاشعور في حياة النفسية.
  2. القدرة على تفسير الأحلام, وأهميتها في الكشف عن مكونات الحياة وإظهار آلية الكبت.
  3. أهمية السنوات الأولى ومرحلة الطفولة في تكوين الشخصية.
  4. تحقيق نظرة العيادة بإحداث علاقة ثقة بين الطبيب والمريض, وإحداث خاصية التداعي التي تقود إلى الجانب الغامض والمعقد في الشخصية.
- نظرية اللا شعور من الوجهة التفسيرية:

لقد حققت مدرسة التحليل النفسي ما عجزت عنه المدارس الكلاسيكية قديمها وحديثها, والتي اعتمدت الشعور كمدخل أساسي في فهم الحياة النفسية, وجاء البديل بشكل علمي وعملي, له جدوى في حياة الناس وانشغالاتهم اليومية.

ثانيا: الفرضية والفرضيات المضادة:

الوضعية:" إن المتتبع للنشاط الإعلامي السينمائي والتلفزيوني خاصة الصادر عن المجتمعات الغربية, كيف أن البضاعة التي يروج لها, لا تخرج عن لغة الغرائز الجنسية, والعنف كمنطق ولغة, وكيف تحولت المشاهد المتعاقبة, إلى صور مفزعة ومقلقة, وكيف أنها تنعكس سلبا على حياة الأطفال والمراهقين, وهذا نلمسه وبوضوح في حياة أطفالنا التي تحولت إلى نسخ مشوهة, مما يشاهدوه ويتلقفونه دون حيطة, أو فكر مستقل بناء".

ـ التفسير: اعتقد فرويد أنه قد حل مشكلة الإنسان, لما وضعه في طبيعته وغريزته, إلا أن النتائج جاءت غير متوقعة, فاعتقد معاصريه أن العلاج من الأزمات النفسية يتحقق بالقدرة على إشباع المطالب الحيوية, فاندفعوا في شهواتهم وتنكروا لقيمهم, فعمت المجتمعات الغربية مظاهر الانحلال وتعقدت الحياة, بانحلال الأسرة وهذا دفع علماء وفلاسفة, إلى إعادة النظر في مناهج التحليل النفسي وجاءت الانشقاقات من داخل المدرسة نفسها:

1. انشقاق العالم ألفريد آدلر 1870- 1937م:

طبيب نمساوي اشتغل مع فرويد منذ 1911 ثم وقف معارضا له, لما أخذ بمبدأ الجنسية وابتعد عن منهجه لما أخذ بنظريته القائمة على عقدة النقص,

فالأمراض النفسية سببها شعور الإنسان بنقصه وقصوره أمام الآخرين, ساهم في بناء علم النفس العيادة, ولظروفه انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية فحضي بالتقدير فاختارها موطنا, توفي سنة 1937 بأزمة قلبية في جولة قادته إلى أوروبا.

2. انشقاق العالم كارل يونغ 1875- 1961م:

عالم نفساني سويسري تلميذ فرويد, عارضه في نظريته ساهم في بناء التحليل النفسي وعلم الطباع, أخذ بمبدأ اللا شعور الجمعي, الذي يتشكل من الطقوس والعادات الاجتماعية وكيف أنه يمكننا من معرفة الأعراض المرضية وكيف يمكننا تفسيرهـا وتحليلها.

الرجوع إلى المشكلة وذكر الأهم

إن الحياة النفسية تسع ما هو شعوري, وكذلك
ما هو لاشعوري, إن الإنسان ذلك العالم الواسع
الذي لا تحده معالم, ولا تفسره قوانين علمية

إنه أعقد من كل ذلك, إنه متميز بعقله وحسه, واستقلاليته ومع ذلك إن التوسع في النظريات السيكولوجية يساهم في رفع الغموض والالتباس عن باطن الإنسان وكذلك عالمه الداخلي ومع ذلك نرتب سلم الأولويات:

1. التصور الكلاسيكي للحياة النفسية وثبات فكرة الشعور والاستناد إلى التحليلات الفلسفية القديمة والمعاصرة.
2. بناء مدرسة التحليل النفسي وتبرير فرضية اللاشعور.

النص

:" إن مجرد إمكان إعطاء معنى للأعراض العصبية بفضل تفسير تحليلي يكون حجة دامغة على وجود نشاطات نفسية أو على قبول وجود هذه النشاطات, إذا أحببت تعبيرا أفضل.

لكن ليس هذا كل ما في الأمر, فهناك اكتشاف آخر قام به "بروير", وهو اكتشاف أنا أكثر أهمية من الأول قام به دون أية مشاركة من أحد, وهو يقدم لنا معلومات أكثر عن العلاقات بين اللاشعور والأعراض العصبية. فليس مدلول الأعراض على العموم لاشعوريا فحسب, بل إنه يوجد بين هذا اللاشعور وإمكان وجود الأعراض علاقة تتمثل في قيام أحدهما مكان الآخر, وستفهمني فيما بعد. إني أؤكد مع "بروير" هذا الأمر: كلما وجدنا أنفسنا أمام أحد الأعراض وجب علينا أن نستنتج لدى المريض وجود بعض النشاطات اللاشعورية التي تحتوي على مدلول هذا العرض. لكنه يجب أيضا أن يكون هذا المدلول لا شعوريا حتى يحدث العرض, فالنشاطات الشعورية لا تولد عصبية. والنشاطات اللاشعورية بمجرد أن تصبح شعورية فإن أعراضها تزول. فلديك هنا طريق إلى العلاج ووسيلة لإزالة الأعراض. وفعلا فبهذه الوسيلة تمكن "بروير" من شفاء مريضته المصابة بالهستيريا, وبعبارة أخرى من إزالة الأعراض التي كانت تبدو عليها. لقد وجدت تقنية مكنته من أن يجر إلى الشعور النشاطات اللاشعورية التي كانت تخفي مدلول الأعراض, وبعدئذ مكنته من الحصول على زوال هذه الأعراض".

"سيغموند فرويد"

أكتب مقالة فلسفية تعالج فيها مضمون النص.

ـ موضوعات للمناقشة والتحليل:

1. إذا كان التحليل النفسي يرفض المطابقة بين النفس والوعي وهذا رأي يبدو غير سليم فما هي مبررات الدفاع عنه.
2. هل تعتقد أن الوعي أساسي في فهم الحياة النفسية أم أن اللاوعي هو المتقدم.
3. :"إن فرضية اللاشعور مشروعة وهناك أدلة تثبتها ".أنقض هذه الأطروحة.
4. :"إن الشعور هو نهر عظيم لا يعرف الانقطاع".

ـ ما المبررات الدالة على صدق الأطروحة.

5.الوضعية: "إن أمراض العصر ليست الأوبئة المتنقلة أو الأعراض الجسدية المزمنة كالضغط الدموي, إنها أزمات النفس الإنسانية الماثلة في تعقد الحياة وما ينتج من أعراض سيكولوجية مقلقة كالاكتئاب والقلق والانفصام."

ـ على ضوء دراستك لمشكلة الشعور واللاشعور أكتب مقالة فلسفية تعالج فيها المشكلة المطروحة.

ـ الإشكالية: في إدراك العالم الخارجي.

ـ المشكلة: في الذاكرة والخيال.

I- كيف يمكن اعتبار التذكر استعادة لما هو ماض من أجل إعادة ما هو راهن؟

ـ الوضعية:" في ورشة تعرض أحد العمال لحادثة سقوط وتعرض لارتجاج على مستوى الدماغ, في البداية عانى من صعوبة مفرطة في التذكر, ثم نقل على عجل لقسم الطوارئ, فتلقى العلاج وتماثل للشفاء, فاستعاد قدرته على التذكر واسترجاع الذكريات".

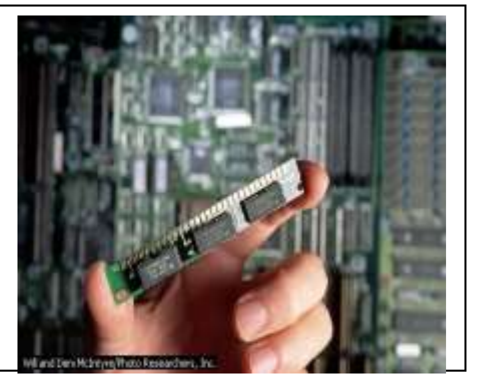
ـ التفسير: عرف ابن سينا الذاكرة بقوله:" إنها قوة محلها التجويف الأخير من الدماغ من شأنها حفظ ما يدركه الوهم من المعاني الجزئية."ووظيفتها هي الحفظ والتذكر, يستطيع الإنسان إحضار الشيء في الذهن بحيث لا يغيب عنه, والتذكر ضده النسيان.

أولا: من الفعالية العضوية إلى الفعالية الشعورية:

ـ التفسير: إن الوضعية التي تظهر رقاقة إلكترونية, هي ذاكرة حاسوب والذي يشتغل في حقل المعلوماتية يدرك قيمتها في تخزين المعلومات وقدرتها الفائقة على التصنيف, مع العلم أنها تخضع لبرمجية خاصة وهذا يمكننا من مقارنتها ولو بشكل صوري وافتراضي بذاكرة الإنسان.

1ـ الخصائص العضوية للتذكر: أضحى الاهتمام بفهم الإنسان في ماضيه أساسي وأولي, وهذا مشترك بين علماء البيولوجيا وعلماء النفس إن مصطلح الذاكرة البيولوجي mémoire biologie أضحى متواترا لأهميته في تفسير السلوك وتبقى الذاكرة هي القدرة على حفظ الذكريات القائمة على المعارف وهي تنظم آليا إلى وظائف الدماغ, ويمكن ملاحظة ذلك في الأعراض المرضية, والإصابات التي تلم بالجهاز العصبي وإمكانية الفصل بين ما هو نفسي وبيولوجي تبدو مستحيلة.




ـ نظرية العالم ريبو: Théodule ribot. 1839. 1961م: فيلسوف وعالم نفس فرنسي يعتبر من واضعي ومؤسسي علم النفس التجريبي, دافع عن

استقلالية علم النفس واقترح أن الدراسات السيكولوجية لا تقتصر على دراسة السلوك الراشد, بل تتعداه لتفسير كل المضامين البيولوجية تفسيرا نفسيا, كما هو حاصل في دراسة الذاكرة.
يتفق مع الماديين في تفسيرهم الآلي, فهو يرى أن إدراك الحوادث يترك بخلايا الدماغ آثارا مادية, يمكن إثارتها بوجود إدراك مماثل, مثلا تنطبع الحروف والكلمات في ذاكرة الطفل, وهو يستعيدها عند الحاجة, كأن يريد أن يقرأ أو يحرر فقرة, ويمكن تقريب الصورة بتشبيهها بقرص مضغوط.
ولا يمكن فهم هذه النظرية إلا بالإطلاع على الوظائف العامة للدماغ, فهو المنظم للحالات الشعورية والقدرات الفكرية,و كذلك المجال الإدراكي, وهو ينظم كذلك جملة الوظائف الحيوية مجتمعة فهو المقر العام المنظم للجملة العصبية رغم كل ذلك فهو لا يزن في المتوسط إلا 4. 1 من الجسم
أي ما نسبته 2 إلى 3 % من الوزن, وهو ينقسم إلى نصفين كل نصف له وظائفه الحيوية. أما الذاكرة البيولوجية فهي القدرة على الاحتفاظ والتعرف على الأشياء, ومن ثـمة القدرة على الاستدعاء واستعادة الماضي.
إن المقارنة بين الوضعيتين تبين لنا تعقد المظهر البيولوجي وتداخله وكيف أن الآلي لا يصل إلى درجة اليقين, وهذا ما تؤكده الدراسات التي جاءت بعد ريبو,فهي لم تخرج عن الفرضيات, البعض اعتقد أن لها موقعا خاصا في الدماغ ووضع له مسميات علمية والبعض رد ذلك واعتبر أن الاحتفاظ بالذكريات وظيفة معقدة تشترك فيها الجملة العصبية ككل, وميزوا بين نوعين من الذاكرة, ذاكرة قصيرة المدى وأخرى بعيدة المدى.

ثانيا: الخصائص الشعورية للتذكر.

ـ الوضعية:" في بداية الحرب العالمية الثانية انهارت الإمبراطورية الفرنسية الاستعمارية, وشاهد الفرنسي سقوط عاصمته على يد النازيين, وعجز الأدباء والشعراء عن تقديم الوصف الذي يعبر عن حالة الإحباط والشعور بالعجز وهم يتذكرون أمجادهم وكيف هي تتهاوى أمامهم دفعة واحدة".
ـ التفسير: الذاكرة من الوظائف العقلية العليا وهي تقترن بحالة الوعي العام كان ذلك على مستوى الجماعة أو الفرد فهي مصاحبة للسلوك متقدمة في وعي العالم الخارجي وإدراكه.
ـ النظرية النفسية: إن التفسير المادي الآلي لا يقدم التفسير الذي يلبي حاجة الناس في معرفة ذاكرتهم, وآلية التعرف على ذكرياتهم إنها قد تفسر العجز عن التذكر, فنحن ولأسباب متعددة نعجز عن استحضار ذكرياتنا لما نجد الإرهاق والتعب الذي ينسينا في بعض الأحيان أشياء نمسكها بأيدينا, أو نضعها في جيوبنا ونعجز عن استحضارها , على ضوء هذه الانتقادات انتقد الفيلسوف

هنري برغسون مؤسس الاتجاه الحدسي النظرية الآلية وانتهى فيها إلى التمييز بين نوعين من الذاكرة على أساس القدرة على ال

1. صورة آليات حركية مخزونة في الجسم وهي العادات.

2. صورة ذكريات نفسية مستقلة عن الدماغ, وهي جملة الحالات الشعورية المتعاقبة, إن الفرنسي يحتفظ بذاكرته النفسية على شكل نبضات متواترة في نفسه فهو لا يستطيع أن يلغي لحظة الانكسار التي شعر بها حين اجتاحت ألمانيا بلده واحتلت عاصمتها وإن تقادم العهد لأنها حالة نفسية ثابتة في الوعي تنتقل من جيل إلى آخر, وهذا يلغي التفسير الآلي ويدحضه.

ثالثا: التذكر بين المعرفة والتوازن النفسي.

ـ إن تفسير تكيف الإنسان مع واقعه يفسر بقدرته على إحداث التوازن بين الأبعاد التالية الماضي كذكريات منسية والحاضر كحالات شعورية متعاقبة والمستقبل القائم على الاستشراف بوجود قوة المخيلة.

إن الوضعية الصورة تمثل لنا إحدى أرقى الجامعات الأمريكية, وكيف تتحقق علاقة الانسجام بين الأستاذ المحاضر وطلبته, وذلك بوجود ذاكرة تخطيطية تؤهلهم لبناء عالم المعرفة.



ـ الذاكرة العقلية والتذكر الإرادي:

كل إنسان بمقدوره أن يوظف ذاكرته وفق مقتضيات حاجاته, ليس كل الناس كالإمام مالك أو البخاري أو مسلم أو غيرهم من الأعلام المتقدمين, الذين وظفوا مواهبهم لخدمة عقيدتهم وأمتهم إن تفسير هذه الحالات يتوقف على قوة الإنسان في التذكر واستعادة الماضي وهنا نميز بين نوعين:

أـ التذكر الإرادي: إن طلبة الجامعة والثانوية والأطوار التعليمية الأخرى اكتسبوا معارفهم بقدرتهم على توظيف الوظائف العقلية العليا كالإدراك والإحساس واللغة والتخيل وهذا يتجسد حقيقة في مواطن الإخبار والامتحان إن الناجح هو ذلك المتكيف, المقتدر على تجاوز العوائق, الذي ينطلق من اللحظة الشعورية الراهنة إلى الذكريات المنسية لكي ينتقل إلى أبعاد المستقبل, أما

الفاشل فهو يعجز عن إحداث هذا التوافق, فهو في الحقيقة لم يخسر شيئا, لأن الإخفاق هو في جوهره مرحلة تضاف إلى الخبرة

ب ـ الذاكرة الانفعالية والتذكر العفوي: إن الذاكرة لا تنفصل عن حياتنا الشعورية, فنحن دون جهد أو عناء نسترسل مع ذكرياتنا, فنتذكر الأسماء والأشياء والكلمات بشكل تلقائي وعفوي وهذا ما يحقق تلك الحالة الانفعالية, فالأب يعي واقع أبنائه مباشرة, ورجل الأعمال يعي وظائفه وحاجاته دون عناء.

رابعا: الذاكرة الفردية والمجتمع.

يرى علماء الاجتماع أن الفرد لا ينفصل عن بيئته, وأن ذاكرته جزء من مجتمعه, وأنه لا يمتلك القدرة على تجاوز الحتميات حتى أن العالم دوركايم 1858- 1917 م يعتقد أن العقل الجمعي ينشأ تلقائيا من إرادة الجميع, إن الهاتف المحمول هذا الجهاز الذي يحمله الصغير والكبير, جعل الذاكرة واحدة ومنسجمة في هذا العالم الذي أضحى قرية واحدة, وأن المسافة والبعد والقرب أضحت مصطلحات مبهمة أمام اتساع قنوات الاتصال والتواصل يقول العالم هالفاكس: " إنني في أغلب الأحيان عندما أتذكر فإن الغير هو الذي يدفعني إلى التذكر, لان ذاكرته تساعد ذاكرتي, كما أن ذاكرتي تعتمد على ذاكرته..." و يقول كذلك:"نحن لا نستطيع أن نتذكر إلا شريطة أن نعثر في أطر الذاكرة الجماعية على مكان الحوادث الماضية التي تهمنا." هذا القول وإن وجد ما يصدقه في الواقع لأن طبيعة الإنسان اجتماعية وهي ملزمة وقاهرة لإرادته, هذا ينطبق على زمن غير الزمن الذي نعيشه الآن, لأن الذاكرة الفردية ل توجد ولا تتحرك إلا بأدوات التواصل, إن الذي ينجز الفعل حقيقة ليس الإنسان بل الأدوات والآلات التي ابتكرها, فأضحى التخاطب والتواصل ممكن كإمكانية تحصيل الماء والهواء فإن الوضعية تظهر هذا الجهاز السحري الذي يحمل في جيوبنا, ويختصر لنا المسافات والأبعاد, إننا لا نحمل هاتفا, إنما نحمل عالما هو ذاكرتنا الجماعية .

II- كيف يمكن اعتبار التخيل استشرافا لما آت بغية إبداع صور لما هو واقع؟

وضعية:"عرف الأدب العربي الإبداع, أبدع أبو العلاء المعري رسالة الغفران, وهي صورة تخيلية لعالم الآخرة وما يقع فيه للشعراء من الإنس والجن من حوادث ووقائع".

ـ التفسير: إن تخيل الشيء هو تمثل صورته, وهو القوة المصورة, وهو كذلك القوة الممثلة, كأن يستحضر الإنسان صورة بالزيادة والنقصان ومن تعريفاته:" تأليف صور ذهنية تحاكي ظواهر الطبيعة وإن لم تعبر عن شيء حقيقي". إنه القدرة العقلية على استحضار الصور بعد غياب لأشياء التي أحدثتها وهو كذلك تركيب الصور تركيبا حرا.

أولا: الإسترجاعية و الاستمرارية في التخيل:

1 ـ الإسترجاعية بين التخيل والتذكر:
الوضعية:" في الأقسام الإعدادية, طلب المعلم من تلامذته رسم صورة من المخيلة, فقام أحد الأطفال بعملية تركيب بين صورتين متناقضتين, فرسم في البداية جسم حصان ثم أضاف له جناحان, فلما انتهى مازحه معلمه قائلا: لقد امتلكت حصانا طائرا يحلق في السماء, سابحا بين السحب".
التفسير: استطاع الطفل ببداهته التخيلية أن يرسم صورة, لاهي منطقية, ولا واقعية, ومع ذلك فهي مقبولة.

## ثانيا: التخيل من التمثيل إلى الإبداع:

1 ـ التخيل التمثيلي: له علاقة مباشرة بالإدراك الحسي والذي يقتصر على استعادة صور الأشياء بعد انطباعها في الذهن وبعد غياب هذه الأشياء التي أثارتها, وهو ينسجم مع الذاكرة الحسية.
الوضعية:" في الثانوية خير أستاذ التربية الفنية تلامذته رسم شخصية من الشخصيتين, بطل المقاومة الأمير عبد القادر, أو شخصية العالم والعارف بالله عبد الحميد بن باديس, فرسموا صورا متفاوتة, تعكس مواهب تلامذته".




ـ التفسير: لقد استعاد التلاميذ شخصيات مألوفة ومعروفة في ثقافتهم ومعرفتهم.
2ـ التخيل الإبداعي:
ـ الوضعية:"في الثانوية خير أستاذ مادة التربية الفنية تلامذته في رسم شخصية ابن خلدون أو الإمام الغزالي فوجد التلاميذ صعوبة في ذلك,وعجزوا عن استحضار الصور لأنها غير معروفة لديهم استطاعت خديجة بموهبتها, أن تستحضر صورة ابن خلدون بتعاقب إدراكها, فاستعادت التاريخ, واستلهمت منه الأشكال و الأزياء وضمت ذلك في صورتها الإبداعية, فكانت لحظة رائعة فاجأت بها الجميع, وهي تقدم صورة خيالية افتراضية".
ـ التفسير: إن التخيل المبدع هو الذي ينشئ تركيبات جديدة و مهما تم الاعتماد على الصور الحسية المستمدة من الواقع, فهو تأليف للصور تأليفا جديدا وهو ما يعبر عنه بالعبقرية القادرة على تجاوز الواقع المحدود

## ثالثا: الصور الإبداعية وصور الواقع:

ـ الوضعية:" طلب الأستاذ من طلبته كتابة بحث عن المبدعين, فاحتاروا في أمرهم. وسألوا أستاذهم: ماذا يقصد بالمبدع؟

فأجابهم: كل من تميز فقد أبدع في هذا العالم".

ـ التفسير: إن المجال الذي تنطوي عليه كلمة إبداع واسعة إلى الحد الذي يجعل إمكانية التفسير غير ممكنة لاتساع المجال, أبدعت الأمة العربية الشعر الجاهلي, و كذلك أبدعت الأمم الآداب الراقية, والعلوم المتطورة كالفيزياء والرياضيات والبيولوجيا, ومن أراد أن يتعرف على ميادين الإبداع فليقترب من الأدب ويطلع على أحوالهم الانفعالية وكذلك الدوافع تحقيق لحظة الإبداع المشرقة.

ـ الشروط الاجتماعية: " إن واضعي العلوم ا... د درسوا علاقة الفرد بالمجتمع, والشخصية عندهم تكتسب من خارج, والبيئة أساسية في عملية تكون الفرد و بناء القدرات العقلية والانفعالية. أما العوامل الوراثية فهي ثانوية وتأتي في المرتبة الثانية, وهكذا يكون الإبداع مستمد من البيئة، مثلا: تتطور وتنمو الشخصية في إطار الأسرة وفيها تتلقى العادات والتقاليد و اللغة ثم تنتقل إلى الشارع فتكتسب ما تحتاجه من ثقافة, فالمدرسة وهي المجال الحيوي للإبداع, وتأثيرها في بناء الفرد وتشكيل ملكاته وقدراته واضحة لا تحتاج إلى بيان, لذلك ندرك الفوارق بين الأفراد والجماعات في نسب التحصيل والتفاعل مع المتغيرات, ويعتقد عالم الاجتماع المعاصر إميل دوركايم أن الظاهرة الاجتماعية إلزامية وقاهرة ولا يستطيع الفرد أن يتمرد عن حتميتها فهو أسير القانون الاجتماعي, الذي يثبت هوية الذات ووجودها المستقل فهو يقول :«إذا تكلم الضمير فإن المجتمع فهو الذي يتكلم فينا». ويمكن أن ندرك العلاقة الانعكاسية بين الفرد والمجتمع في حالات ومظاهر، مثلا: الحضارة اليونانية القديمة, وتطور المجتمع اليوناني ساهم في وجود العظماء كسقراط و أفلاطون و إقليدس... تطور المجتمع العربي الإسلامي أيام الحضارة العربية الإسلامية أعطى للإنسانية عباقرة في الفلسفة كالفارابي و الغزالي ,وفي الأدب قدم: المتنبي وكذلك البحتري... وهذا الاتجاه يرى أن للجماعات الإنسانية طبائع خاصة, تحدد وضعية الفرد, ودوره في الحياة, ومدى انعكاس ذلك على جهده وقدرته على التفاعل, وتكون النتيجة أن المجتمع في صورته الأولى قوة دفع محفزة على الابتكار أو معيقة تمنع تفاعل الفرد مع عالمه.

ـ استند هؤلاء إلى الوقائع الاجتماعية جالوا المجتمعات المعاصرة, اعتمدوا أساليب المقارنة، قارنوا مثلا بين المجتمعات المتخلفة و المتقدمة, لما نقارن مثلا بين المجتمع الياباني والجزائري لذلك تتبين المستويات التربوية والتعليمية داخل المجتمع الواحد, اعتمدوا في مناهجهم أساليب علمية مستندة على الإحصاء والدراسات الميدانية, لا يمكن أن تولد العبقرية من فراغ, وهذا تؤكده حياة العظماء ومسار تاريخ العلم والحضارة.

ـ الشروط النفسية: إن قوة الفرد فاعلة في المجتمع يستطيع بإرادته وقوته أن يتجاوز العوائق والحتميات، استطاع العلماء والفقهاء ورجال الإصلاح أن يغيروا مجتمعاتهم ولعل أحسن مثال ابن باديس و جمال الدين الأفغاني وغيره كثير, وقد يكون المبدع عصاميا كما نجد ذلك في شخصية الأديب العربي المعاصر عباس محمود العقاد, أو في شخصية العالم أديسون والنماذج الدالة على ذلك كثيرة, هؤلاء استجابوا لقواهم الذاتية الدافعة والمحفزة للاكتشاف, إن المجتمعات المتطورة لا تقدم بالضرورة العظماء, بل قد تقدم الشواذ, كما أنها تستقدم القدرات الفردية من البيئات المختلفة, التي توصف عندهم بالمتخلفة وهذا جعل أنصار النزعة الذاتية يلحون على أهمية الذات في بناء الإبداع لذلك يرى علماء النفس وفي مقدمتهم الفيلسوف الفرنسي "برغسون" أحد أقطاب المدرسة الكلاسيكية, ومؤسس الاتجاه الحدسي ,أن الإبداع لا ينفصل عن الأحوال الشعورية, والشعور كما عرفه لالاند هو :"معطى أولي غير متميز ومادة لكل حياة نفسية". لما أشاهد منظرا مؤلما فهو يؤثر في نفسي,وأعبر عنه بشكل وجداني, لا أستطيع أن أمنع عن نفسي لحظات الانفعال والقلق لما أسجل في حسي ونفسي مأساة الشعب الفلسطيني ولذلك يرى الحدسيون أن للشعور خاصيتين, الأولى هي الكيفية وهي الحالة النفسية العارمة التي تعتري الإنسان وتعطيه وجودا خالصا غير قابل للملاحظة, أو للقياس كلحظة الانبهار, أو حالة الانفعال الشديدة. أما الثانية فهي الديمومة وهي الجهد الحاصل المتصل في مستويات الحدس والشعور, ويمكن أن نمثله في التعاطف مع الآخر, إن تدفق المشاعر في الأنا مثله مثل النهر العميق المتدفق الذي لا يعرف الانقطاع وهذا يؤدي إلى مواجهة الغير والسياق في ذلك ,لحظة الانفعال,فهو عنده مملكة حميمة ,تعبر عن تلك الروحانية الفاعلة .فهي على حد تعبيره: «ذلك النهر العميق المتدفق الذي لا يعرف الانقطاع.» أبدع مفدي زكرياء النشيد الوطني في زنزانته وكتبه بدمه وروحه وتألم لواقع بلده... أبدع باستور آلية بيولوجية , لما أشفق على الطفل المصاب بداء الكلب لولا التأثر والتأثير ما أبدع العلماء أو الشعراء أو الأدباء, كذلك يجب مراعاة الجوانب العقلية التي لها الدور الحاسم عبر عن ذلك "برغسون" بقوله: «إن المبدع يتصور قبل كل شيء معنى بسيطا أو خيالا عاما, يقلبه إلى شكل حسي فالشاعر الذي ينظم قصيدة يشعر في أول

الأمر مثالا عاما ثم يعيد هذا التصور إلى أشياء مشخصة». ويمكن أن نجد ذلك في شواهد أخرى من تاريخ العلم, لما اكتشف "أرخميدس" قانون الطفو خرج من الحمام راقصا لشدة فرحته بالاكتشاف, وكذلك شعور العالم "دافي" بالفرحة والغبطة لما اكتشف عضو البوتاسيوم, وهذا كذلك ينطبق على اكتشاف الدورة الدموية عند "وليام هري", وكذلك سعادة "أنطوان لافوا زيه" حين شرح آلية التنفس عند الإنسان باحتراق الأجزاء. قدمت المدرسة النفسية والحدسية شهادة الشعور, إن عملية الإبداع كامنة في قيمته, يستشعر المبدع نفسه فيشعر بالطمأنينة والراحة لأنه قدم جديدا و تجاوز عائقا, وهدفه تحقيق الذات فهو لا ينتظر الجزاء أو الشكر ومثالنا في ذلك علماء وفقهاء الإسلام: الإمام مالك, البخاري, مسلم أبدعوا وأحسنوا ولم ينتظروا جزاءا أو شكورا وهذا خدمة لدينهم أولا ولأنفسهم ثانيا ولعامة المسلمين ثالثا...

III

ـ ولكن لماذا لا يتم بناء هذه الذكرى وإبداع تلك الصورة إلا بشكل نسبي وتقريبي:

الوضعية:" كتب الأديب طه حسين سيرة حياته في روايته الأيام, فمزج الحقيقة بالخيال, وأظهر نفسه بطلا, نجد ذلك في تعاقب السيرة من القرية إلى الأزهر وهكذا وجعل نفسه صورة أولى في كل حدث".

ـ التفسير: إن وجود الذاكرة الخالصة البعيدة عن الذات بما تحمل من أهواء وانفعالات يبدو مستحيلا و حتى إن أراد الشخص أن يستقل بذاكرته إلا أن الخيال يمنعه, لو أراد التلميذ أن يستحضر حصة عاشها صباحا وأراد تذكرها مساء, سيكتشف مدى تدافع صور المخيلة, فهو يضيف أشياء ويغيب أشياء, ويبالغ أحيانا ويستصغر الأمور أحيانا أخرى.

أولا: الذاكرة بناء غير مكتمل للماضي:

ـ الوضعية: " كتب الفيلسوف الفرنسي جون جاك روسو ما يعرف في تاريخ الأدب بالاعترافات, وأراد أن تأتي صادقة, فذكر ما يستحي الناس من ذكره, فقلده في ذلك الأديب العربي المعاصر توفيق الحكيم فكتب خريف العمر, فصدمت العالم العربي, لمدى الجرأة والصراحة, واتفق النقاد أن الأديب الذي غمر المكتبة العربية برواياته وقصصه, قد فقد في آخر حياته خياله واكتفى بذكرياته فجاءت روايته الأخيرة بلا طعم ولا ذوق أدبي".

ـ التفسير: إن التخيل ليس إحياء لذكريات انمحت, إنه ليس ذلك التسجيل الحي لوقائع وقعت وانتهت, لا نستطيع مثلا أن نقارن استدعاء ذكرياتنا بمقابلة رياضية شاهدناها في زمن مضى وثبتناها مسجلة, وبعد مدة قمنا ببثها حية, إن حياة الإنسان أعمق من مقابلة أو مسرحية هزلية أو درامية أضحكته أو أبكته أحيانا, فنحن لما نتصفح صور الطفولة المتعاقبة نفتقد الصور ونحتفظ بحالات

الوعي الراسخة في النفس ولنقترب من الوقائع الماضية نستعين بالمخيلة فنعين الذكريات على التدفق في ساحة الشعور كتدفق مياه النهر العظيم.

1 ـ آلية النسيان:

ـ الوضعية: قال تعالى في محكم تنزيله

: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} (115) سورة طـه

: {قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا} (73) سورة الكهف

: {قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى} (126) سورة طـه

ـ التفسير: يقول عامة الناس:" خانتني ذاكرتي". نميز بين نوعين من النسيان حسب طبيعة التفسير, إن النزعة المادية تعتقد بأنه مرضي ناتج عن اختلال حيوي في الجهاز العصبي وهذا تفسره أمراض الذاكرة, ذلك اعتقد ريبو أن النسيان يتناول بصفة مطردة الذكريات القريبة قبل البعيدة و ترى مدرسة التحليل النفسي أن النسيان ما هو إلا عملية كبت ومهما كان لا إراديا فإنه لا تنزع عنه دلالته, مع العلم أن الذكريات المكبوتة لها وجود في حياتنا الشعورية ولأهميته جعله س. فرويد أحد الأدلة على صدق نظريته ويجد الاتجاه الحدسي المعاصر في النسيان فاعلية نفسية مقاومة وحارسة, تعطي الكائن الحي القدرة على التكيف وتجاوز العوائق,مما جعله عند برغسون الحارس الأمين للذكريات.

ـ إن هذه الآراء تصنف إلى صنفين, صنف يعتقد بأن النسيان فعل مرضي وسلوك أدنى يعبر عن العجز وعدم القدرة على التكيف وتجاوز العوائق وصنف يعتقد بأنه أعلى ومهما ظهر بمظهر التعقيد فهو ميزة إنسانية, لولاه لبقي الإنسان أسيرا في ماضيه بما في ذلك من أزمات وعوائق.

2ـ أمراض الذاكرة:

الوضعية: في حصة صباحيات في التلفزيون الجزائري قال أحد الضيوف:" بعد الاكتئاب هاهو النسيان يغزو النفوس والعقول, إن أطفالنا قبل ذهابهم إلى المدارس ينسون أقلامهم وكراساتهم وواجباتهم, أما الأمهات والزوجات فهن في نسيان دائم, ولا لوم فحياتهم أضحت في البيوت مستحيلة, فهن يجب عليهن أن يتذكرن كل شيء بداية من عود الثقاب ونهاية بالحاجات و الحاجيات التي لا تنتهي, في ظل التراكم والفوضى التي تطغى على كل شيء في بيوتنا. هل نصدق أن أحد الأزواج قد نسي زوجته في المستشفى, وعاد في منتصف النهار ليملأ البيت صراخا وضجيجا لأن زوجته خرجت بدون علمه, ولما علم الأمر

رجع مسرعا لعل وعسى يسكت غضب زوجته وأسفها على زوج نسيها في مستشفى".

ـ التفسير: أمراض الذاكرة تفسر بمعطيات الفزيولوجية المعاصرة وخاصة ما اقترن بالجهاز العصبي وكذلك بنتائج علم النفس العيادة الذي جعل إمكانية دراسة اضطراب الذاكرة ممكن.

ـ إن أمراض الذاكرة متعددة ولا يمكن حصرها في حالة واحدة, فهي متعددة بتعدد الحالات والأوضاع فهناك مثلا ما تعلق بالإصابات الدماغية وخير مثال الحبسة الحركية التي تنتج عن الإصابات التي تمس منطقة هي بروكا تمثل قاعدة التلفيف الثالث من الجبهة الشمالية. ويمكن كذلك أن نذكر حالة صعوبة التذكر الناتجة عن الإختلالات العصبية, وكذلك فقدان الذاكرة وفيها يفتقد الإنسان القدرة الجزئية أو الكلية على ذكر الأسماء أو الألقاب أو المهن ومن الأمراض كذلك انحراف الذاكرة وهو فقدان القدرة على التمييز بين الذكريات الصادقة والكاذبة, كلها حالات تعيق الإنسان وتحد من تكيفه وانسجامه.

ثانيا: التخيل من الحلم إلى الوهم:

الوضعية: قصة تحكى للأطفال:" يحكى أن ابن سينا أحضر لعلاج رجل توهم نفسه بقرة, فامتنع عن الأكل وأشرف على الهلاك, فجاءه في صورة جزار واقترب منه وشخص حالته ثم نظر الطبيب لمن حوله قائلا: إن هذه بقرة ضعيفة هزيلة لا تصلح لذبح وأشار بسكينه قائلا: عليكم بتغذيتها....".

ـ التفسير: إذا كان التخيل مصدرا للإلهام والإبداع, إلا أن هذا لا ينفي عنه بعض الصور السلبية فقد يتحول إلى وهم يلازم حياة الفرد ونجد ذلك مثلا في أحلام اليقظة وفيها يتجاوز الإنسان واقعه البسيط ويستسلم إلى ذلك العالم الوهمي الخيالي, فيفترض لنفسه الحلول السحرية والوهمية كأن يتوهم البعض أن الحياة والسعادة موجودة في مجتمعات أخرى غير مجتمعه, وهذا وهم كاذب, وكذلك الوهم والهلوسة وهو تخيل أشياء لا وجود لها حقيقة كأن يؤمن بأن حياته ومصيره محكومة بإرادة غير إرادة الله.

الرجوع إلى المشكلة وذكر الأهم

إن إدراك العالم لا يقتصر على وظيفة واحدة, فهو يحتاج إلى الذاكرة كمخزون حيوي, يمد الإنسان بما يحتاجه من ذكريات تعيد له حيويته واندفاعه وكذلك وجود المخيلة التي تعطيه استقلاليته ذاته, لا يمكن أن يقارن الإنسان بذاكرة حاسوب, أو قرص مضغوط تضغط فيه المعلومات ضغطا, إنه إنسان بإنسانيته القائمة على ماضيه الكامن في ذكرياته وحاضره الكامن في شعوره واستشراف مستقبله بخياله ومع ذلك نرتب سلم الأولويات:

1ـ الذاكرة من الوظائف الإنسانية العليا وتوصف بصفتي الفردية في المستويين البيولوجي والنفسي والجماعية المحددة لعلاقة الفرد ببيئته.

2- نوعا التذكر الإرادي والعفوي.
3- نوعا التخيل التمثيلي والإبداعي.
4- آلية النسيان.
5- التخيل وتميزه عن الوهم.

ـ النص

:"فنحن لا نستطيع أن نتذكر إلا شريطة أن نعثر في أطر الذاكرة الجماعية على مكان الحوادث الماضية التي تهمنا, والذكرى تكون غنية بمقدار ما تنبعث في نقطة التقاء أكبر عدد من هذه الأطر التي بالفعل تتصالب ويغطي بعضها البعض الآخر جزئيا ويفسر النسيان باختفاء هذه الأطر أو قسم منها سواء كان انتباهنا غير قادر على الانجذاب نحوها,أو كان منجذبا نحو شيء آخر,غير أن النسيان أو تشويه البعض من ذكرياتنا يفسر أيضا بكون هذه الأطر تتغير من مدة إلى أخرى,فالمجتمع تبعا للظروف وتبعا للأزمنة يتصور الماضي بكيفيات مختلفة : فهو يغير اصطلاحاته..

إذن, فإنه يجب العدول عن الفكرة القائلة بأن الماضي يحفظ كما هو في الذاكرات الفردية كما لو كان له عدد من النسخ المتمايزة مماثل لعدد الأفراد.إن الناس الذين يحيون حياة اجتماعية يستعملون كلمات يفهمون معناها:وهذا هو شرط الفكر الجماعي, غير أن كلمة مفهومة تصطحبها ذكريات وليس هناك ذكريات لا يمكن أن نطابقها بكلمات وإننا ننطق بذكرياتنا قبل استحضارها, إن اللغة وجملة نسق الاصطلاحات الاجتماعية التي تدعمها هي التي تمكننا في كل لحظة من إعادة بناء ماضينا".

موريس هالفاكس

ـ أكتب مقالة فلسفية تعالج فيها مضمون النص.

ـ موضوعات للتحليل والمناقشة:

1. :"إن الحدس مسلمة متقدمة لفهم الذاكرة وبيانها". فند هذا الرأي وأبطله.
2. :"إن الآلية مفسرة للذاكرة وتداعي الذكريات في النفس".أثبت بالأدلة العلمية والمنطقية صدق المقولة.
3. :"إن العضوية في صورها المتعددة تلبي حاجة الفرد لفهم ماضيه وتعاقب ذكرياته".هذه الأطروحة تبدو غير سليمة ومع ذلك توجد مبررات تثبت صدقها.
4. :"إنني أتذكر كل شيء الأسماء والأعلام وكذلك الأشياء".هذا القول ابحث له عن مبررات تدعمه.
5. :"إن استشراف ما هو آت هو تمثل الشيء في المخيلة ,وتمثله يقلل قدرة المبدع على الإبداع". هذه الأطروحة وإن بدت صحيحة فهي تحتاج إلى إبطال.
6. :" في الاختبار أستعين بذكائي وخيالي وكذلك قدراتي الذاتية فأتذكر ما أحتاجه بكل يسر". ما هي الأدلة التي تثبت صدق ذلك.
7. إذا كان لكل فرد ذكرياته الخاصة, فهل في ذلك استبعاد للأثر الاجتماعي في تكوينها؟
8. :" إن التخيل هو استعادة صورة نتمثلها بشكل قبلي ." بالرجوع لما أبدعه الإنسان بين قيمة الأطروحة واستدل على صدقها.
9. إذا كنت بين موقفين متعارضين يقول أولهما إن النسيان يحول دون التذكر فتحصل الإعاقة ويعرف المريض أمراض الذاكرة. ويقول الآخر: إن النسيان يحول المبدع إلى واهم ينفلت من الواقع الذي يحيط به. حاول أن تفصل بين الموقفين المتعارضين.
10. الوضعية :"إن سقوط عادل في الملعب نتج عنه إصابة على مستوى الدماغ فكان من نتائجه المباشرة أنه افتقد القدرة على التذكر ولولا تشخيص الحالة وتقديم العلاج لكانت الحالة أسوء". على ضوء دراستك لمشكلة الذاكرة,قدم تفسيرا يتفق مع الوضعية.

ـ الإشكالية: في إدراك العالم الخارجي.

ـ المشكلة: في العادة والإرادة.

## I إلى أي حد تعتبر العادة" بالرغم مما يطبعها من رتابة وآلية." أداة للتكيف مع الواقع؟

### أولا: العادة والطبيعة الحيوية:

إن ما يسترعي الانتباه هو قدرة الكائن الحي وخاصة الإنسان على بناء العادات كأن يتعود الطفل الجلوس أو المشي وهذا سلوك مشترك بين الكائنات الحية ,لأنه يتناسب مع وضع الكائن الحي وفق مكتسباته الفيزيولوجية ودرجة تطوره ,وجاء التصور العلمي سنة 1940 لما عرف علم النفس مصطلح عادة على أنه يحمل على السلوكيات الجسمية التي تنتظم في حركات آلية يمكن أن تظهر في صورة التعبيرات اللغوية, أو القدرات الذهنية المنتظمة وهذا التعريف أخذ به وبسطه العالم كلارك هيل k. Hull 1884- 1952م. هذا يعتبر انقلابا حقيقيا أخرج مصطلح العادة من التحليلات الفلسفية الصورية, وأعطاها صيغة علمية تتحقق في حقل المعرفة العلمية وبنائها و هكذا تكون العادة صيغة مكتسبة في السلوك تنشأ عن طريق الخبرة وتكتمل بشكل آلي,ومهما تغيرت أو تبدلت فلا تخرج عن قاعدة الاكتساب, حتى أن علماء التحليل النفسي قد وضعوها في مقدمة الفعل وفسروا بها الاستجابات وردود الأفعال كالمظاهر القائمة على الاندفاع العدواني و الغريزي, فهي كيفية راسخة في النفس, أو هيئة مكتسبة تمكن الفرد من أداء الأفعال بكل يسر, فإن كانت سريعة الزوال سميت حالة, وإن كانت متعسرة سميت ملكة العلم المعاصر يعرفها على أنها تلك القدرة المكتسبة بطريقة آلية بالنظر إلى الخواص التالية: السرعة والدقة والاقتصاد في الجهد و تعتقد المدرسة الغشتالتية أن مصطلح عادة تطلق على صورة الفعل المتفرد و المستقل في النفس الإنسانية كأن يتعود الرياضي والتلميذ الطرائق المعاصرة في التعلم فلا يكتفي بدور الملاحظ الناقل السلبي بل هو يندمج بذاته ووعيه ويسقط ما تعلم على واقعه فيدركه ومن ثمة ينتصر وينجح,ولذلك نجد أن مصطلح عادة كماهية و تعريف يقود إلى النتائج التالية:



1- العادة هي التكيف العام الحاصل بأشكاله المادية و الحيوية.

2- العادة ظاهرة حيوية منفصلة عن الوعي .

3- العادة كيفية حاصلة بتكرار الفعل .

إن العادة في مفهومها الواسع هي الطريقة العامة التي تحدث القدرة لدى الكائن الحي فيتكيف وينسجم مع وسطه الحيوي,ويكتسب

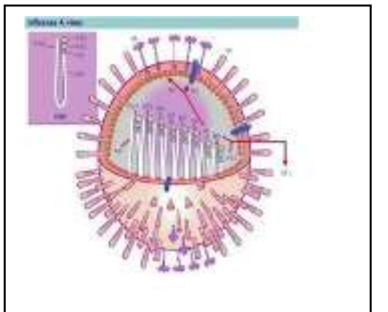
قدرة آلية منتظمة بقوانين غريزية تصل إلى درجة الإعجاز ونجد ذلك في حياة النحل يقول تعالى في محكم تنزيله: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} (68) سورة النحل ندرك ذلك خاصية النظام و الانتظام, حتى إن الإنسان البدائي أدرك مفهوم الجماعة من وحدة وقوة ونصرة, لذلك ندرك أن أول عادة يكتسبها الكائن الحي هو أداء التكيف مع الوسط وهذا مشاهد في حياة الكائنات لذلك تأثر الإنسان بسلوك الكائنات الحية فاكتشف طبيعة النظام السياسي ونظام الحياة الجماعية وعلاقة الحاكم بالمحكوم من مجتمعات النحل والنمل, إن من يدرس حياة الإسكيمو يدرك قدرة الإنسان على التلاؤم مع الوسط مهما كانت شدته وقسوته, حتى في الحياة المعاصرة يكتسب الإنسان عادات تمكنه من معايشة المتغيرات, فهو يتعايش مع الضجيج ومع التلوث وتعقد الحياة المدنية, ويمكن أن نشير إلى العلم البيولوجي وكيف أشار لوجود تلك القدرة الهائلة في اكتساب ما يحافظ على الوجود الحيوي والمثال هو قدرة الفيروسات على التكيف ضد المتغيرات الطارئة حتى إمكانية التحصين ضد المضادات الحيوية ووسائل العلاج بما يكتسب من قوة تكون وسيلة دفاع ذاتي تجعل وقفه والحد من انتشاره متعسرا و على ضوء هذا نصل إلى نتائج تحدد وضع العادة في السلوك والقدرة على إحداث التكيف وجعل العادة طبيعة أولى:



1- هنالك ظاهرة عامة هي التكيف البيولوجي والفيزيائي الذي يمكن الكائن الحي من التعايش مع المتغيرات ويمكن أن نقارن بين حياة النحل ومجتمعات الإسكيمو, والنظرة البيولوجية لحياة الميكروبات والفيروسات ونتذكر المقولة التالية:" انقرضت الديناصورات وبقيت الفيروسات".

2- إن آلية الفعل وتكراره في مستواه البيولوجي ينعكس على حالة الوعي والاستجابة العصبية نجد أن عامل التكيف يعزز القدرات إن من يشتغل ليلا مع تكرار العمل يكتسب قابلية زمنية يتغير الفعل عنده فيعاكس الزمن فهو يشتغل ليلا وينام نهارا مثلا.

3- العادة كيفية نفسية تحصل بتكرار الفعل وإعادته, فيتولد لدى الكائن الحي القدرة على الممارسة فيمتزج فعله بالعزم والإرادة أن الجندي الذي يحرس ليلا يكسب نفسه فعل الحراسة كقواعد وقوانين ويلزم نفسه



بالعزم والإرادة لأنه يقوم بواجب تقتضيه عقيدته ووطنيته.

4- ميز مين دوبيران بين العادة الفاعلة actives وهي كأن يتعود الصبي المشي أو الكتابة, والعادات المنفعلة passives كأن يتعود الكائن الحي المؤثرات والتغيرات الخارجية كأن يتكيف مع الارتفاع والانخفاض ويتعايش مع التضاريس والمناخ.

- إن العادة في مفهومها العام هي ذلك النشاط الذي يتكرر صدوره عن الأفراد بكل يسر وسهولة, كأن يقرأ الطفل صورة من القرآن بكل يسر وطلاقة, لذلك نصل إلى هذا التعريف الاصطلاحي:" العادة ذلك السلوك المكتسب المتصلب والثابت القائم على الآلية الذي لا يمكن أن نفصله عن الوظائف الحيوية لعامة".
لاحظ أغجر أن العادة طبيعة الأولى وأن إمكانية التمييز بين الفاعلة والمنفعة غير ممكن والأجدر أن ننظر إليها من زاوية السلبية والإيجابية, ونقرر القاعدة التالية: يستقبل السلوك ويكتسب عادات سلبية habitude négative وعادات إيجابية habitude positive .

- هل هناك إمكانية فصل تام بين الغريزة والعادة؟

- إن الغريزة هي الدافع الحيوي الأصلي الموجه لنشاط الفرد, وهي القوة الفطرية التي تحافظ على بقاء الكائن الحي كغريزة الحياة مثلا وهي تتميز عن العادة:

1. الغريزة سلوك فطري أما العادة فهي صيغة مكتسبة في السلوك.
2. الغريزة تتميز بالشمولية وهي مشتركة بين كل الكائنات الحية, في حين أن العادة سلوك يوصف بالتميز.
3. الغريزة صورة حيوية, كالتدافع من أجل البقاء وأما العادة فهي وظيفة تتجه نحو تطوير السلوك.

- هذه المقارنة تبين أن العادة تفضي إلى خاصيتين هما:

1. الثبات: هذه الميزة تتحقق بالاعتياد وهي تحدث صورة التكيف في سلوك الكائنات الحية.
2. الآلية: وهي تدل على القدرة الفائقة على اكتساب المهارات,ونلاحظ ذلك في السلوكيات الملتوية التي تقوم بها الحيوانات بعد الترويض كما نجد ذلك في سلوكيات حيوانات السرك أما ملاحظة سلوك الإنسان المتعلم فإنها لا تحصى, فهو بالتعلم يكتسب ما يحتاجه بالخارج كالكتابة والرياضة مثلا.

- تكون العادة طبيعة أولى لما يقتدر الكائن الحي على التكيف مع وسطه الحيوي والتعايش معه بشكل تلقائي, فتكون العادات قدرات مكتسبة بطريقة آلية مع السرعة والدقة والاقتصاد, وتقلل الجهد الذهني وهي مكتسبة في حين أن الغريزة وراثية.

ثانيا: العادة نتاج التعلم والاكتساب:

الوضعية:"لاحظت الأم كثافة الدروس المقدمة لابنتها في سنتها الأولى الإعدادية ,فقررت وبشكل عاجل القيام بدروس تقوية في البيت,فأحضرت كراسة خطوط وحروف,وبصعوبة كبيرة أقنعتها بأهمية الكتابة ,واستعانت الأم بالتكرار و الإعادة لتمكن أعضائها من التكيف مع التغيرات الجديدة ,ومع الزمن تعلمت مسك القلم ورسم الحروف ووصل الكلمات وبناء الجمل ,وبين الحين والآخر كانت تشجعها وتحفزها ,وتكلل هذا بنجاحها وتحقيق نتائج مشجعة تعكس الجهد الذي بذلته الأم".

ـ التفسير: ـ قال أرسطو قديما:"العادة طبيعة ثانية." وبين ذلك بقوله :"العادة بنت التكرار." هذا الفعل نشاهده في سلوك الأطفال في الجزائر, فهم يتوجهون بعد صلاة الصبح إلى المدارس القرآنية فيندمجون في الذكر والحفظ فتتكون لديهم طبيعة ثانية فيكون التعلم بالسماع ثم تثبيته بالكتابة على اللوح,ويمكن أن نتعرف على فعل الاكتساب بالنظر إلى قوانين التعلم و إن العادة ناشئة عن التعلم القائم على اكتساب القدرات والخبرات التي تحدد سلوك المتلقي مع العلم أن معادلة التعلم تقوم على طرفين معلم حامل معرفة ومتعلم يكتسبها, ويمكن أن نوسع دائرة البحث فنكتشف اهتمام الإنسان وعنايته منذ القدم تحصيل طرائق التعلم ويمكن أن نلخصها كما يلي:



1. العضوية والتكرار: أشرنا إلى مقولة أرسطو:" العادة وليدة التكرار ". هذا التصور الفلسفي أضحى في العصور الحديثة والمعاصرة عماد مدرسة سيكولوجية التعلم وهي النزعة الآلية أو الإرتباطية, فهي قد فسرت عملية التعلم بآلية ارتباط أجزاء وعناصر منفصلة الطفل مثلا في البداية يتعلم الحروف بآلية التكرار ثم يقوم بعملية التجميع, ونحن نتذكر كيف حفظنا سور القرآن الكريم, وكيف أن الآباء يراجعونه بالتكرار في المساجـــــد ويمكن كذلك مراجعة الإسكيمو العامرة بالشواهد.
2. العامل العقلي: المدارس والمؤسسات التعليمية تخضع منتسبيها لشرط السن, لأن العامل العقلي لا ينفصل عن تطور الوظائف الدماغية والعصبية, لذلك يوفق واضعي المناهج التربوية بين محتويات البرنامج وبين نسب المستويات العقلية لضبط نسب التحصيل.
3. العامل النفسي: إن التصور الغشتالتي يرفض التفسير الذري ويلغي نظرية الجمع بين الأجزاء, لأن المتعلم لا ينفصل عن نظرية الإدراك

الكلي لصورة كشكل وبنية, لأن المتعلم يعدل مكتسباته بقوانين الإدراك الموضوعية, لأن الطفل مثلا يتفاعل مع كتابه "القراءة" تفاعلا حسيا نفسيا, فهو يندمج مع الصور والخطوط وكذلك الألوان, بينت الدراسات المعاصرة أن أهمية الكتاب المدرسي ليست كامنة في تراكمه المعرفي بل في طريقة عرضه ووضعه, وحدد علماء النفس الغشتالتي مبدأ الفاصلة الفضلى وهو أن نجعل في فترات التعلم فواصل يستريح فيها المتلقي حتى نثبت المعرفة ونكسبها صفة الطبيعة الثانية, وهذا يدعم النشاط الذاتي ويفتح أفق الكفاءة والبحث والتواصل.

4. العامل الاجتماعي: إن الدراسات الاجتماعية المعاصرة قد ساهمة في تشكيل نظريات التعلم, لأن الفرد لأن الفرد في اعتقادهم ابن بيئته ووسطه الاجتماعي والعلاقة بينهما علاقة التأثير والتأثر, لأن المجتمع في بناء القدرة على القبول أو الترك, فنجد المجتمعات الناهضة يقبل أبناؤها على التعلم على اختلاف المجتمعات المتخلفة, وتفسير ذلك وجود المقتضيات والعوائق.

ـ ما هي أنواع العادة ؟

الوضعية:" في عيد ميلادها الخامس تذكرت العائلة كيف كانت خديجة في أيامها الأولى تستقبل هذا العالم بحركاتها وإشاراتها الأولى, ورغم البراءة فقد أدركت أن هذا العالم الفسيح فيه ما يفرح وفيه ما يحزن وأن الفرح إن وجد فلا تكتمل صورته إلا في أحضان الأسرة السعيدة, هذا وغيره تعلمته من الواقع الذي تعايشه وستكتسب بمرور الزمن ما يمكنها من التكيف مع المتغيرات ستتعلم الكتابة والقراءة, وكذلك آداب السلوك لتكون مثالا يقتدي به الآخرين".

ـ التفسير: يرى علماء النفس أن إمكانية الفصل بين أنواع العادات يبدو مستحيلا ,لأن الأنا الإنسانية وحدة وانسجام ,ومع ذلك يمكن ترتيب العادات كما يلي :

1. العادات الحركية: تقترن عادة بأوضاع الجسم كتعلم الكتابة والرماية و ركوب الخيل.
2. العادات النفسية: ولها مستويان:

ـ المستوى الأول: وهو يفسر بميل الفرد ورغباته وكذلك أهواؤه, كأن يناصر فريق رياضي ويستميت في الدفاع عنه.

ـ المستوى الثاني: وهو يمثل النشاط العقلي, كتطبيق القواعد النحوية أو احترام إشارات المرور.

3 ـ العادات الاجتماعية:وهي سلطة المجتمع المفروضة بشكل قسري على إرادة الأفراد,فنجد أن لكل مجتمع عاداته وتقاليده وكذلك أعرافه.

ثالثا:العادة في خدمة التكيف:

إن رفع كفاءة المقاتل والمدافع عن وطنه لا تكتمل بالدروس النظرية ورسم الخطط الإستراتجية, لأن القوة الحقيقية كامنة في القدرة على التكيف و مواجهة كل ما هو حاصل بمقتضيات الفعل غير المنتظر الذي يظهر فجأة وبشكل طارئ وغير المنتظم لذلك نستخلص تكوين العادات الصحيحة كما هو حاصل عند الرياضيين يحقق بالضرورة النتائج المرجوة ولتكوين العادات وبناء الخبرات خصائص هي:

1. جعل العمل معتادا وميسورا.
2. إتقان العمل واكتساب الخبرة والكفاءة.
3. الاقتصاد في الوقت وتقليل الجهد بالنظام.
4. تكوين سلوكيات إيجابية تتجاوز العوائق وتحد من الخطر.

5 - تحميل المتعلم المبادئ والثوابت ورسم الشخصية القوية التي لا تتأثر بالدعاية أو ترويج الأفكار الفاسدة.

### II - الإرادة المصحوبة بالانفعال تزيل التكيف وتعيقه :

#### أولا: الفعل الإرادي وإنسانية الإنسان:






الوضعية: لاحظ الفرق بين الصورتين الفعل واحد وهو الانفعال والنتيجة معاكسة ومناقضة, هناك من جعله قوة وانتصارا وهناك من جعله ضعفا وانكسارا.

ـ التفسير: في كتابه المقابسات عرف أبو حيان التوحيدي الانفعال بقوله:"إنه شيء يجري على خلاف ما يجري به الأمر الذي هو بالتمييز والفكر".نجد أنه من الطبيعي أن ينتج الانفعال عن مؤثرات يتلقاها الكائن الحي من بيئته فنحن نفسر خوف الطفل وبكاؤه لما يشاهد حيوانا مفترسا ويأتي بشكل صوري في مواقف عديدة كالهروب وتجاوز الأخطار المحدقة, وتبقى المعضلة لما يأتي الانفعال عنيفا في صورة الهيجان كالغضب مثلا وتعريفه عند علماء

النفس هو:" الهيجان انفعال عنيف ومفاجئ غير مستديم كالخوف والغضب تضطرب معه التصورات الذهنية ويختل التوازن العضوي, ويفتقد الكائن الحي التكيف والانسجام." هذه الوضعية الهيجانية يمكن تعديلها لما يكتسب الكائن الحي صيغ مكتسبة في سلوكه تعطيه القدرة على تجاوز الأخطار, لذلك يتعلم الأفراد فن الإنقاذ والتفاعل بشكل إيجابي مع الأخطار المحدقة كمواجهة الزلازل والكوارث الطبيعية وأضحت هذه ثقافة عالمية مشتركة و نحن ندرك مثلا أهمية تعلم قواعد المناصرة الرياضية, فتوضع لها الحدود والضوابط, فيتم تعليم المناصرين قواعد السلوك منذ الصغر حتى نمنع مظاهر العنف في الملاعب, فيظهر المجتمع مقيدا بعادات وسلوكيات تتفق مع القيم والمثول العليا, إن ما يحطم الفرد والجماعة ويحولهما إلى أداة تحطيم وهدم هو امتزاج الأفعال والسلوكيات بالمظاهر الانفعالية الهيجانية.

ثانيا: ماهية الإرادة.

ـ الوضعية:"قالت الأم لابنتها:أتمثلك مؤمنة صادقة, زادك إيمانك ويقينك بالله وهذا موضعه قلبك أما صبرك ويقينك فهو كامن في عقلك فإذا جمعت بينهما في فعلك وسلوكك حققت العزم والإرادة واستقبلت أحسن الأيام وأجملها".

ـ التفسير: اعتبر لالاند في قاموسه الفلسفي أن الإرادة هي ذلك الغرض الذي نشعر به ونريد تحقيقه وبلوغه, مع ضرورة تصور الأسباب الداعية إليه, وكذلك الصادرة عنه مع إدراك قيم الشيء والعزم على التنفيذ كأن يعزم الطالب على تحقيق النجاح فيقبل على حفظ وتثبيت ما يمتلك من معارف و إن للإرادة جملة شروط تحدد ماهية الإنسان كإنسان نحددها كما يلي:

1. الإيمان: قال الإمام الجنيد :"الإرادة أن يعتقد الإنسان الشيء ثم يعزم عليه,ثم يريده ولا تكون إلا بعد صدق النية ."

2. نظام الأفكار: على خلاف العادة تكون الإرادة صفة إنسانية لا تنفصل عن الوظائف العقلية العليا ,لذلك فهي تقترن دائما بقدرة الفرد على التفكر والتأمل وإعمال الفكر الطالب الناجح هو الذي يوقف إرادته على تتبع حل المسائل الرياضية مهما جاءت طويلة ومعقدة.

ـ ما هي صفات الفعل الإرادي ؟

ـ إن الإنسان يحمل في ذاته قوة الإدراك والتمييز المتصلة بإرادة النفس القادرة على الحد من المشكلات التي تقف دونها الإرادة, وإذا تم النظر إليها من زاوية فردية يمكن أن نميز هذه الصفات:

1. الفعل الإرادي جديد: إذا كانت العادة سلوك ثابت فإن الإرادة تدفع إلى الإبداع والتجديد,قد يتعود الخطاط على رسم الخط العربي ويثبت ذلك

في سلوكه كعادات مكتسبة ,ثم يجعل إرادته تنزع نحو الإبداع والابتكار فيبدع الأشكال والألوان فيخرج نفسه من الرتابة والجمود.

2. الإرادة تأمل: إن الخطاط يتأمل في الأشكال والألوان ويضع كل ذلك في نسق عقلاني يحدث الانسجام ويرسم الصورة الإبداعية, إنه يجمع بين العادة والإرادة المتمثلة في الصبر والمثابرة والعزم على الوصول بالعمل إلى مستوى المثال.
3. الإرادة فعل ذاتي: إن الذات الواحدة هي التي تدرك, لما تمتلك القدرة على تجاوز الواقع وإدراك العالم الخارجي بالأدوات والوسائل المتاحة.

ـ ما هي مراحل الفعل الإرادي ؟

ـ وضعية شارحة:" قرر الوالد أن يضع حدا لأزمة السكن التي تعانيها الأسرة والناتجة عن ضيق الشقة, فصارح أبناءه عن عزمه على تجاوز هذا العائق فقال لهم: إن هدفي وغايتي بناء بيت لائق في قطعة الأرض التي نمتلكها, ولقد ناقشت نفسي طويلا وبعد مداولة وجهد وصلت إلى قرار ضرورة بيع الشقة بحكم أنها ملك لنا واستثمار ذلك في البناء, هذه الفكرة لقيت قبولا فقرر الجميع وفي لحظة حماسية الشروع في العمل لأن خير البر عاجله".

ـ التفسير: إرادة الوالد وتوافق العائلة وجد حلا لمشكلة مستعصية لا تحل إلا بالجهد والثبات والإيمان, وأن هذا الحل قد احتاج إلى مراحل تحسم الفعل الإرادي وهي:

1. تصور الهدف: وهو بناء التصورات والأحكام.
2. المداولة: وهي القيام بالاستدلالات المنطقية الصادقة.
3. القرار: وهو الوصول إلى النتائج والتأكيد على صدقها.
4. التنفيذ: وهو تحقيق الفعل حقيقة, و أعتباره كخطوة حاسمة وإلا أضحى مجرد تمني.

ثالثا: الإرادة كانفعال يعيق التكيف:

الوضعية:" قال لصديقه أتمنى لو أنني امتلكت مالا واقتنيت سيارة, لقمت بجولة إلى الجنوب الجزائري, وأختار في منطقة الهقار موقعا يجسد حضارة الطاسيلي, وأجعله موقعا للسياحة الثقافية, وأشيد مقرا وأجعله مزارا يعيد للجزائر رياديتها العلمية والمعرفية, وأشترط على العاملين التقيد بالتقاليد في الأزياء والطعام ونظام المكان, سيأتي السياح من كل مكان, وخاصة من آسيا لأننا نمتلك معهم ثقافة مشتركة هي ثقافة الشرق فقال له المستمع: ليست المشكلة في المنتجع السياحي الذي تحلم به, إن المشكلة في من يدفع أجرة الحافلة الآن".

التفسير: توجد عوامل مؤثرة صادرة عن الانفعال تفسد الفعل الإرادي وتزيله من ساحة الوعي وهي:

1. الهوى: هو الميل والعشق وصوت النفس الأمارة بالسوء, وهو عند الفلاسفة ميل النفس الشديد إلى ما تحب وتشتهي محمودا كان أو مذموما.
2. الرغبة: وهي الحرص والطمع في تحصيل الشيء وهي كذلك النزوع إلى المطلوب والشوق إليه ومن الفلاسفة من يقابل بينها وبين الإرادة يقول أ. رينان:" الرغبة هي المحرك الإلهي الأكبر لفاعلية الإنسان".

III التميز بين الإرادة والعادة يبني العلاقة الوظيفية :

أولا: موقع الإرادة في تكوين العادات:

الوضعية :" إن المناورات العسكرية التي يقوم بها الجيش الوطني الشعبي الجزائري تفترض وجود عدو قوي في عدده وعتاده لذلك قام القادة باستعدادات ميدانية راجعت كل شيء,أعادت النظر في التدريبات الدقيقة وخاصة مكتسبات الجنود والضباط, وراجعت كذلك مستويات التسلح بمقتضى التطور العلمي الحاصل في العالم فوضعت كل الفرضيات المحتملة, وبعد التحضير التقني والآلي تمت مراجعة الاستعداد النفسي, ثم شرعت القيادة برسم عملية نوعية مستحدثة من أهم التصورات في علم الإستراتيجية العلمية المعاصرة, فجاء العمل والفعل منسجما مع التحضير,حتى أن من حضر المناورة لم يشاهد حركة عسكرية آلية إنما شاهد استعراضا فنيا رسمته أنامل فنان مبدع"

التفسير: إن إمكانية الفصل بين العادات كصيغ مكتسبة في السلوك و الإرادة كفعل نفسي يتسم بالعقلانية والتأمل يتيح ضبط مستويات السلوك والتحكم في الفعل وضبط نتائجه وردود أفعاله.

ثانيا:التكامل بين العادة والإرادة.

الوضعية:"لاحظ حسام الدين فعل الأعداء في الأمة الإسلامية ,ومدى الحرب النفسية التي تشن على الإسلام من قبل أعدائه فقرر أن يكون داعية للخير والسلام ومبلغ رسالة هدا الدين العظيم,فقرر أن يحفظ القرآن الكريم وأن يتعلم اللغات الأجنبية المهمة في العالم ويتقنها حتى يحسن لغة الخطاب ويكون مثالا صالحا يقتدى به في عمله وفعله".

التفسير: يستطيع أن يحقق غايته إدا ألزم نفسه بالخاصيتين التاليتين:

1. تبقى الإرادة متقدمة في كل فعل, وأن ما نكتسبه من معارف هدفه تحصيل غايات سامية ترسم مثالية الفرد وتميزه.
2. يجب أن تكون القيم الاجتماعية وثوابت الانتماء والهوية ماثلة في كل عمل نريد تحصيله.

- قواعد التكامل بين العادة والإرادة هي:

1. إن التكامل بين العادة كوظيفة بيولوجية حيوية والإرادة كفعل صادر عن العقل ضروري.
2. الإرادة متقدمة عن العادة بحكم ميزتها الإنسانية.
3. إن وظيفة العادة هي تصحيح الأخطاء ومراجعة النقائص.
4. إن توجيه الفعل الإرادي وفصله عن الانفعالات الشديدة ممكن.
5. العادات تعزز الفعل الإرادي وتقويه.

الرجوع إلى المشكلة وذكر الأهم

العادة والإرادة من الوظائف الإنسانية التي تحقق التكيف والانسجام للكائن الحي مع إمكانية الفصل بينهما بمقتضى التعريف والطبيعة وإن إحداث التوفيق بينهما ضروري لاستقامة السلوك, مع النظر إلى العائق الذي قد يحد من حيويتهما وفاعليتهما ألا وهو الانفعال الذي بشدته قد يخرج الكائن الحي وخاصة الإنسان عن طبيعته ومع ذلك نرتب سلم الأولويات :

1. إذا أفضت العادة إلى التكيف الحيوي مع الوسط والبيئة كانت طبيعة أولى

وإن استقرت بالتعلم كانت طبيعة ثانية.

2. الإرادة فعل إنساني صادر عن العقل محفز للفعل ومعيق للتراخي والإهمال.
3. العلاقة الوظيفية بين العادة والإرادة تؤدي إلى نجاح الفعل وتقيمه.
4. الانفعال في قوته وشدته يفسد فعل العادة والإرادة ويخرج الكائن الحي عن انسجامه وتكيفه الطبيعي والحيوي

## النص

:"إن هناك تناقضا بين فكرة التكرار بأدق معنى تكرار الفعل بعينه,وفكرة اكتساب كيفية جديدة في العمل .فلو كنا نكرر دائما نفس الفعل,لم يحصل تغير ولم نتعلم شيئا أبدا ,فلأننا لا نتقيد بمجرد التكرار, نحن نتعلم ونتقدم ونتكيف.إن الحركات الناجحة في نهاية التعلم بما فيها من اقتصاد للجهد وللحركات غير النافعة ,لا تكرر تلمسات البداية غير الموافقة ,فالقراءة العادية ليست تكرارا للتهجئة وكراس الخط عند التلميذ هو رسم بياني للتغيرات الطارئة في فعله.

ويظهر أنه لا ينفع الإلحاح على هذه الحقيقة البديهية,إذ لا يتجاهل أحد على الإطلاق ما يطرأ على الفعل من تغيرات.ولكن الحس المشترك لا يهتم بالحوادث النفسية الفيزيولوجية.إن الفعل يتحدد ,بالنسبة إليه,بالمقصود الذي يلهمه وليس بشكله أو بشروطه ,فالطفل الذي يتمرن على رسم الحرف "ألف"يصل إلى تحقيقات سليمة أثر فأكثر لهذا المقصود.هذا وقد يحدث أن يصير المقصود في ظرف ما,سهل المنال ليس فقط بالنسبة إلى الطفل نفسه وإنما إلى القراء أيضا:إن للخطوط نفس المدلول على الرغم من اختلافاتها..

وباختصار إن العبارة الشعبية القائلة "إننا نتعلم بالتكرار"لا تقتضي في مرحلة تكون العادة, أي تطابق حقيقي للأفعال بعينها, إنها تعرب فقط عن وحدة المقصود والمدلول.أما في مرحلة الرسوخ فإن الفعل يكون قد استقر والتكرار يبدو أنه آخذ في التحول إلى الواقع.والالتباس ينشأ بسهولة بين التكرارات الواقعية للفعل المكتسب ,ومع ذلك فإن تمييزها يفرض نفسه علينا حتى في حالة اختبار سطحي."

بول غيوم

ـ أكتب مقالة فلسفية تعالج فيها مضمون النص.

ـ موضوعات للدراسة والتحليل:

1ـ:"العادة طبيعة أولى وهي قدرة السلوك على إحداث التكيف مع الوسط ".

إذا كانت هذه العبارة تبدو سليمة فما هي المبررات التي تبطلها.

2 ـ :"الانفعال عائق لنشاط العقل وقاتل للعزم والإرادة". هذه المقولة تحتاج إلى أدلة تثبتها.

3ـ :"إن المبدع هو ذلك الشخص الذي يجمع بين فعل العادة وقوة الإرادة".

برهن على صدق هذا القول.

4ـ إذا كنت أمام موقفين متعارضين يقول أحدهما:"إن العادة هي الفعل الحسن الذي نستحسنه"ويقول الآخر:"إن العادة هي الفعل القبيح الذي نستقبحه".حاول أن تفصل بين القولين.



5ـ الوضعية: صورتان متناقضتان الأولى تبرز مكتبة ولها دلالتها والثانية تبرز لوحة إعلانية عن مضار التدخين على ضوئهما أكتب مقالة فلسفية تحدد فيها أثر العادة في السلوك.

## وضعية مشكلة تعلمية واحد

الميدان: الأخلاق الثابتة والمتغيرة.

المحور: الأخلاق بين الثابت والمتغير.

الكفاءة القاعدية: إدراك وظيفة الخير والشر وتحديد القيمة الأخلاقية.

مؤشر الكفاءة:

1. مبحث القيم في الفلسفة.
2. التعرف على الخير والشر.
3. تحديد القيمة الأخلاقية ومعيار الحكم على السلوك.

سير الدرس

تقويم تشخيصي:

أتعرف على المصطلحات التالية:

القيم الخير الشر علم الكلام المعتزلة الأشاعرة.

السند:

" بين صلاتي المغرب والعشاء, اعتاد إمام مسجد الشيخ أحمد حماني إلقاء الموعظة والدرس, فكلم الحاضرين عن فضائل الأعمال, فذكرهم بالخير والشر في حياة المؤمنين فقال احد الحاضرين وكان كفيفا: لقد عشت ومازلت كفيفا هل أنا في خير أم في شر ؟ فأجابه: إذا رضيت واحتسبت فأنت في خير عظيم".

السياق:

مصدر الأخلاق الله وقداسة المطلق: عرف المسلمون علم الكلام خاضوا في المسائل الكلامية ومن أهمها إشكالية الخير والشر في حياة البشر:

1 ـ المعتزلة: فرقة إسلامية كلامية ظهرت في نهاية العصر الأموي, وشاعت في العهد العباسي وخاصة في أيام المأمون, ولقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة, لتأثرها الشديد بالفلسفات الوافدة على الأمة كاليونانية والفارسية, ويسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد وزعموا بأنهم ناصروا الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ ثم اختلفوا مع الحسن ـ رضي الله عنه ـ لما عقد الصلح مع معاوية ـ رضي الله عنه ـ واستدلوا بقوله تعالى: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا} (48) سورة مريم. وهناك وجوه أخرى للتسمية, وكانت نهايتهم لما استطاع الإمام أحمد بن حنبل أن يدحض حجتهم و ينقض بدعتهم. اعتقدوا أن الله حكيم والحكيم يهدف إلى تحقيق الخير لنفسه ولغيره, ولما كان الله منزها عن الانتفاع لنفسه باعتباره كاملا, لذلك كانت أفعال الله ترمي لخير عباده, فعدل الله يستلزم أن تكون أفعاله تهدف إلى الخير فإذا كان الله يفعل الخير فهو لا يريد الشر, الله هو المطلق, فلا يصدر عنه إلا الخير المطلق , وحتى نفهم مذهبهم نضرب هذه الأمثلة : هناك الكثير من الشرور في هذا

العالم وفاة رب الأسرة, الأعاصير المدمرة, الزلازل القاتلة وكذلك البراكين وما تحدثه من خراب فأجابوا: هذه الأفعال طبيعية وليست أخلاقية, والمشكلة أننا لا نفهم دائما الحكمة من وجودها فالموت عدل, والزلازل حركة طبيعية تعيد للأرض ثباتها واستقرارها وهكذا .

2 - الأشاعرة: هم أهل السنة والجماعة تنسب لأبي الحسن الأشعري - رضي الله عنه - ولد بالبصرة سنة 270 هـ وهو من ذرية الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري , وقال بمقالته أئمة كالقاضي الباقلاني, وأبو إسحاق الشيرازي وأبو حامد الغزالي, بداية انتقد الأشعري المعتزلة وبين أخطائهم, وهذا مذهب انتشر في العالم الإسلامي لأنه عبر عن موقف أهل السنة والجماعة وانتشر في المغرب العربي بفضل دعوة المهدي بن تومرت أيام دولة الموحدين وانتشر في المشرق بفضل دعوة صلاح الدين الأيوبي الذي قضى على الدولة الفاطمية التي ساهمت وبشكل كبير في نشر البدع والضلالات. بداية واجهت الفكر الاعتزالي وانتقدته لأنه خالف منهج السلف الصالح , فأرادوا سد هذه الباب فوضعوا نظرية في القيمة الأخلاقية تتفق مع منهج الأمة ورسالتها, سلموا بأن الله قادر على فعل الخير والشر معا, ولذلك لا يصح القول أنه يفعل الخير فقط, لأن ذلك حد لقدرته, فهو يجازي المؤمن ويعاقب الكافر واعتبروا أن الإنسان لو أدرك الخير والشر بعقله, فإنه لا يلزم بفعل الخير وتجنب الشر, إلا إذا أمره الله بذلك فهو ملزم بما جاءت به الشريعة, لا بما جاء به عقله ثم جاء الباقلاني وعدل هذا القول وقال:" إن كل ما يحدث في هذا العالم من خير وشر راجع إلى قدرة الله بوجه عام, أما من وجه التخصيص فهو أي الفعل كالسرقة والكذب والقتل فيرجع إلى قدرة العبد وحريته".

3 - الماتريدية: مؤسسها أبو منصور الماتريدي توفي 333هـ وقف موقفا وسطا بين المنهج العقلي الاعتزالي ومنهج النقل الأشعري فعدل في الموقفين ووصل إلى النتيجة التالية:"الله هو الخالق وأفعال الخير والشر مخلوقة, والله تبارك وتعالى وهب للإنسان عقلا يفصل به بين الحسن والقبح ,فالصدق صدق والكذب كذب".

**التعليمة:**

## وضعية مشكلة تعلمية اثنان

الميدان: الأخلاق الثابتة والمتغيرة.

المحور: الأخلاق بين الثابت والمتغير.

الكفاءة القاعدية: إدراك وظيفة الخير والشر وتحديد القيمة الأخلاقية.

مؤشر الكفاءة:

1. مبحث القيم في الفلسفة.
2. التعرف على الخير والشر.
3. تحديد القيمة الأخلاقية ومعيار الحكم على السلوك.

سير الدرس

تقويم تشخيصي:

أتعرف على المصطلحات التالية: العقل سفسطائية أفلاطون المثل الكمال

**السند:**

" فاطمة تلميذة على خلق سمعت أذان الفجر قررت أن تؤخر الصلاة ولا تترك الفراش جاء في نفسها أن تقوم قامت ما انتهت من الصلاة حتى سمعت حركة أمها في المطبخ قررت أن تبقى مكانها جاء في نفسها مقام الأم وطاعة الوالدين أسرعت لتشارك والدتها أعمال الصباح نظرت في التوقيت وجدت أن الحصة الأولى تربية إسلامية وتذكرت أنها لم تنجز واجب الرياضيات قررت التخلي عن الساعة الأولى جاء في نفسها أن الوقت المتبقي كاف لإنجاز الواجب وحضور ساعتها الدراسية الأولى ما انتهى اليوم حتى وجدت نفسها مثال وكمال "

السياق:

الفلسفة السفسطائية: شاعت الفلسفة السفسطائية قبل سقراط وأفلاطون وهي في الأصل لفظ يوناني .Sophisme وتفهم في اللغة العربية بلفظ مغالطة,كأن يقول أحدنا هذا طعام أشتهيه فأنا أحبه ويقول الآخر هذا الطعام أمقته فأنا أكرهه,فتكون النتيجة أن الحقائق نسبية هكذا يكون الخير والشر متغيران أي نسبيان قال السفسطائيون:"إن الإنسان مقياس الأشياء كلها". هذا يتناقض مع مسلمات العقل وقواعد المنطق,ويبرر المغالطة ويجعلها معيار للسلوك.

أفلاطون وتأسيس النظرية المثالية وفلسفة المطلق:

بداية رد على مغالطة السفسطائيين بقوله:"أن الإله مقياس الأشياء كلها وليس الإنسان ".لذلك يعجز البشر عن إنشاء القيم الأخلاقية لأن وجودها سابق عليه وهي توصف بالكلية والثبات, وبين ذلك بأسطورة النفس وكيف أنها عرفت عالم المثل ثم نزلت إلى العالم المحسوس وهو عالم وهمي تصنعه حواسنا, فهو يقول:"العلم تذكر والجهل نسيان".

## التعليمة:

## وضعية مشكلة تعلمية ثالثة

الميدان: الأخلاق الثابتة والمتغيرة.

المحور: الأخلاق بين الثابت والمتغير.

الكفاءة القاعدية: إدراك وظيفة الخير والشر وتحديد القيمة الأخلاقية.

مؤشر الكفاءة:

4. مبحث القيم في الفلسفة.
5. التعرف على الخير والشر.
6. تحديد القيمة الأخلاقية ومعيار الحكم على السلوك.

سير الدرس

تقويم تشخيصي:

أتعرف على المصطلحات التالية: كانط إرادة واجب شبنهور عاطفة

**السند:**

مستمد من رسوم تعرض للأطفال:"جريمة بشعة تقع في مستشفى تخصصي فاخر, والضحية طبيب له مكانة ومنزلة مشهودة, يستطيع المحقق الصغير أن يفتح ملابسات القضية,ويفضح المجرم أمام الجميع والدهشة والحيرة تأتي على الحاضرين فتذهلهم وكان السؤال الذي يتردد بين الجميع هو:كيف يقتل الصديق صديقه؟ و في لحظة ضعف قاهرة ينهار المجرم ويشرع في الاعتراف: كنا صغارا متحابين ومتآلفين نتقاسم أحلام النجاح وكانت الأمنية الطب كمهنة وتخصص يحضا صاحبها بالاحترام والتوقير,وجاء الامتحان العام النهائي ووقعت الواقعة,لقد أخفقت في الامتحانات الأولى وأعلمت صديق العمر بذلك,وأعلمته بما سولت لي نفسي,سأستعين بمدرس بائع لضميره وشرفه وكان الغش مخرجا وملاذا ونجحت وتذوقت طعم الخطيئة والجريمة لأول مرة,وانتهت الدراسة واشتغلنا في هذا المستشفى,وتوالت الأيام وتعاقبت,ويتقاعد المدير ولسد الفراغ تم وتقرر أن أشغل هذا المنصب,هذا أوقع الغضب في قلب الصديق وفي لحظة غضب صرخ أمامي وذكرني بما نسيت,ولأنني طبيب لم أجد صعوبة في كتم أنفاسه وللأبد.

قال المحقق الصغير:يفترض أنك طبيب عارف بالواجب ومقاصده ترفع عن البشر العذابات والآلام ولا تقتلهم.

قال المجرم:إن الذي ارتكب الجريمة الأولى لا يعبأ بالثانية.

ـ ثم ينهار ويصاب بحالة هستيريا ويصرخ:الذنب ذنبه.

ـ وهو يحمل ويجر من قبل الشرطة يكثر الهمس ويتساءل الحاضرون عن المجرم الحقيقي:هل هو القاتل أم المقتول ؟ أم أن المجرم هو ذلك المدرس الذي باع ضميره وشرفه ؟ ".

السياق:

## الفلسفة الكانطية وأسس ميتافيزيقا الأخلاق:

إن فعل الأخلاقي يقتضي تحقيق روح الواجب في السلوك وإلا تحولت حياة الإنسان إلى شر ممتد في أعماق النفس تعجز القوانين الرادعة عن وقفه. لذلك بنا إ. كانط صرح أخلاق الواجب في الفلسفة الحديثة وقضى حياته بين ميلاده ووفاته" 1724 - 1804" مشتغلا بقضايا الفلسفة وهو ألماني ومن أهم مؤلفاته نقد العقل الخالص ونقد العقل العملي و أسس ميتافيزيقا الأخلاق, وبعد وفاته نقش تلامذته على جدار بيته هذه العبارة:" السماء مرصعة بالنجوم من فوقي, القانون الأخلاقي في أعماق نفسي". ولتبسيط نظريته نطرحها كإشكاليات فلسفة مرتبة ومنظمة.

### ـ ما هو موضوع الأخلاق ؟

إن موضوع الأخلاق هو ما يجب أن يكون عليه السلوك والقاعدة تقول:" تستطيع, يجب عليك". إذا كان لابد أن تحقق في نفسك الصدق أو كذب, افعل بمقتضى الواجب وكن صادقا. مع العلم أن هذه القدرة على التمييز لا يمكن تحصيلها بالعلم لأن مجاله الظواهر, وكذلك الفلسفة لأنها تختص بدراسة القضايا الماورائية المفارقة للحس, فالصدق لا يمكن فهمه كما تفهم معادلة كيميائية في سلسلة عناصرها الأولى, وكذلك لا ندركه كما ندرك مسألة العالم والوجود,وهكذا نكتشف أن مجال الفعل الأخلاقي الذي يعمل بمقتضى الواجب هو العقل نفسه, وبالتحليل والتأمل سنكتشف أن العقل الإنساني يقوم بوظيفتين ,الأولى نظريته ومجالها العلم كالنظر في المسائل العلمية باختلافها وتنوعها, أما الثانية فهي عملية والقصد هنا هو الضمير الأخلاقي,عند كانط العقل النظري أحدد به المسافات والنسب مثلا, وبالعملي أقرا بأن الأمانة أمانة والخيانة خيانة.

### ـ الضمير معيار الخير والشر فأين دليله ؟

إن دليله وصدقه موجود بوجود الإرادة الخيرة أو الطيبة هي التي تثبت إنسانية الإنسان وهي فقط التي توصف بصفة الخير المطلق لأن السوء والشر يعرض للفرد من خارج, يولد الطفل على الفطرة البيضاء الخالصة من كل الشوائب.

### ـ إذا كانت الإرادة الخير نفسه ما هو مصدر الشر ؟

لحل هذه المعضلة ميز كانط بين نوعين من الأوامر:

1ـ الأوامر الشرطية: وهي المقدمة الملازمة لاقتراف الآثام وعبر عنها كانط بقوله:" إن استهدفت شيئا معينا فتوسل إليه بشيء معين". لو افترضنا مثلا وجود أب يعول عائلة إلا أنه يعيش الفاقة والاحتياج, قد يتوسل بفعل لا أخلاقي وهو الرشوة فيحقق غايته ويجد لنفسه عملا, مهما كانت النتائج المحققة إيجابية يبقى أن الفعل قد فقد يقينه الأخلاقي,ولوان تلميذا ضعيف النفس استعان بالغش,

سيصل إلى غاياته المادية حتما ويفقد معها الشعور بالعزة والشرف, ويتساوى في فعله مع المجرمين والمنحرفين.

2ـ الأوامر القطعية: هو ذلك الفعل القبلي غير المستمد من التجربة الحسية وهو يجعل سلوك الإرادة يتصف بالعقلانية والالتزام, إن المرتشي والمختلس مثلا قد يبني قصرا في عالم الحس والمادة ويفقد معه معنى الشرف والعزة والرضا عن النفس.

ـ إذا كان الأمر القطعي هو المقدمة للفعل الأخلاقي فكيف نثبت صدقه؟

يضع كانط مجموعة من المسلمات تعين المرء على إدراك غاية الفعل وقطيعته ونذكر منها:

:" لا تفعل الفعل إلا بما يتفق مع المسلمة التي تمكنك في نفس الوقت من أن تريد لها أن تصبح قانونا عاما".

:" افعل كما لو كان على مسلمة فعلك أن ترفع عن طريق إرادتك,إلى قانون طبيعي عام".

:" افعل الفعل بحيث أن إرادتك تستطيع أن تعتبر نفسها هي المشرعة للقانون العام الذي تخضع له".

ـ تحقق الفعل الأخلاقي في صورة الواجب هل يعني ذلك الرجوع إلى الفلسفة من جديد ؟

ـ 1ـ مسلمة الحرية: عرف الجرجاني المسلمة بقوله:" قضايا تسلم من الخصم ويبنى عليها الكلام", بمعنى أننا نسلم بقضية عامة ومنها الحرية ونفترض صدقها دون وجود ذلك البرهان العقلي أو الحسي على وجودها حقيقة, فهي في الفلسفة الكانطية صورة معقولة متعالية وخير مثال أن المختلس أو قابض الرشا قد يجمع الثروات ويمتلك العقارات ويبقى ماله في كل الأحوال مال سحت وحرام, إذا ساهم في خير فلا يعد من الأخيار,وإذا تصدق فهو ليس من المتصدقين,من رضي بفعل الخطيئة يكون قد فقد حريته ووجوده بالضرورة.

ـ 2 ـ مسلمة خلود الروح: الروح تقيم النفس وهي جزء منها, واختلف الفلاسفة في ضرورة التميز بين النفس والروح فقال فريق هما متمايزان, وقال فريق هما شيء واحد والفلسفة الكانطية تؤمن بثنائية النفس والجسم مع العلم أن حياة الإنسان أقصر من إدراكا ته وطموحاته, لذلك وجب التسليم بوجود عالم آخر هو عالم المطلق والكمال فيه يجد الإنسان فعله ويكتشف قيمته.

ـ إذا كان الله هوا لكمال والمطلق فكيف نفهم تناقص وتنافر أفعال البشر؟

يقول كانط:" إن وجود الله ضرورة أخلاقية" والله تبارك وتعالى يوفق بين السعادة والفضيلة و ويحسم التناقض, وفي عالم الكمال يعطى لكل ذي حق حقه إنه عالم المثال والخلود الأبدي.

شبنهور وفلسفة الواجب: لقد استطاع كانط أن يبني صرح أخلاق الواجب واستطاع بعبقريته الفذة أن يبني صرح الأخلاق دون منازع وجعل مشروعية الأخلاق في الفلسفة الأوروبية الحديثة مبرره, ومع ذلك يجد له آخذ يمكن حصرها كما يلي:

1- الغلو والمثالية والنظرة المتعالية لصورة الأخلاق.

2- فصل الفعل الأخلاقي عن عالم الأحاسيس والمشاعر.

3- إن صورة الإنسان عند كانط مثالية تقدمه كملاك طاهر منزه عن الخطأ والزلل.

4- قد يقتل القاتل ويسرق السارق ويعتقد بأن فعله خيرا وله مبرراته, لأن القيمة الأخلاقية نسبية ومتغيرة بتغير الزمان والمكان.

**التعليمة:**

## وضعية مشكلة تعلمية رابعة

الميدان: الأخلاق الثابتة والمتغيرة.

المحور: الأخلاق بين الثابت والمتغير.

الكفاءة القاعدية: إدراك وظيفة الخير والشر وتحديد القيمة الأخلاقية.

مؤشر الكفاءة:

1. مبحث القيم في الفلسفة.
2. التعرف على الخير والشر.
3. تحديد القيمة الأخلاقية ومعيار الحكم على السلوك.

سير الدرس

تقويم تشخيصي:

أتعرف على المصطلحات التالية: اللذة المنفعة أبيقور جرمي بنتام

**السند: وضعية تجمع بين الطورين ي والحديث صورتان**

" المجتمع اليوناني القديم كغيره, عرف حياة البذخ والإسراف, ووصل إلى أقصى درجات الفسوق والانحلال الأخلاقي وهذا انعكس على قيمه ومعاييره الفكرية والمعرفية, فساد معيار المادية الذوقية, وسعى الأغنياء والأقوياء لتجسيد هذه الحقيقة, فكانت الموائد المفعمة بالمآكل والمشارب فهي عندهم مقياس للعلو والرفعة, وفي هذا فليتنافس المتنافسون".

السياق:

السعادة في اللذة:

إن اللذة غاية الوجود الإنساني, وهذا ما يفسر التنازع والاقتتال بين الناس قديما وحديثا, عرفت الأخلاق المادية تطورا اقترن بتبدل وتغير حياة البشر, ويمكن أن نصنفه إلى طورين تاريخيين هما:

الطور اليوناني:

1- أرستيب القوريني Aristippe 435 - 355 ق.م وهو من تلامذة سقراط,له نظرية أخلاقية أساسها اللذة ,عكست الواقع الذي عرفه النبلاء والموصوف بالترف والبذخ إلى حد الاستهتار, فهو يعتقد بأن اللذة هي صوت الطبيعة وأنها تفرض على الناس بحكم أنها صادرة عن الفطرة, فلما الحياء ولما الخجل؟ واعتقد بأنها الغاية القصوى والمقياس الفريد لكل فعل أخلاقي, ويترتب عن هذا الموقف انغماس الناس في الملذات والشهوات, وكان من نتائجه الإفراط والخروج عن الطبيعة الإنسانية القائمة على التعقل والتوازن.

2- نظرية أبيقورEpicure 341 - 270 ق.م عرف بالتوسط والاعتدال واعتبره مؤرخو الفلسفة بأنه الواضع الحقيقي لنظرية اللذة في الفلسفة الكلاسيكية, اعتقد بأن الناس يقبلون على الملذات وينفرون من الآلام بالطبيعة والفطرة الراسخة,

واعتبر أن الإفراط نتائجه الآلام والعذابات المتتالية, لذلك طالب بإعمال العقل وضرورة التروي والتأني في الأخذ من الملذات والشهوات.
3- الفلسفة السفسطائية ونظرية اللذة: Sophiste فلاسفة اليونان أتقنوا الجدل العقيم وفن المغالطة, واعتبروا أن الإنسان مقياس لكل شيء, وأن الفضيلة وهم واختراع و أن الخير ما حقق لذة ومنفعة والشر ما حال دون ذلك.
الطور الحديث:
لا فرق بين مصطلح لذة ومنفعة الأول قد يحمل على الصفة الفردية الذاتية, أما الآخر فيحمل على الصفة الجماعية المشتركة في الغاية والهدف الواحد.
يعتبر جيرمي بينتام Bentham 1748– 1832 وهو فيلسوف إنجليزي والمؤسس الحقيقي للمذهب من أهم مؤلفاته" المدخل إلى مبادئ الأخلاق والتشريع", لقد أراد لنظريته أن تحمل صفة العلم وحتى تكون نتائجه يقينية, استعان بمصطلحات العلم الرياضي وذلك بجعل القيمة الأخلاقية معادلة رياضية لها مسلماتها ومبادئها وكذلك نتائجها, بالنظر إلى صفة العالم الواقعي, وعدم الاكتراث بالمثال والقيمة المجردة, فالتاجر مثلا لا يعنيه الإخلاص أو الوفاء, ما يعنيه هو تحقيق المنافع, وبذل الجهد, والاستعانة بكل الوسائل الموصلة إلى الملذات والمصالح.
- النظرية: الأخلاق هي المنفعة والمنفعة هي كل لذة أو كل سبب يقود إلى اللذة, وهي لا تتحقق إلا في سياق معرفي رياضي يقوم على مسلمتين هما:
أ- مسلمة فردية: تقتضي أن كل إنسان ينفرد بالحكم على لذته وسعادته, أحدنا يبيع خمرا والآخر يبيع تمرا فالحكم الأخلاقي عنده سواء.
ب - مسلمة موضوعية جماعية: إذا اتحدت شروط اللذة كانت واحدة بالنسبة للجميع, فالسوق مثلا يسع الجميع ويحقق غايته وهي المنافع والمصالح.
- المسلمتان تؤديان إلى معضلة وهي أن الناس سيندفعون إلى المنافع, وهذا يؤدي إلى التنازع المفضي إلى التقاتل, وحتى تحل العقدة يأتي الحل من القياس والحساب الرياضي فتتحدد الأبعاد, وضع بينتام نسقا رياضيا يتشكل من سبعة أبعاد يمكن حصرها في أربعة أقسام هي: نجد في القسم الأول الشدة والمدة وفي القسم الثاني اليقين والقرب وفي القسم الثالث نجد الامتداد وفي القسم الرابع نجد الخصوبة والنقاء.
- مثال شارح: نفترض وجود دولة عظمى تنتج السلاح وتبيعه وبغض النظر عن طبيعته وشكله, وإن كان قد يستعمل في الحروب أو لا يستعمل, وإن كان قد يتسبب في قتل الأبرياء أولا يتسبب, المهم أنه يحقق منفعة عاجلة وحتى نتحقق من ذلك نضعه في سياق الأبعاد السبعة:
1- ما هي شدته؟

- بعملية رياضية إحصائية سندرك أهمية السلاح وسنضعه في بداية السلم التجاري العالمي.
2- ما هي مدته؟
- إن شعور الدول بالخطر وعدم الأمان, يجعل الأمن متقدما عن الغذاء والدواء.
3- ما هو يقينه؟
- إن سوق السلاح تجارة رائجة والتاريخ يثبت أنها لا تعرف الركود أو الكساد.
4- ما هو قربه؟
- منافعها محققة وثابتة ولم نسمع عن شركة سلاح أعلنت إفلاسها أو أظهرت عجزها.
5- ما هو امتداده؟
- هذه التجارة لها امتداد داخل المجتمع وخارجه,فهي تعطي للدولة مكانة ومقدرة اقتصادية وسياسية.
6- ما هي خصوبته؟
- شركات التصنيع بالكاد تلبي طلبات المحتاجين التي لا تعرف الثبات أو استقرار.
7- ما هو نقاؤه؟
- في نهاية كل سنة الرقم الوحيد الذي لا يعرف التراجع في ميزانيات الدول هو التسلح والتوسع في القدرات الدفاعية.

**التعليمة:**

## وضعية مشكلة تعلمية خامسة

الميدان: الأخلاق الثابتة والمتغيرة.

المحور: الأخلاق بين الثابت والمتغير.

الكفاءة القاعدية: إدراك وظيفة الخير والشر وتحديد القيمة الأخلاقية.

مؤشر الكفاءة:

1. مبحث القيم في الفلسفة.
2. التعرف على الخير والشر.
3. تحديد القيمة الأخلاقية ومعيار الحكم على السلوك.

سير الدرس

تقويم تشخيصي:

أتعرف على المصطلحات التالية: مجتمع النازية

**السند:** **أدولف هتلر منظر الفكر النازي**



القيم الأخلاقية تتغير بتغير البيئات الاجتماعية:

استطاع أ.هتلر مؤسس الفكر النازي وبانيه,سلب إرادة الأفراد في ألمانيا, وأن يعيق فكرهم بقوة شخصيته القوية المؤثرة,فحول الشعب الألماني إلى تابع لزعيم لا حول لهم ولا قوة فينصهر الفرد في الجماعة ,وأضحت هي الإرادة العليا المتسلطة وهذا له شواهد كثيرة في التاريخ القديم والحديث,وكلها تثبت مقولة مؤسس علم الاجتماع المعاصر دوركايم:"إذا تكلم الضمير فأن المجتمع هو الذي يتكلم فينا".هذا يعني أن الظاهرة الاجتماعية شيئية وخارجية, فهي كأي شيء من الأشياء, لا نمتلك التحرر منها, و مثلها مثل الزلزال والإعصار الذي تعجز إرادة الإنسان عن منازلته ومقاومته, فهي متسامية يتقبلها الفرد كقضاء وقدر لا مفر منه. يقول دوركايم:"المجتمع ليس سلطة أخلاقية فحسب بل أن كل الدلائل تؤكد على انه النموذج والمصدر لكل سلطة أخلاقية".وفي نفس السياق

العلمي العملي يقدم ليفي برول تصورا, مسلمته الأولى أن الأخلاق تدرس خارج المفاهيم الفلسفية وكذلك المنطقية أو حتى الجمالية ,لأن هذه الأخيرة تستند للحكم المعياري, بل يجب أن ندرس القيم كعلم له موضوعاته ومناهجه, مثله مثل الفيزياء والبيولوجية,فهي تختص بالحكم على السلوك الإنساني في نظام بيئته, ووسط له قوانين تفسره ومن التناقض الشديد أن نضع قانونا أخلاقيا واحدا يحكم على سلوك الأفراد دفعة واحدة".

**التعليمة:**

**وضعية تقويم تعلم الإدماج**

الميدان: الأخلاق الثابتة والمتغيرة.

المحور: الأخلاق بين الثابت والمتغير.

سير الخطة

السند:

النص : " ولكن الكائن العاقل, ينتمي, بصفته عضوا, إلى مملكة الغايات, وما دام يزودها بقوانين كلية, فليس يخضع هو نفسه أدنى خضوع لهذه القوانين, فهو ينتمي إليها بصفته رئيسا, ذلك لأنه إذ يزدها بالقوانين, فهو لا يخضع لأية إرادة غريبة عنه.

ينبغي للكائن العاقل أن يعتبر نفسه على الدوام كمشرع في مملكة الغايات ممكنة بفضل حرية الإرادة, سواء أكان ذلك عضوا فيها أم رئيسا. ولكنه لا يمكن أن يطالب بمكان الرئيس بالقواعد الذاتية لإرادته, فهو لا يمكنه أن يطالب بهذا المكان إلا إذا كان كائنا مستقلا تماما, دون ما حاجات, وبسلطة تلاؤم إرادته دون ما قيد يقيدها.

فالأخلاقية تتألف في علاقة كل فعل بالتشريع الذي يجعل وحده مملكة الغايات ممكنة. وهذا التشريع ينبغي أن يوجد في كل كائن عاقل, وينبغي أن يكون في مستطاعه أن يصدر عن إرادته, وإليك المبدأ: لا تنجز فعلا إلا طبقا لقاعدة يمكن أن تتحول إلى قانون كلي, وهو أن يكون في وسع الإرادة أن تعتبر ذاتها, مشرعة في عين الوقت بفضل قاعدتها, تشريعا كليا.

والآن إذا لم تكن القواعد بطبيعتها موافقة بالضرورة لهذا المبدأ الموضوعي للكائنات العاقلة, معتبرة منشئة لتشريع كلي, فإن ضرورة العمل تبعا لهذا المبدأ تسمى قسرا عمليا, أعني واجبا وفي مملكة الغايات, لا يتوجه الواجب إلى الرئيس بل كل عضو من الأعضاء, إلى الجميع على الحقيقة بكيل واحد".

كانط. أسس ميتافيزيقا الأخلاق

**السياق:**

أكتب مقالة فلسفية تعالج فيها مضمون النص.

## وضعية مشكلة تعلمية رابعة

الميدان: الأخلاق الثابتة والمتغيرة.

المحور: الحقوق والواجبات.

الكفاءة القاعدية: إدراك وظيفة الخير والشر وتحديد القيمة الأخلاقية.

مؤشر الكفاءة:

1. مبحث القيم في الفلسفة.
2. التعرف على الخير والشر.
3. تحديد القيمة الأخلاقية ومعيار الحكم على السلوك.

سير الدرس

تقويم تشخيصي:

أتعرف على المصطلحات التالية: العدل الحق الواجب العقد الاجتماعي

**السند:**

" المرض يزاحم جسم الصغير يثقل عليه, الوالد يجاهد نفسه ويبذل الغالي والنفيس, ما ترك طبيب داخل الوطن وخارجه,إلا راجعه. مع الزمن قل ماله, مع الأمل والثقة في الله, باع سيارته ثم رهن بيته. سأله الأقارب والأباعد ألا يتلف ماله, كلام أحزنه وأغضبه وصرخ في وجوههم: هذا واجبي, واجب أب تجاه ابنه, وقع القدر المحتوم وقف الوالد وهو يتلقى العزاء, لم يسعفه الموقف بكى. قال له الحاضرون: تماسك هو القضاء والقدر قال: آمنت بالله أنا لا أبكي موت ابني هذا قضاؤه وقدره, أبكي تقصيري وعجزي عن أداء واجبي مرت الأيام, مرض أدخل المستشفى بمقتضى السن والزمن,لازمه الأبناء زاره الأقارب سألوا أبناءه عن حاله, هل أدوا حق الأبوة, قالوا: نعم نتمنى أن يقبضه الله قبضا حسنا, يخفف عنه وطأة الداء وغلاء الدواء."

**السياق:**

عرف الجوهري الحق لغة بقوله:" الحق خلاف الباطل و الحق أخص منه يقال: هذه حقوقي أي: حقي". وعرفه الفيروز آبادي بقوله:" الحق من أسماء الله تعالى أو من صفاته وضده الباطل, فالعدل حق والإسلام حق....". قال تعالى:" وكان حق علينا نصر المؤمنين".الروم 47, قال ابن كثير أي حق أوجبه على نفسه الكريمة تكرما وتفضلا, قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل ,ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق".ونجد أن للحق والحقوق عامة تعريفات اصطلاحية يمكن تلخيصها في تعريفين هما:

1- إن الحقوق هي مجموعة القواعد والنصوص التشريعية التي تنظم على سبيل الإلزام علاقات الناس من حيث وجود الأشخاص وضبط حياتهم المادية والمعنوية.

2- الحقوق هي ا لاختصاص الذي تقره الشريعة سلطة و تكليفا.
من المجتمع الطبيعي إلى المجتمع المدني ونشأة فلسفة الحق:
الوضعية: قال تعالى في محكم تنزيله :{قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى} سورة طه قال الحسن وقتادة أعطى كل شيء صلاحه وهداه لما يصلحه"تفسير البغوي" قال ابن كثير أي قدر قدرا وهدى الخلائق إليه, أي كتب الأعمال والآجال والأرزاق,أما قول فرعون " فما بال القرون الأولى" قال البغوي ومعنى البال الحال, أي ما حال القرون الماضية والأمم الخالية, يرى ابن كثير أن فرعون شرع يحتج بالقرون الأولى أي الذين لم يعبدوا الله قبله, إن الفرعون يجادل عن حقه في الملك,أي أن ما هو فيه لم يبتدعه, فهذه حالة لازمة لكل الأزمان الغابرة وما زالت, فلماذا يلام عن فعله؟ إنها حقوق جاءت مع التاريخ, وليس لإرادة الفرد دخل أو قوة في وجودها, ذكره نبي الله موسى أن فعل العباد في كتاب عند الله, وإن كل أمة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت.
- فلسفة الحق ونظرية العقد الاجتماعي: نظرية فلسفية سياسية من مؤسسيها هوبز 1577 - 1679 فيلسوف انجليزي من أهم مؤلفاته مبادئ الحقوق الطبيعية والسياسية وجون لوك 1632- 1704م فيلسوف إنجليزي من مؤلفاته محاولة في الفهم الإنساني وكذلك ج..ج. روسو 1712 - 1778ويعتبر المؤسس الحقيقي لنظرية العقد,وهو فيلسوف فرنسي صاحب كتاب" في نظرية العقد الاجتماعي", هؤلاء اتفقوا على أن الإنسان قد عرف مرحلتين سياسيتين الأولى هي المرحلة الطبيعية والغريزية, وكانت فلسفتها الغلبة والقهر والتنازع, وفيها اكتشف الإنسان الحق الطبيعي فدافع عنه ومات دونه, كحق الحياة والتملك وحق استعباد الآخرين, ثم تعاقد الناس فوجدت السلطة والقانون, هكذا نكتشف كيف استطاع العقل الإنساني أن يجعل الحق الطبيعي حقا مدنيا, يستطيع القاتل مثلا أن يقتل في المرحلة المدنية, مع وجود فرق وهو أن هناك قانون يقتص منه على خلاف المرحلة الطبيعية.
الفلسفات المعاصرة ونظرية الحق الطبيعي: إن الفلسفات الحديثة والمعاصرة قدست الحق الطبيعي, واعتبرته بصيغته الأولى متضمن في ماهية الإنسان ووجوده يقول ج. لوك:" الإنسان يولد وله الحرية التامة والتمتع بجميع حقوقه الطبيعية دون قيد أو شرط". و في التاريخ المعاصر ظهر ما يعرف بالنزعة الفردية فهي تعترف بالحقوق المطلقة وتحن إلى المرحلة الطبيعية أين عاش الإنسان حريته دون شرط أو قيد.
2- الحقوق المدنية والأصول الطبيعية:

لو أراد الإنسان أن يشرع لغيره بمقتضى العدل, لتعسر عليه ذلك, بحكم أنانيته وذاتيته وكذلك قصوره على إدراك الغايات والنهايات, وهذا ما تفسره الوضعية.
- الوضعية:" حكم حاكم مستبد فغالب ونازع حتى استقر ملكه, ثم تمادى في ظلمه فشرع في يوم ما للناس عدم الخروج ليلا, وتوعد من خالف ذلك بالقتل, فتلقى رئيس الشرطة الأمر ونفذه, وفي يوم أراد الملك أن يطمئن و يتيقن من سير قانونه, فخرج متخفيا, فلقي الشرطة فاعتقلته, وبين أنه الملك وأنه صاحب الأمر والنهي, إلا أن رئيس الشرطة بين له أن القانون يسري على الجميع فأعدمه, ومع الفجر نصب نفسه ملكا وعدل القانون السابق بصيغة جديدة وهي لا يسمح للخروج ليلا, ومن فعل ذلك يقتل باستثناء الملك".
- التفسير: قد يمتلك الحاكم أو المحكوم حقوقا مدنية فتجسدها القوانين والتشريعات, ومع ذلك تبقى الروح كامنة فيها هي غريزة الإنسان وفطرته.
- إن فهم المشكلة يحتاج لمطالعة تاريخ النظم في حياة الإنسان كشريعة حمو رابي القديمة أو النظام القانوني في حياة اليونان القدماء, أو فهم طبيعة الأعراف والتقاليد في المجتمعات كجرائم الثأر والشرف, والتي لا تفهم إلا بالرجوع إلى الأزمنة الغابرة وكيف تغيرت وتبدلت بتعاقب الأيام والسنين, وكيف عرفت تعديلات ومراجعات تقتضيها ظروف التحول الاجتماعي.
3- الحقوق حلقة مترابطة ومتكاملة في حياة الإنسان :
- الحق حق رغم تعاقب الزمان وتغير المكان, هو الصيغة الثابتة التي تنتظم بها حياة الأفراد الاجتماعية.
- يقول الخليفة العادل عمر بن الخطاب:"متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".
- جاء في قانون نابليون في مادته الأولى:" هنالك قانون يعرفه العالم لا يتغير وهو مصدر جميع القوانين الوضعية".
- جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان:" يولد جميع الناس أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق".
4- حتى نحق الحق أيهما أسبق الفرد أم الجماعة:
هذه المعضلة قامت ونشأت مع قيام الفلسفات الاقتصادية المعاصرة, فلسفة أولى هي الرأسمالية وفيها يحضا الفرد بكل الحقوق, وأخرى هي الاشتراكية وتحضا فيها الجماعة بالتقديس, إلا أن نهاية القرن العشرين قد حسمت المعضلة مع تصدع المعسكر الشرقي ونهاية النظرية الاشتراكية, على الأقل في مجالها التطبيقي.
تأسيس العدالة على الواجب الأخلاقي: العدالة Justice لغة هي الاستقامة وهي عند الفقهاء الاستقامة على طريق الحق والبعد عن المحضور, عرفها الجرجاني بقوله:"العادلة مرادفة للعدل باعتباره مصدرا وهو الاعتدال والاستقامة والميل

إلى الحق, وهو الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط". الشجاعة عدل بين متناقضين وهما الجبن والتهور, والكرم عدل بين البخل والإسراف, والعدالة عند الفلاسفة هي المبدأ المثالي أو الطبيعي أو الوضعي الذي يحدد معنى الحق ويوجب احترامه وتطبيقه.

ـ إن تحقيق العدالة يوجد المدينة الأفلاطونية التي تحمل صورة الكمال والمطلق, لما يحدث ذلك التجانس والتناغم بين النفس والوظيفة, فالنفس الناطقة خلقت للتأمل والحكم, والنفس الغضبية خلقت للدفاع, أما النفس الشهوانية فوجدت للإنتاج, وانتقل هذا الحلم الأفلاطوني إلى الفلسفة الإسلامية فكتب الفارابي كتاب أهل المدينة الفاضلة.

تطبيق العدالة غاية الواجب الأخلاقي: إن العدل يتحقق في صورته المثلى ألا وهي العدالة الاجتماعية Justice sociale وهي تقوم على احترام الحقوق والتقيد بالمصالح العامة, واحترام حقوق الآخرين طبيعية كانت أو وضعية كتنظيم العمل ومحاربة الظلم بأشكاله وأنواعه.

## وضعية مشكلة تعلمية رابعة

الميدان: الأخلاق الثابتة والمتغيرة.

المحور: الحقوق والواجبات.

الكفاءة القاعدية: إدراك وظيفة الخير والشر وتحديد القيمة الأخلاقية.

مؤشر الكفاءة:

1. مبحث القيم في الفلسفة.
2. التعرف على الخير والشر.
3. تحديد القيمة الأخلاقية ومعيار الحكم على السلوك.

سير الدرس

تقويم تشخيصي:

أتعرف على المصطلحات التالية: الواجب القانون الوضعي القانون الشرعي

**السند:**

" لم يصدق نفسه وهو يستلم استدعاء واجب أداء الخدمة العسكرية, وفي لحظة ذهول وانفعال خاطب والده قائلا: أترك السعادة وأتخلى عن الراحة والهدوء وألتحق بثكنة عسكرية, لأخضع لتدريبات عسكرية قاسية, وأتخلى عن الحاسوب والتلفاز وكذلك هاتفي المحمول, وبدل ذلك أحتضن الأسلحة والذخائر وقد أنام في العراء, وقد أجد نفسي حارسا مداوما في خنادق الحدود, إذا اقتضى الأمر سأترك هذا البلد وأهرب إلى ما وراء البحر. قال الوالد: رأي سديد ومقنع وحكمة صائبة إن هذه الفكرة لو عممت لكانت النهاية غلق الثكنات ومراكز الحدود, وكما أننا نستورد الأغذية والأجهزة, فلماذا لا نستورد ألوية عسكرية من الصين وبولونيا لحماية الأرض والعرض, ويومها سنعرف السعادة التي عرفها الآباء والأجداد أيام الاحتلال البغيض, راجع الابن نفسه وطالب الصفح من والده وقال له: إنها نزوة وطيش عابر, إنه لشرف لي أن أشارك إخواني في الدفاع عن هذا الوطن وأن أموت دونه".

**السياق:**

الواقع اليومي يظهر لنا معضلة الناس أمام جدلية الحق والواجب كأن يقول أحدنا أعول عائلة أو أتمم دراستي, ويقول الآخر أيهما متقدم حقي في بناء حياة عائلية أو كفالة إخوة قاصرين.

أولا:مسلمة الحق في النظام الطبيعي.

1- الحق متقدم دائما:

إننا ندرك ذلك في حياة الإنسان الطبيعية كحقه في الحياة والسلام, وأن يعيش في أمن وسعادة.

2- حقوق الإنسان عامة:

انتهت الاجتهادات القانونية المعاصرة فقدمت الحقوق وضبطت مسارها الطبيعي, وأظهرت أهميتها, فظهرت للوجود جمعيات حقوق الإنسان الوطنية و الدولية وتم الشروع في تأسيس محاكم دولية تتصدى لخرق الحقوق, كالجرائم ضد الإنسانية.

ثانيا: الواجب يبرر الحقوق.

1- الواجب مقتضى شرعي: فعل الواجب من مقاصد الشريعة, والأدلة الدالة عليه كثيرة, عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: أكمل المؤمنون إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائه". رواه أبو داوود والترمذي بسند الحسن وعن النبي ﷺ قال:"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه". رواه الترمذي,باب الحقوق واسع ومتسع يغطي فقه المعاملات والعلاقات الإنسانية بشكل عام.

2- الواجب مقتضى عقلي:

الفلسفة الكلاسيكية والحديثة تبنت الواجب كمسلمة وطريقة تقوم لفهم سلوك الإنسان, وأحسن مثال فلسفة الواجب الكانطية, التي تعتقد أن الفعل هو ما ينبغي أن يكون عليه السلوك.

3- الواجب مقتضى وضعي:

ترى الفلسفة الوضعية و تعتقد أن الواجب يقتضي فعله دون النظر إلى صدقه أو كذبه لذلك يرى أ. كونت مؤسس الفلسفة الوضعية أن الواجب تمليه ضرورات الواقع, وأنه أساسي في البناء الاجتماعي وإقامة المجتمع.

**وضعية مشكلة تعلمية رابعة**

الميدان:  الأخلاق الثابتة والمتغيرة.
المحور: الحقوق والواجبات

الكفاءة القاعدية: إدراك وظيفة الخير والشر وتحديد القيمة الأخلاقية.
مؤشر الكفاءة:

1. مبحث القيم في الفلسفة.
2. التعرف على الخير والشر.
3. تحديد القيمة الأخلاقية ومعيار الحكم على السلوك.

سير الدرس

تقويم تشخيصي:
أتعرف على المصطلحات التالية:
**السند:**

الوضعية :" الثورة الثقافية أراد بها ماوتسي تونغ بناء دولة معاصرة في الصين, فأقر مبدأ المساواة في كل شيء, بداية باللباس والطعام ونهاية بالعلاقات العامة ,وجاءت فلسفته شيوعية نهضت على تعاليم النظرية الماركسية فتجلت المساواة في أسمى صورها, فحررت الصيني من عقدة الذاتية والأنانية وكانت بداية حقيقية للإمبراطورية  التي أراد لها الله أن لا تغب عن التاريخ المعاصر "

**السياق:**

العدالة بين النقيضين المساواة والتفاوت : المساواة الإنسانية وإقامة العدل حلم فلسفي قديم راود مخيلة الفلاسفة ومازال, بداية من الديانات القديمة كالمزدكية, وكذلك الفلسفات الكلاسيكية كالأفلاطونية والأرسطية, وانتهاء بالفلسفات المعاصرة كالماركسية, والفلسفة الفوضوية عند باكو نين.

أولا:فلسفة المساواة مسلمة فلسفية.

فلسفة المساواة: في اللغة الفرنسية هي Egalité وهي اتفاق الشيئين في الكمية, ولها في الرياضيات دلالة خاصة كما في الجملة الرياضية ب = ج, ويقال أن الشكلين متساويين هندسيا, إذا انطبق أحدهما على الآخر انطباقا تاما, والمساواة الأخلاقية لما يتساوى الناس في الحقوق والكرامة, والمساواة المدنية وهي تساوي المواطنين في الحقوق و الواجبات, والمساواة السياسية هي الحكم الجماعي وحق الفرد في ممارسة حقوقه.

الفلسفة الكلاسيكية وحكمة المساواة: مع أرسطو ومن تولى شرح فلسفته ومؤلفاته ومن جاء بعده كلهم نظروا إلى المساواة كمسلمة أولى في إقامة العدل ويكون ذلك في أبعادها الثلاثة:

1 - العدل في المبادلة: وهو المساواة بين الأخذ والعطاء كالتجارة مثلا.

2ـ العدل في التوزيع: وهو المساواة بين الأفراد والكفاءات ومجاله المناصب والوظائف.
3ـ العدل في القصاص: وهو المساواة بين الجرم والعقاب ومجاله المحاكم العدلية.

الفلسفة الحديثة ونظرية المساواة:

يتفق فلاسفة القانون الطبيعي وأنصار نظرية العقد الاجتماعي أن الإنسان قد انتقل من المرحلة الطبيعية إلى المرحلة المدنية لما اكتشف قيمة الحق ووظفه في بناء حياته السياسية وهنا تكون المساواة ضرورية تقتضيها الحياة المدنية القائمة على التعاون,وإن غابت سيعود الإنسان حتما إلى حياته الأولى وفي هذه الحالة تكون فلسفته في الحياة هي القهر والغلبة وحكم القوي على الضعيف والأصل أن يكون التساوي أمام القانون.

النظريات الاقتصادية المعاصرة وفلسفة المساواة:

من أهم النظريات القائلة الاشتراكية وهي مشتقة من الفعل اشترك بمعنى تشاركوا وهي من المذاهب الاقتصادية المعاصرة,فهي تنفي مبدأ الحرية والمنافسة وتثبت الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج,وفي المجتمع الاشتراكي يتساوى الجميع في غياب الطبقية وما يترتب عنها من ظلم قائم على الاستلاب.

ـ إن المساواة مبدأ مثالي لا يتحقق عقلا ولاحسا, لأن منطق الحياة التناقض والتفاوت, لأن الشيء لا يفهم إلا بجدلية النقيض, يفهم الصدق بالكذب والإحسان بالإساءة, إنها السنن الكونية الثابتة ثبات النظام والانتظام في هذا العالم الممتد.

**وضعية مشكلة تعلمية رابعة**

الميدان: الأخلاق الثابتة والمتغيرة.

المحور: الحقوق والواجبات

الكفاءة القاعدية: إدراك وظيفة الخير والشر وتحديد القيمة الأخلاقية.

مؤشر الكفاءة:

1. مبحث القيم في الفلسفة.
2. التعرف على الخير والشر.
3. تحديد القيمة الأخلاقية ومعيار الحكم على السلوك.

سير الدرس

تقويم تشخيصي:

أتعرف على المصطلحات التالية: التفاوت الرأسمالية

**السند:**

**السياق:**

التفاوت فلسفة طبيعية:التفاوت هو التباين والاختلاف وهو من السنن الكونية وهو يقترن بالطبيعة البشرية, فاختلاف الألسنة آية من آيات الله لا يفقهها إلا العالم بالحكمة الإلهية, وأجمل ما في الجزائر هذا التنوع الهائل في الألسنة, فهي في الحقيقة ليست مجرد أصوات بل هي أنغام, وكذلك الألوان وتمايز الناس في حياتهم ومعاشهم وبيان ذلك قوله تعالى{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ} (22) سورة الروم

الفلسفة الكلاسيكية وحكمة التفاوت:الفلسفة القديمة نظرت للتفاوت كقانون طبيعي لذلك قسم أفلاطون مدينته الفاضلة إلى ثلاث طبقات: الحكام والجنود والعبيد, واعتبر أرسطو العبودية نظاما طبيعيا وهذا لا ينقض مبدأ المساواة عنده لأن العبودية في زمانه كانت مظهرا طبيعيا وإنما ذكر هنا لنفهم سياق الفكر اليوناني , وهذا أدى للمفاضلة بين الأفراد داخل المجتمع الواحد, وهذه الفلسفة لها وجود في كل الثقافات القديمة, يونانية كانت هندية أو فارسية وعربية, بل لها وجود في حياتنا المعاصرة.

2ـ الفلسفات الحديثة وحكمة التفاوت: قلنا أن فلسفة التفاوت في كل ثقافة ومجتمع دون استثناء ونكتفي على سبيل المثال بذكر وضعها في الفلسفة

الألمانية الحديثة والمعاصرة,أكد هيجل على مبدأ التفاوت بين الأمم, وأقر بأن الأمة الأقوى لها , الحق في العلو والغلبة, والأمم الضعيفة خاضعة لها, لأنها رضيت بالذل والهوان وتابعه في ذلك نيتشه لما أكد على أن التفاوت بين الأفراد طبيعي, وقسم المجتمع إلى فئتين, فئة غالبة هم السادة وفئة مغلوبة ومقهورة هم العبيد, وهذه الفلسفة كان لها نتائج في الواقع كشيوع الفكر النازي في ألمانيا والفاشي في إيطاليا وعرف الإنسان أبشعه في الأزمنة المتأخرة مع نظام التمييز العنصري في جنوب إفريقيا, الذي جاء كنتيجة حتمية للاستعمار البريطاني.

3- العلوم الطبيعية وثابت التفاوت:هو قانون عام نفسر به العناصر والمكونات ونفهم به السلوكيات وردود الأفعال, بحث علماء الكيمياء تباين العناصر, ودرس علماء البيولوجيا الاختلاف في وظائف الأعضاء والمكونات الكائن الحي, وبحث علماء النفس الفوارق الفردية وتمايز الأفراد, وكذلك درس علماء الاجتماع التباين بين البيئات الاجتماعية واستحدثوا منهج المقارنة.

الرأسمالية وإيديولوجية التفاوت:

هي نظام اقتصادي يطلق على النظام الاجتماعي الذي يكون فيه العمال غير مالكين للثروات, وهو يؤمن بنظرية الاختلاف, ويقر بمشروعية الطبقية الاجتماعية, ويرى في المبادرة الفردية أساس ومنهج فعلي يساهم في تطور المجتمع وبناء الرفاهية.

الموازنة بين المساواة والتفاوت: قال تعالى في محكم تنزيله :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (1) سورة النساء وقال كذلك: {لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} (95) سورة النساء دلالة الآية الأولى المساواة, وهذا بمقتضى العدل الإلهي, أما دلالة الآية الثانية فهي التفاوت, وهذا بمقتضى اختلاف الناس في أعمالهم وأفعالهم, والسعي إلى الخير وغيره يحمل على إرادة الفرد, وهكذا ينشأ و يتحدد معنى الثواب والعقاب. العدالة تقتضي مراعاة التناسب بين قاعدتي المساواة والتفاوت, فالأصل أن الناس سواسية كأسنان المشط وأنه لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى وأن الناس لآدم وآدم من تراب, وعدل الله قائم القسط وإعطاء لكل ذي حق حقه يقول تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} (46) سورة فصلت وهذا لا ينفصل عن واقع الحياة فإقامة العدل تستدعي العدل في القصاص والعقوبة لقوله تعالى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ

فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (45) سورة المائدة

التعليمة:

في البداية عرف الإنسان الرحلة الطبيعية واكتشف الحق الطبيعي كالحق في الحياة ثم انتقل إلى المرحلة المدنية وأبدع القوانين, ثم أعمل عقله وبمثاليته أدرك معنى الواجب الذي لا ينفصل عن الفعل الأخلاقي بمقتضاه المطلق والنسبي, وتبقى معادلة العادلة عالقة بين الطرفين المتنافرين المساواة والتفاوت, ونصل إلى النتائج التالية:

1- إمكانية الفصل بين الحق الطبيعي والوضعي.

2- الفصل بين الحقوق والواجبات.

3- أيهما متقدم الحق أم الواجب.

4 - معادلة العدالة بين طرفي المساواة والتفاوت.

**وضعية مشكلة تعلمية رابعة**

الميدان: الأخلاق الثابتة والمتغيرة.

المحور: الأسرة

الكفاءة القاعدية: إدراك وظيفة الخير والشر وتحديد القيمة الأخلاقية.

مؤشر الكفاءة:

1. مبحث القيم في الفلسفة.
2. التعرف على الخير والشر.
3. تحديد القيمة الأخلاقية ومعيار الحكم على السلوك.

سير الدرس

تقويم تشخيصي:

أتعرف على المصطلحات التالية: الأسرة المجتمع

**السند: الكعبة صورة**

**السياق:**

الأسرة روح المجتمع وقوته: الله هو خالق العالم من العدم وهو مفارق لما خلق وأرفع منه,هو مصدر كل وجود وذات مستكملة لجميع الكمالات لا تحد قدرته الحدود,خلق الإنسان الضعيف وجعل الزوجية والثنائية حياته وسعادته,سعادة الرجل زوجته,وسعادة المرأة زوجها,وحسنة الدنيا وما فيها الزواج الصالح المفضي للأسرة المؤمنة السعيدة,تذوب فيها الآلام والمحن,ورغم التعب والجهد,الله ييسر أمرها,ومن السنن الكونية أن المرأة تكتشف وجودها وامتدادها في أبنائها,ويكتشف الأب قوته وعزته فيما قدم وأعطى. الأسرة أو المجموعة ظاهرة طبيعية ملازمة للكون والعالم و الحياة, والمتأمل للكائنات الحية يكتشف الزوجية كمبدأ ثابت في كل الأوساط الحية والجامدة, ومالها من تأثير في الأفعال والسلوكيات.

1- الزواج: هو الاقتران الشرعي بين الرجل و المرأة لتكوين أسرة وهو من المباحث الشرعية يتصدى له بالبحث والتحليل الفقهاء,وأهل العلم الشرعي,أما نحن فندرسه كظاهرة إنسانية عامة بكل تناقضاتها التاريخية والاجتماعية,بالنظر لاختلاف عقائد وملل البشر.لذلك اختلفت شروط عقده وفسخه,وشروط وجوده وأشكاله,ومن علماء الاجتماع من أخذ بنظرية تطور الأسرة,فقالوا بوجود الأسرة المشاعة في العهود البدائية,ثم ظهرت الأسرة الأم,وتكون الأم هي المشرفة على التدبير المنزلي والشؤون الاقتصادية,ثم جاءت الأسرة الأب وتكون فيها القامة للوالد,وفي التاريخ المعاصر نجد الأسرة النواة,وفيها تقع المشاركة بين الطرفين,

ـ هدا التطور مجرد فرضية,لأن الأسرة تحكم بمقتضيات الوجود,وخير مثال حال الأسرة في منطقة الهقار,تقتضي الحياة خروج الرجال بحثا عن المراعي,وقد يكون التنقل للتجارة,هذا يجعل الأم تجمع بين الوظيفتين,والأم في الصحراء الجزائرية مثلها مثل المناطق الأخرى مثالا يقتدى به في الصبر والتضحية من أجل الآخر,وفي مقدمتهم الأبناء.

2ـ الأسرة النواة: الحياة الفلاحة والنمط الرعوي يحتاج إلى وجود عائلة كبيرة تشترك وتتقاسم الوظائف,وهذا نجده جليا واضحا في حياة القرية والبادية الجزائرية على خلاف المدينة التي تتسم بالنمط الصناعي الذي تتقدم فيه الأنانية والفردية عن روح الجماعة والحياة المشتركة,فيتحول الفرد إلى كائن مستهلك أناني بطبعه,وهذه الحالة ظهرت كأزمة وجود في المجتمعات الغربية,فتفنن الناس في حب الذات وغابت العواطف الأبوية وكذلك القدرة على التعايش مع الآخر.

**التعليمة:**

**وضعية مشكلة تعلمية رابعة**

الميدان: الأخلاق الثابتة والمتغيرة.

المحور: الأسرة

الكفاءة القاعدية: إدراك وظيفة الخير والشر وتحديد القيمة الأخلاقية.

مؤشر الكفاءة:

1. مبحث القيم في الفلسفة.
2. التعرف على الخير والشر.
3. تحديد القيمة الأخلاقية ومعيار الحكم على السلوك.

سير الدرس

تقويم تشخيصي:

أتعرف على المصطلحات التالية: المعاصرة الحداثة

**السند:**

"هي سيدة باريسية من عائلة راقية تحسن فن المعاملة,تسكن شقة في أرقى أحياء العاصمة,وهي تشتغل في وزارة سيادة,و بين الحين والآخر تظهر في القنوات مبتسمة ضاحكة,وتردد آخر النكت,فهي قد تخطت الأربعين ومع ذلك فهي تعتقد أن العلم لا يعرف المستحيل,والدليل أنها قامت بعملية شد للوجه لإزالة التجاعيد,وهي تتردد على محلات التجميل وتستعين بالعلاج الطبيعي,لتخفيف الوزن واستعادة الرشاقة وهي منهمكة وجادة في عملها,لدرجة أنها لم تجد فرصة لزيارة أبيها منذ سنوات ولها في ذلك العذر,فالحياة مزدحمة ومتداخلة,هذا المساء رجعت إلى بيتها,وكعادتها دائما فتحت بريدها الإلكتروني,وصلتها رسالة تعزية من جمعية خيرية تخبرها بوفاة الوالد وأنها تكفلت بمراسيم الدفن بحكم عقد أبرمته مع الوالد في حياته,وبشكل سريع ارتدت لباسا خاصا ووضعت قبعة سوداء,وأطفأت المصابيح واكتفت بشمعة موقدة,وقررت ألا تشاهد فيلم السهرة,وعزمت أن تذهب غدا لشركات التأميم لتطالب بمستحقات الوفاة فهي بحاجة ماسة للمال,لتغير جهاز التلفاز وإن أمكن السيارة,وتستغل الفرصة وتجدد الاشتراك في مطعم البيتزا,حتى تبقي على مكانتها الاجتماعية".

**السياق:**

مشكلاتها الوظيفية: إن السنن الكونية لا ترحم الفرد ولا الجماعة,إن الابتعاد عن القيم والغوص في الأنانية يدمر الذات أولا والآخر ثانيا.

1- وظائف تمنع الأسرة من التفكك والانحلال:

أ- الزواج الشرعي يحقق رغبة الفرد ويلبي حاجاته الطبيعية في ظل العلاقات المشروعة,وهذه الوظيفة قد تقضي عليها العلاقات المحرمة,ممثلة في كبيرة من الكبائر العظيمة وهي جريمة الزنا,فتفقد المرأة حياءها وشرفها ويفقد الرجل عزته وكرامته.

ب ـ الأبناء هم الامتداد الطبيعي للإنسان بعد مفارقته للحياة, وأعظم ما في هذا الكون الأبوة والأمومة.
ج ـ نكتشف وظيفة الأسرة وقيمتها أيام الأفراح,وكذلك الأتراح, لا وجود للإنسان إلا بين إخوته وأحبته.
د ـ الأسرة توفر الحاجات قدر الاستطاعة وفي حدود الممكن, فيشتغل الأب وتمكث الأم, أو تشتغل حسب المقتضيات والظروف, وهذه الأحوال تترك لمسار الحياة وتغير الأحوال.
2ـ تحديات طارئة قد تهلك الأسرة وتقضي عليها:
1ـ هدر الحقوق: الظلم الذي يقع على أفراد الأسرة لا يخص فرد دون الآخر.
أ ـ ظلم المرأة: خروج الناس عن مقاصد الشريعة, وعدم الاستعانة بالعلماء والعالمين بفقه الأحكام, والاكتفاء بالآراء الذاتية الصادرة عن الجهل والعادات القبيحة, ساهم في تأزم وضع المرأة, إلا أن انتشار العلم والثقافة قد حد وبشكل كبير من هذه الأزمات.
ب ـ ظلم الرجل: يأتيه الظلم من الأقربين, فيحمل مالا يستطيع حمله, وقد يكلف نفقة تتجاوز قدرته, وهذا قد يدفع ذوي النفوس الضعيفة لأكل السحت والمال الحرام, حتى يلبي ويشبع حاجات الأسرة.
ج ـ ظلم الأطفال: قد يحرم الطفل حقوقه في الحياة والتربية والتعليم, إلا أن المجتمعات المعاصرة قد سنت القوانين لرفع المظالم.
3ـ خطر نظرية الحداثة: عرفت أوروبا عصور الانحطاط والظلام والتخلف, وعاش الناس في مظالم الكنيسة, التي مارست أبشع أنواع القمع الفكري والجسدي ولجأت لصنوف التعذيب, ومارست الاضطهاد على مخالفها,فجاءت الثورة الفرنسية وعرف الأوربي عصر التنوير وزمن الحداثة, فتم التحرر من كل شرط وقيد, وباسم الحرية اعتبروا الأسرة أداة قمع واستلاب لإرادة الفرد, وكان البديل التحلل من القيم والاندفاع نحو الذاتية, والتمركز حول الذات.
نظرية هيجل:عبر عن نظريته بقوله:" إن وحدة الأسرة وحدة محسوسة تقوم على الحب, فالفرد يوجد داخل الأسرة بصفته عضوا من أعضائها وليس فقط بصفته فردا, وتكون نهاية الأسرة بالانحلال, وعلى أثره يوجد الأفراد بصفتهم أشخاصا مستقلين, أي بصفتهم عناصر من المجتمع".
فلسفة تفهم في سياق جدليته المثالية ,نجد أنه يؤمن بفلسفة الجدل القائمة على الصراع الأبدي بين الفكرة ونقيضيها, وبحكم دراسته لفلسفة التاريخ الحديث, يرى أن الظروف الموضوعية الآن قد تؤدي إلى زوال الأسرة.
**التعليمة:**

**وضعية مشكلة تعلمية رابعة**

الميدان: الأخلاق الثابتة والمتغيرة.

المحور: الأسرة والعمل

الكفاءة القاعدية: إدراك وظيفة الخير والشر وتحديد القيمة الأخلاقية.

مؤشر الكفاءة:

1. مبحث القيم في الفلسفة.
2. التعرف على الخير والشر.
3. تحديد القيمة الأخلاقية ومعيار الحكم على السلوك.

سير الدرس

تقويم تشخيصي:

أتعرف على المصطلحات التالية: العمل الإنتاج الثروة التبادل

**السند:**

" عادل شاب جزائري قضى طفولته ومراهقته و عبثيته متصلة, لازمت فعله وسلوكه, همه الأول الأزياء والأذواق الفنية والأخذ بالمستجد في حلق الشعر وتزيينه, يظهر في الحارة كمجدد وملم بتقلبات عالم الموضة, وأمام أزمات البيت وعجز الوالد وكثرت النفقات قرر أن يشتغل, واكتشف أنه فاقد لمؤهل علمي يسنده أو حرفة تنقذه, ولم يتراجع وذهب لورشة بناء, اشتغل اليوم كله في تحميل أكياس الإسمنت, عرف معنى التعب والإرهاق الشديد, وكيف امتزج العرق بالعطور الثمينة التي تعود وضعها, وفي نهاية اليوم أخذ أجرة, إنها بحق ثروة يكتسبها, تذكر أمه وكيف كانت معاملته لها؟ وكيف كانت تصبر على طيشه وعبثه؟ فقرر أن يبادل تاجر الحي ويقتني قارورة عطر, وتذكر أن الأخت الصغير تحتاج حليبا فاشتراه, وفي المساء وقبل أن ينام سئل أمه أن توقظه ليصلي صلاة الفجر جماعة ويذهب إلى ورشته".

**السياق:**

الأسرة والعمل: يقول ابن خلدون:" الأعمال أصل المكاسب". يقول كذلك:" العمران وفوره ونفاق أسواقه, إنما هو بالأعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب". ويقول كذلك:" فلا بد في الرزق من سعي وعمل, ولو في تناوله وابتغائه من وجوده". يقصد بالعمل الفعل والمهنة والحرفة, ونفرق عادة بين لفظين العمل Action والفعل ACTE ونجد أن الفعل أعم وأشمل كأن نقول فعل الجوارح مثلا, وهنالك من يميز بين اللفظين العمل والشغل, فالأول معناه واسع كقولنا عمل الطبيعة, والثاني أخص ينطبق على سلوك الإنسان فقط, كأن نقول مثلا الشغل الإنساني, عرفه أ. كونت بقوله:" التغير النافع للمحيط من طرف الإنسان". وعرفه علماء الاقتصاد بقولهم:" العمل هو كل جهد فكر وعضلي يقول به الإنسان للانتفاع بموارد الطبيعة".

العمل متقدم وموجب للعلاقات الاقتصادية:

الفرق البين الظاهر بين القوي والضعيف هو القدرة على انجاز العمل بغض النظر عن طبيعته وشكله, قد تشتغل مديرا أو مدرسا أو عامل صيانة, المعيار والمقياس هو الإتقان وحسن الفعل لأننا سنكتشف بأعمالنا أننا ساهمنا وبشكل فعال في تغيير ما ينبغي تغييره وما يترتب عنه من فوائد.

تطور العمل في التاريخ وبروز نتائجه الاقتصادية:

أ ـ الثروة: في اللغة تعني المال, أما الثراء فهو المال الكثير وقد يكون نقدا أو حيوانا أو عقارا, ويطلق علماء الاقتصاد مصطلح ثروة على ما يمتلكه الفرد والجماعة, وهذا يعني أنها أداة ووسيلة استثمار, لذلك يتنافس عليها الناس وكما يقال المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وكل فيه خير.

ب ـ التبادل: حركة اقتصادية تنظم السوق وتؤدي إلى تقسيم العمل, فهذا يبيع قطع غيار وذاك يمتلك محل تجارة وهكذا, وظهر التبادل في التاريخ بأشكال كالمقايضة مثلا وهي مبادلة بضاعة ببضاعة, وتم اعتماد المعادن الثمينة كالذهب والفضة, واستقر الرأي الآن على اعتماد النقد ليسره وعدم تعقده.

ج ـ الملكية: الملكية وحب التملك فطرة إنسانية, لذلك يسعى الناس لجمع الثروات لتحصيل الملكية, في صورتها الفردية والجماعية, وهي تنتقل بالبيع والشراء والهبة وكذلك الميراث.

**وضعية مشكلة تعلمية رابعة**

الميدان: الأخلاق الثابتة والمتغيرة.

المحور: الأسرة والعمل

الكفاءة القاعدية: إدراك وظيفة الخير والشر وتحديد القيمة الأخلاقية.
مؤشر الكفاءة:

1. مبحث القيم في الفلسفة.
2. التعرف على الخير والشر.
3. تحديد القيمة الأخلاقية ومعيار الحكم على السلوك.

سير الدرس

تقويم تشخيصي:
أتعرف على المصطلحات التالية: علم الاقتصاد الرأسمالية الاشتراكية الخلق الاقتصادي

**السند:**
" تحكم التاريخ جدلية السيد والعبد ولها في الواقع وجوه متعددة, كقولنا مثلا الغني والفقير, والعاجز والمقتدر, إن الإنسان يستبد ويحكم وكذلك يطغى, لما يخضع الآخر لإرادته وقوته, وهذا يأتي بطريقتين أولاهما بسيطة ويسيرة ويتم فيها الاحتكام للقوة الظاهرة, كحكم المدين على الدائم وحكم المجرم على الضحية, والثانية أشد وأقسى, وفيه يتم الاحتكام للعقل, وهنا يعمل على إنشاء الحيل المجردة, لسلب الآخرين قوتهم وتحويلهم إلى ضعفاء لا حول لهم ولا قوة كفعل المشعوذ والساحر, أو فعل أصحاب القرار والنفوذ الاقتصادي العالمي, يحولون مجتمعات بكاملها إلى قطعان تبحث عن المأكل والمشرب وتكتفي به,وهذا ظاهر في النظام الرأسمالي الذي تعترض ومازال لأزمات حقيقية ومصيرية كأزمة 1929 وأزمة2008 التي شهدت أعتا إعصار مادي كان نتيجة حتمية لتراكم الأخطاء وتفشي الفساد وتحول البورصات العالمية إلى نواد قمار عالمية حلقتها أفواه الجائعين وأنين الفقراء والبؤساء".

**السياق:**
الأنظمة الاقتصادية في التاريخ: العمل فعل إنساني يوجهه إن شاء إلى الخير أو ينحرف به نحو الشر, جاء هذا من الأفراد أو الجماعات, وندركه بشكل واضح وجلي في الأنظمة الاقتصادية رأسمالية كانت أو اشتراكية.

1- الرأسمالية: حكمت أوروبا بنظام الإمبراطورية الرومانية, وهو يظهر في فلسفة الإقطاع, وأساسها أن العبد هو وسيلة الإنتاج, وما بين القرن الرابع والسادس عشر ظهرت طبقة غنية, هي البرجوازية ومع الثورة الصناعية ونشوء الإمبراطوريات الاستعمارية, كالإمبراطورية البريطانية والفرنسية, التي عاثتا في الأرض فسادا, وما تبع ذلك من نهب وسلب كان مقدمة حتمية لظهور الرأسمالية كحتمية تاريخية. الرأسمالية نظرية اجتماعية وسياسية تقدس الفرد وحريته المادية,وتناهض عالم القيم,وتسعى لتحويل المجتمعات إلى جماعات مستهلكة للبضائع ويعتب الفيلسوف الإنجليزي آدم سميث 1723 -

1790م منظر هدا النظام في كتابه بحث في طبيعة وأسباب ثروة الأمم قال الناقد أدمون برك مادحا الكتاب:"إنه أعظم مؤلف خطه الإنسان. هذا المؤلف خمل شعار"دعه يعمل دعه يمر" نجد أن لهذا النظام مسلماته ومن أهمها أن مصدر الأزمات الاقتصادية هو تدخل القيم العاطفية والأخلاقية وطالب الرأسماليون لعدل تدخل الدول في الاقتصاد, عن ترك الحركة الاقتصادية طبيعي تنتظم بقانون العرض والطلب, وفتح المجال أمام الاستثمار مع فتح الأسواق والخضوع التام لمبدأ المنافسة. هذه الفلسفة المادية الاقتصادية كان لها نتائج كارثة على حياة المجتمعات الإنسانية, لأن ظاهرة الاستعمار والبحث عن المواد الأولية عجلت بقيام الحروب, ولعل من أهمها الحربين العالميتين الأولى والثانية, وهي في الأصل حرب أهلية أوروبية سببها الأول التنافس على نهب المستعمرات, وللحد من هذه الأزمات ظهرت إصلاحات علمية هدفها التقليل من الأزمات والوقوف ضد المد الشيوعي, فتم تعديل مثلا ساعات العمل, وتم الترخيص للنقابات, ووضعوا تشريعات للتأمين والضمان الاجتماعي, من أجل منع التوتر طالب عالم الاقتصاد ريكاردو 1772 - 1823 بضرورة الإصلاح, وقد تنبأ بالأزمات التي يمكن أن تحصل, وقد حصلت بالفعل فهو يقول:" إن أي عمل يعتبر منافيا للأخلاق ما لم يصدر عن شعور بالمحبة للآخرين".

2 الاشتراكية: الرأسمالية جعلت الغني يزداد غنى والفقير يزداد فقرا, وهذا ما عجل بقيام فلسفة سياسية واجتماعية في مضامين اقتصادية, هي الاشتراكية العلمية وجاءت على يد الفيلسوف وعالم الاقتصاد الألماني ك. ماركس 1818 - 1883م درس التاريخ يقول في كتابه نقد الاقتصاد السياسي:" إن بنية المجتمع الاقتصادية هي الأساس الحقيقي الذي تقوم عليه بنيته الفوقية, أعني البنية القضائية والسياسية". هذه الفلسفة المادية قامت على تناقضات الواقع الرأسمالي, بداية قدست الملكية الجماعية وأخضعت الفرد لإرادة الجماعة, وجعلت الاقتصاد تخطيطا وتوجيها, وكانت غايتها نقض الاستلاب بمعنى القضاء على التفاوت الطبقي, وجعلت الصراع الطبقي, صراع الضعيف ضد القوي وقود الثورة, ونظرت إلى الاقتصاد في ظل قانون فائض القيمة الذي يخضع لفلسفة الجماعة للفرد أي أن الثروات غير قابلة للاحتكار من فئة دون أخرى لأن الدولة في النهاية ديكتاتورية البلوريتاريا, ذلك النظام السياسي الذي يشكله العمال والفلاحون والمثقفون.

لا ينكر احد روح العدالة والمساواة ومناهضة الظلم الرأسمالي في الفكر الاشتراكي وكيف أن هذه النظرية قد ساهمت في بناء ما كان يعرف بالمعسكر الشرقي إلا أن إخضاع النظرية إلى الواقع أبرز تناقضاتها الشديدة وهي غير قابلة للحصر, ومن أهمها أنها نظرية مادية تأسست على الإلحاد, وتنكرت للقيم الأخلاقية, والمبادئ المثالية, فكان المستفيد الأكبر الخصوم, عرف الرأسماليون

أخطاءهم, فقاموا بعملية تصحيح, وأدى تطور المجتمعات الغربية إلى تصدر المعسكر الشرقي, وكان انهياره, وما ترتب عنه من أزمات وفتن شملت العالم.

3- الاقتصاد الإسلامي ومسلمة الأخلاقية:

المعاش في الشريعة الإسلامية يخضع لعالم المثل والقيم الأخلاقية وهو أداة ناجعة لجل حياة الناس ممكنة في ظل تبادل المصالح, ضمن القاعدة العامة لا ضرر ولا ضرار. عرفنا أن الرأسمالية تقدس الفرد والاشتراكية تقدس الجماعة,أما فلسفة الإسلام فهي تقدسهما في آن واحد,لأن العلاقة بينهما علاقة أخلاقية يستطيع الفرد الواحد أن يمتلك حافلة ويستثمرها,وإن عجز يشترك مع إخوانه بمقتضى العدل القائم على جدلية التناسب بين الحقوق والواجبات,مع فسح المجال أمام المبادرة الفردية,لقوله تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} (46) سورة الكهف,وشرع الإسلام الملكية بأنواعها,فأقر الفردية والجماعية على حد سواء,وجعل المؤمن مستخلف في المال لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ} (29) سورة فاطر,وجعل الجرائم الاقتصادية كبائر وخير مثال التطفيف كقوله تعالى: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ} (1) سورة المطففين,بالإضافة إلى أكل أموال الناس بالباطل,ووضع حلولا واقعية لمنع الطبقية وذلك بقوانين المواريث,وكذلك مشروعية الزكاة لقوله تعالى: {وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (110) سورة البقرة,وتكون العدالة نتيجة حتمية ولازمة يقول تعالى: {مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (7) سورة الحشر,لا يمكن النظر إلى هذه القضايا وكأنها مسلمات نظرية لا تنسجم مع حقائق الواقع,لو افترضنا أن الدول المصدرة للنفط ألزمت نفسها بدفع زكاة الركاز والقصد هنا المعادن وما هو محمول من باطن الأرض وتم إخراجه......من ثروات النفط وما يتبعها ما بقي على وجه الأرض فقيرا ولا جائعا أما مجال الاستثمار فهو واسع,فقد جاء في الحديث المأثور عن النبي ﷺ:"من أحيا أرضا مواتا فهي له"وجاء في الحديث أنه قال عليه الصلاة والسلام:"ليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين".

التعليمة:

**وضعية مشكلة تعلمية رابعة**

الميدان: الأخلاق الثابتة والمتغيرة.

المحور: الأسرة والعمل

الكفاءة القاعدية: إدراك وظيفة الخير والشر وتحديد القيمة الأخلاقية.

مؤشر الكفاءة:

1. مبحث القيم في الفلسفة.
2. التعرف على الخير والشر.
3. تحديد القيمة الأخلاقية ومعيار الحكم على السلوك.

سير الدرس

تقويم تشخيصي:

أتعرف على المصطلحات التالية:

**السند:**

"قرر أستاذ الاقتصاد السياسي أن يحلل الأزمات العالمية في ظل قوانين الاقتصاد العامة,فبين أن الدول العظمى تختلق أزمات حادة لتقوض البناء والتماسك لدى المجتمعات الناهضة والضعيفة,وتكون النتائج الفتن والحروب الداخلية,واعتبر أن هذا قانون إنساني عام,فلو افترضنا جدلا أن سويسرا سجلت عجزا تجاريا وعجزت عن تقديم رواتب عمالها وموظفيها,واكتشف مواطنوها أن المستشفيات والمصالح العامة لا تؤدي مهامها,سنكتشف بعد فترة وجيزة وجود حركات انفصالية وأعمال عنف,لأن التاريخ الإنساني تحركه سنن عامة لا تميز بين جنس وجنس أو بين فئة وأخرى".

العولمة وقيمة العمل: مهما كانت قوة التماسك شديدة في المجتمع, إلا أن الأزمات الاقتصادية تترك فيها آثارا سلبية, وحتى نبعد شبح الأزمات والكوارث الاقتصادية,يجب أن تعرف على غايات وأبعاد الشغل. قيمة العمل في أبعاده:

أـ الأبعاد النفسية: العامل لا يستجيب للأمراض النفسية,لأنه يلبي حاجاته البيولوجية في الأسرة,وأجمل ما يقضيه من الأوقات هي الفترات التي يجدها في أهله وأولاده وفي التاريخ المعاصر ظهر في علم النفس ما يعرف بسيكولوجية الشغل وهي تتصدى لأزمات العمل,فتضع الحلول وتقترح الوسائل التي تحد من العوائق كما نجد ذلك مثلا في العمل المتسلسل أو الأعمال المرهقة كأعمال التعدين والمناجم.

نظرية فردريك تايلور1856ـ 1913م: مهندس أمريكي اهتم بعالم الاقتصاد,درس ظاهرة الإنتاج والعوامل السلبية المؤثرة,وخاصة مسألة الوقت وهدره,فوضع مناهج تيسر عملية الإنتاج,نظر للشغل نظرة مادية وآلية خالية من الأبعاد الإنسانية والنفسية,اعتبر العمال في المصانع مجرد آلات واعية مهمتها الأولى الإنتاج وإذا كان لابد من استبداله فليكن ذلك بواسطة الآلة ,هذا يجعل العمل أكثر إتقانا وجودة.

ب ـ الأبعاد الأخلاقية: العامل يمنع نفسه من الانحراف و السلوك الشاذ على خلاف العاطل الذي يدفعه الفراغ للخوض في مالا ينفع, وفي أيام الأزمات

الاقتصادية تظهر الانحرافات الأخلاقية ظاهرة جلية, بل قد تدفع بعض الأفراد إلى التمرد على القوانين والأعراف الاجتماعية.

ج ـ الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية: إن تقسيم العمل يوثق الروابط ويقوي العلاقات فهذا طبيب وهذا مهندس, وهذا يحسن فعل التجارة, والآخر يتقن النجارة,فيتحقق ذلك العالم الاقتصادي الذي يجعل حياة الإنسان ممكنة في ظل التناقضات.

د ـ الاندماج في العالم: قذف العالم أو نقده أو تحميله مسؤولية ما يقع عبث إنساني لا قيمة له, الحل الممكن هو أن نتعايش معه, ونبعد أنفسنا عن أزماته قدر الإمكان, ونحذر أن نضع أنفسنا في مواجهة من لا نقدر على مواجهته والتصدي له, وهذا لا يعني التخاذل بل يعني الحكمة, مع ضرورة الاندماج الفعال في هذا العالم, بما نقتدر على فعله وأخذ العبرة من دول أخرى حققت نجاحا وتطورا كالصين والهند وباكستان وغيرهم, هذه الدول استثمرت واقعها واشتغلت وحدت من أزماتها, وفرضت ثقافتها على الغير, يجب أن نأخذ أجمل ما في العولمة كالتواصل وحرية الحركة والاقتناع بنظرية حقوق الإنسان, وتثبيت الهوية, يرى الفيلسوف الألماني هيدجر أن المجتمع الذي لا يصنع التاريخ سيكون بالضرورة موضوعا له.

**التعليمة:**

**وضعية مشكلة تعلمية رابعة**

الميدان: الأخلاق الثابتة والمتغيرة.

المحور: الأسرة والدولة

الكفاءة القاعدية: إدراك وظيفة الخير والشر وتحديد القيمة الأخلاقية.

مؤشر الكفاءة:

1. مبحث القيم في الفلسفة.
2. التعرف على الخير والشر.
3. تحديد القيمة الأخلاقية ومعيار الحكم على السلوك.

سير الدرس

تقويم تشخيصي:

أتعرف على المصطلحات التالية: السياسة الدولة الأمة الحكم النظام

**السند:**

" عرفت إيطاليا شخصية فذة في الفلسفة والسياسة, هي شخصية نيقولا ميكيافلي Machiavel هو من عائلة عريقة ولد سنة 1469م في مدينة فلورنسا شهد الصراعات السياسية وتقاتل وتنازع الحكم والسلطة بين الإمارات الإيطالية المتنازعة, وكانت الفلسفة السائدة هي الغدر والمؤامرة وتعرف على شخصية سافونارولا رجل الدين المسيحي الحاكم المستبد, درس التاريخ وفقه حركته وعرف أن القوة هي مصدر الحكم, وأن المثل والقيم هي فلسفة العاجزين والضعفاء, عرف المناصب العليا,و اشتغل كمستشار عام للدولة, حتى أطاحت به المؤامرات, فتم اعتقاله مع متآمرين, ونزعت منه السلطة لمدة اثنتي عشر عاما, وكان كل صباح يحلم أن يأتيه العفو ويجدد حياته السابقة, هذه التجربة القاسية علمته فن السياسة والحكم, ترك كتابه الأمير زاخرا بالنصائح لكل من أراد أن يحكم أو يمارس فعل السياسة, ولعل من أهمها أن القوة هي السلطة وأن الغاية تبرر الوسيلة, ومن أراد أن يكون مثاليا, فليجلس في بيته, ويقرأ كتب التاريخ فلعل وعسى أن يفقه هذه الحقيقة, ومات متألما متحسرا سنة 1527 م , ولله في عباده حكم وعبر".

في ظل فلسفة التنازع هل تبقي الدولة على وجودها: لا أحد يعلم متى وجدت الدولة؟ أو كيف نشأت؟ والظاهر أنها تطورت في القديم وإنها ليست إبداعا إنسانيا, فنحن نجد في عالم الكائنات الحية وخاصة عالم النحل والنمل أنظمة حكم, تصل إلى أرقى أشكال النظام والانتظام, فنجد مثلا عند النحل الملكة والعاملات, والمدافعات, كل هذا يتم في انضباط متناهي لا نجد له مثال حتى في عالم الإنسان الذي يحكم عادة بالعقل والمنطق, لذلك كانت الدراسات الإنسانية قديمة قدم الفكر, فنجد مثلا في الحضارة اليونانية القديمة نماذج جيدة, ككتاب أفلاطون "الجمهورية", وكتاب أرسطو "السياسة", ونجد في الحضارة الإسلامية نماذج جيدة ككتاب الفارابي" آراء أهل المدينة الفاضلة".

الدولة جدلية القانون والأخلاق:

قبل الهواء والماء والغذاء والدواء, تتقدم الدولة كوجود معنوي مستقل يحضا بالتقدير والاحترام ويستحق المحافظة والدفاع عنه, لأنها الماضي والحاضر

والمستقبل لذلك يعتقد فلاسفة السياسة أن النظر في قانونية الدولة ودستوريتها متقدم.

1- أركان الدولة:

أ- الشعب: المجموعة البشرية التي تخضع لسلطة الدولة.

ب - الأرض:وهي الإقليم الجغرافي الذي يتواجد فيه الشعب.

السلطة: هي قوة عليا يخضع لها الأفراد والجماعات, وتستند في وجودها لقوة القانون.

ج - السيادة: هي عنوان الدولة وصورتها في الواقع, وتحترم لأنها تملك سيادتها الداخلية فتكون هي المشرعة للقانون, وتحافظ على استقلالها, فتحضا باحترام المجتمع الدولي.

2 - وظائف الدولة: بحث الفلاسفة وعلماء السياسة وظائف الدولة ومهامها,فوصلوا إلى النتائج التالية:

1- الأمن: الدولة تحمي نفسها من مواطنيها أولا, ومن أعدائها الخارجيين ثانيا فهي القوة الوحيدة التي يصدر عنها العنف, فهي تستخدم القوة لعقاب المجرمين والمنحرفين, وتعد ما تستطيع من قوة لترهب عدوها المتربص بغض النظر عن نوعه وطبيعته,يقول موسولوني:"إن السلام الدائم لا هو بالممكن,ولا بالمفيد,إن الحرب وحدها بما تحدثه من توتر,هي التي تبعث أقصى نشاطات الإنسان".

2ـ الرعاية الاجتماعية: وجود الأمن بشكله المطلق تكون نتيجته الحتمية الاستبداد والظلم, ولا تستقيم معادلته إلا بوجود الدولة في واقع الأفراد, فيكتشفها المواطن في الإدارة والشارع, وكذلك في وجود النظام والاستقامة في الأفعال لأن المواطن نسخة من دولته.

السلم والحرب الدولة لها الحق في ممارسة العنف على الأفراد

**التعليمة:**

**وضعية مشكلة تعلمية رابعة**

الميدان: الأخلاق الثابتة والمتغيرة.

المحور: الأسرة والدولة

الكفاءة القاعدية: إدراك وظيفة الخير والشر وتحديد القيمة الأخلاقية.

مؤشر الكفاءة:

1. مبحث القيم في الفلسفة.
2. التعرف على الخير والشر.
3. تحديد القيمة الأخلاقية ومعيار الحكم على السلوك.

## سير الدرس

### تقويم تشخيصي:

أتعرف على المصطلحات التالية: الاستبداد الثيوقراطي الديمقراطية الشورى

**السند:**

يخبرنا الإمام الذهبي وابن خلكان,سيرة مستبد المدعو الحاكم بأمر الله أحد حكام الدولة الفاطمية قال الذهبي :" كان جوادا سمحا خبيثا ماكرا,رديء الاعتقاد سفاكا للدماء,قتل عددا كبيرا من كبراء دولته صبرا..نهى عن بيع السمك وظفر بمن باع ذلك فقتلهم.. وأمر النصارى بأن تحمل في أعناقهم الصلبان,وأن يكون الصليب ذراعا وزنته خمسة أرطال بالمصري,وأمر اليهود أن يحملوا في أعناقهم عصي من الخشب في زنة الصلبان,ومنع النساء من الخروج في الطريق,فلم يزلن ممنوعات سبع سنين وسبعة أشهر حتى مات,ومنع الأسواق والبيع والشراء نهارا دهرا,فكانت الحوائج تقضى ليلا وهذا قليل من كثير".

**السياق:**

هذا مثال شاذ يحفظ في التاريخ كشهادة عما يكون عليه المستبد والديكتاتور في رعيته, والاستبداد مظهر سياسي لازم الحضارات المتعاقبة في التاريخ, وله أشكال لا تعد ولا تحصى.

### 1- نظرية المطلق والاستبداد في الأنظمة السياسية:

هذه النظرية ترى أن سيادة الدولة مطلقة على الأفراد, فلا قيمة لهم, ولا وجود إلا بوجود سلطة مهيمنة تفرض إرادة القوة على الآخرين.

أ - الحكم الثيوقراطي: وهو الحكم الديني وله معادلة خاصة,وهي أن الحاكم يضع بينه وبين المحكوم علاقة مباشرة فيدعي لنفسه الألوهية,وخير مثال حكم الفراعنة قديما وقد ذكرهم القرآن الكريم كقوله تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ} (38) سورة القصص,وقوله تعالى: {يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} (29) سورة غافر,وفي الحضارة الرومانية كان يعتقد بأن الإمبراطور إله.

ب - الديكتاتوريات المعاصرة:القرن العشرين عرف أعتا وأقوى الديكتاتوريات كالنازية في ألمانيا والفاشية في إيطاليا وهي حكم استبدادي يتسم بالفردية والمطلقية لا يؤمن بقوة القانون ولا يخضع لدستور,ولا يعرف حق الأغلبية أو

تعدد الأحزاب,أو حرية الرأي,قوته في وجود حاكم قوي يجمع كل السلطات وعلاقته بالمحكومين علاقة تبعية.

ج ـ ضرورة التمييز بين فلسفتي القوة والغلبة السياسية:

يفترض في الدولة أن تكون قوية,ويفترض في الحاكم الاقتدار والعزم لذلك بحث القدماء وضع المستبد العادل,قد تدفع الحاكم مقتضيات تفرض عليه إعمال القوة بمقتضى الشريعة والقانون, وكذلك وضع المستبد المستنير,فالدول التي تتعرض إلى خلل أمني أو ظهور عدو متربص يكون للحاكم حق اعتماد القوة في ضوابطها لردع المعتدي ووقف الخطر المحدق.

إن من يستقري التاريخ ويدرك فلسفته,يكتشف أن أعظم الحضارات أنشأها مستبدون كالحضارة الفرعونية و الإغريقية مثلا,مع وجود معضلة وهي أن القوة تبني الدولة,ولا تحافظ على وجودها,وهذا يفسر سقوط الدول والحضارات في التاريخ قديمه وحديثه.

2ـ نظرية الجماعة و الديمقراطية في الأنظمة السياسية:

أـ حكم الشورى في الإسلام:

هي ثابت من ثوابت الشريعة,وهي تعني المشاورة وطلب النصيحة والأدلة من القرآن والسنة كثيرة ومن أهمها قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (159) سورة آل عمران,وكذلك قوله تعالى في محكم تنزيله: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} (38) سورة الشورى ومبدأ النظرية البيعة وهي بمعنى الاختيار والانتخاب والشواهد في حياة النبي ﷺ كثيرة,وكذلك في حياة الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم واهتدى بهداهم,والنماذج ماثلة أمام كل مؤمن مطلع على التاريخ الإسلامي,عرف المسلمون ما يعرف بأهل الحل والعقد وهو يتفق مع الكلمة الدخيلة على اللغة وهي برلمان مع وجود فوارق في المعنى والمقصد.

ب ـ الديمقراطية السياسية: الديمقراطية Démocratie لفظ مؤلف من لفظين يونانيين أحدهما ديموس ومعناه الشعب,والآخر كراتوس ومعناه السيادة وهي نظام سياسي تكون فيه السيادة لجميع المواطنين وقد تحققت كواقع تطبيقي في التاريخ المعاصر مع الثورة الفرنسية ونصت على سيادة الشعب والمساواة وكذلك الحرية الفردية وكرامة الإنسان.

1ـ نظرية العقد الاجتماعي عند ج.ج.روسو: Contrat social وهو اتفاق وهمي بين أفراد المجتمع يتعهد فيه الجميع وهم في الحالة الطبيعية الأولى التنازل عن بعض الحقوق لوجود حاكم يبدع سلطة تنشئ المجتمع المدني السياسي بشرط وهو أن يكون الحاكم طرفا في العقد, ويخضع للقانون الذي

يحدد مجال السلطات الثلاث, التنفيذية والتشريعية والقضائية يقول:" إن الإنسان يربح بالعقد الاجتماعي حريته المدنية, وإن خسر حريته الطبيعية".

2- اقتران الديمقراطية السياسية بالليبرالية الاقتصادية: هي فلسفة حكم تقدس الفرد وتعتبر حريته مطلقة في الحكم والتملك وكذلك المعارضة والمشاركة عن طريق الانتخاب فهي تعكس الروح الرأسمالية, ولها أشكال متعددة منها الديمقراطية المباشرة وتتأسس على الانتخاب المباشر كما نجد ذلك مثلا في سويسرا وهي عصية عن التطبيق, لأن المواطن مطلوب منه إبداء الرأي عن طريق الاقتراع في كل صغيرة وكبيرة, والأقرب للممارسة هي الديمقراطية غير المباشرة, وهي نمط سياسي برلماني يتيح للجماعة التمثيل والمشاركة عن طريق الهيأة المنتخبة والتي تشكل البرلمان , وهذا موجود بأشكال متباينة شكلا في فرنسا وأمريكا وغيرها.

النمط الغربي الليبرالي حقق بالديمقراطية ومنع الأنظمة الديكتاتورية من معاودة الظهور, إلا أن تعاقب الزمن قد بين أن هذا الشكل لا يعكس بالضرورة حاجة الجماعة بالقدر الذي يعكس فيه صورة الطبقة الغالبة النافذة, يقول أحد المنتقدين لا أتصور حياة بطال أمريكي".

ج ـ الديمقراطية الاجتماعية:

حكم لا يبالي بالشق السياسي ولا يهتم مثلا بتعدد الأحزاب وحرية الصحافة, ويبقى هدفه وغايته الأولى هي تقديس الجماعة وردع الأفراد عن الظلم والطغيان, وما ينبغي تحقيقه هو تكافئ الفرص وإزاحة الطبقية ومحاربة البؤس والفقر والعطاء الناس الحقوق الجماعية بالتساوي, كحق العمل والعلاج, وعادة لا يكون النظام السياسي خاضع لإرادة الجماعية وتظهر في شكل حزب واحد تمارس فيه الفئات الاجتماعية كالعمال حق الحكم وكذلك المعارضة الإيجابية داخل النظام الواحد, وخير مثال نجده في المعسكر الشرقي قبل تصدعه وانهياره. إن الديمقراطية الاشتراكية قد فقدت مثاليتها وصدقها مع التطبيق الواقعي, حيث تحولت إلى أنظمة دكتاتورية مستبدة وشاهد تاريخ العالم المعاصر ديكتاتورية ستالين في الإتحاد السوفيتي, وكل المجتمعات التي تبنت هذا النظام كان مآلها الحروب والفتن وتبقى الصين كحالة استثنائية, لأنها الإمبراطورية الوحيدة في التاريخ التي تمتلك عنصر الوجود وذلك في قدرتها الفائقة على تجاوز محن الدهر وعوائق الزمن.

3 ـ الديمقراطية السياسية ونهاية التاريخ: الحداثة مستمدة من عصر التاريخ الأوربي, وذلك لما اكتشف المسيحي زيف الكنيسة وفعلها وكيف أنها كانت السبب الأول في الانحطاط والتخلف وكيف أن ثورة التنوير هذه قد أفرزت ظاهرة الاستعمار والإمبراطوريات الاستعمارية, وكيف أن التنافس على المستعمرات قد أدى للحربين العالميتين الأولى والثانية ثم ظهرت حالة الانقسام

وما تبع ذلك من ظهور المعسكرين الغربي والشرقي, وكيف تصدع وانهار الإتحاد السوفيتي بموت الفجاءة ,هذا الانهيار جاء مدويا فظهر في الفكر الأمريكي توجها جديد سمي ما بعد الحداثة, وعرف عند الناس بمصطلح العولمة, وهو فكر يجمع بين توجه رأسمالي غرضه إخضاع العالم ,ورسم نظرية أن حكم القوي على الضعيف حتمية, وحدثت عودة سريعة إلى التراث الكنسي القديم المتشدد, وتم تقسيم العالم إلى أخيار وهم السادة والقادة, وأشرار وهم من يعترض أو يشكك في فلسفة نهاية التاريخ, وجاء المفكر الأمريكي المعاصر من أصل ياباني فرانسيس يوكوهاما ليقدم بشرى للعالم وهي أن الحياة الأمريكية ومدرستها الرأسمالية وديمقراطيتها السياسية هي المثال الذي يحتذي به, وأن من خالف ذلك خالف التاريخ, وأن زمن المثالية والقيم قد تراجع, وترك مكانه للعلم, وأن المؤسسات الموجهة للرأي العام هي التي تحدد مسار الأفكار وتوجه الآراء, وأن العولمة هي منطق التاريخ وأن الأمم التي تشكلت عبر آلاف السنين ستنحل كما ينحل السكر في الماء, لذلك عرف عبد المنعم الحنفي في معجمه الشامل لمصطلحات الفلسفة العولمة بقوله:"مذهب القائلين بأن الرأسمالية هي ديانة الإنسانية,وأن النسبية الثقافية هو المعول عليه وليس مبدأ مركزية الثقافات,وأن العالم ينتقل حاليا ونهائيا وشموليا والتسلط ,إلى الديمقراطية والتعددية وتشمله ثورة معلوماتية".

العولمة مزج بين الحلم والوهم: هي نشوة المنتصر بانتصاره المؤقت, التاريخ لا يعرف نهاية, لأنه تعاقب لحركة الإنسان والبحث التاريخي يظهر أن كل إمبراطورية انتصرت اعتقدت واهمة أنها باقية بقاء المكان والزمان يقول تعالى في محكم تنزيله: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى} (120) سورة طه, كانت فتنة الشيطان أنه أوهم آدم عليه السلام بملك لا ينتهي أي لا يبلى, وأنه يمكن أن يخلد خلود التاريخ,أما بقاء إمبراطورية وزوالها فهدا أمر فوق إرادة البشر وطاقتهم لأنه لا يخضع لسنن بشرية,بل يحتكم فيها إلى السنن الإلهية لقوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (26) سورة آل عمران.

**التعليمة:**

الأسرة بداية المجتمع ونهايته, هي المقدس الذي لا يمكن تجاوزه, الرجوع إلى مقاصد الشريعة ضروري للحد من أزماتها, مع مواجهة خطر الانحلال القادم مع الحداثة وما بعدها متجليا في خطر العولمة, لأن خطرها كامن في أن فئة من مجتمعنا شرعت في التقليد فغاب الوعي,قوة الأسرة ووجودها كامن في العمل وهو يتجلى واضحا في نتائجه وأنظمته مع ضرورة مراجعة التاريخ وأخذ العبر من تجارب السابقين ,إن المنظومة الاقتصادية تشحن بالسياسات

المستقيمة,وكذلك الشاذة,ويبقى دور الفعل السياسي أساسي وحتمي في مواجهة العوائق لأنها فن الممكن ويمكن أن نصل إلى النتائج التالية:

1- جدلية الأسرة بين الوجود و اللاوجود.

2- ضمان الأسرة مكفول في قدرة الإنسان على العمل ضمن النتائج والأنظمة لتحقيق غاية العمل وأبعاده.

3- السياسة المستقيمة تقف دون العولمة وتضع الأسرة موضع الاهتمام.

الإشكالية: فلسفة العلوم

المشكلة: الحقيقة العلمية والحقيقة الفلسفية المطلقة.

I الحقيقة : تعريفها, أصنافها, مقاييسها :

الوضعية:" أمام مجموعة كتب مبعثرة هنا وهناك, وفي لحظة تعب وإرهاق, وبعد قراءة عميقة بحكم أنه يحضر لدراسة عليا عن الحقيقة ومعايرها من زاوية فلسفية, استغرق في لحظة تأمل ذاتي لعله يستذكر ما فاته وغاب عن ذاكرته, تذكر أن الفلسفة حقائقها مطلقة فهي تبحث دوما عن المطلق الكامن في الأشياء, فهي البحث في العالم والقيم والنظر في المعارف الإنسانية ,وكيف أن منهجها هو التأمل في ملكوت الله تبارك وتعالى, ثم أدرك أنها عسيرة, لأن مجالها واسع يفسر التناقضات الفكرية الإنسانية, ثم أمسك وعاد لتأمله مجددا هناك حقائق أخرى أبسط وأيسر فتذكر العلم والنسبية التي تطارده فهو في جدلية التغير والتبدل دائما, وهذه نقيصة تضعفه, ثم نظر إلى غرفته الصغيرة وكتبه المبعثرة, وقرر أن يشرع في كتابة بحثه, وكانت بدايته هكذا: إن عقل الإنسان متعسر عليه إدراك الحقائق المدركة, فجهده جهد المقل, والمطلق في علم الله, ما نقتدر على معرفته هي المعارف القاصرة, وأن العقل لا يمكن أن يشتغل بمفرده, يجب أن تشاركه عقول أخرى, حتى تتحقق معرفة إنسانية إن لم تكن مطلقة فهي تهدف إلى غاية وهي إدراك الصواب والقاعدة تقول أن من اجتهد وأصاب له أجران, ومن اجتهد وأخطأ فله أجر, وهذا يثبته قوله تعالى: {فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} (76) سورة يوسف".

التفسير: ميز علماء اللغة بين الحق والحقيقة فقالوا الحق من أسماء الله تعالى أو من صفاته, وهو الثابت الذي لا يمكن إنكاره, كأن يقول أحدنا لخصومه: هذا حقي بمعنى المتحقق في الوجود عيانا وحسا, أما الحقيقة ما تم الاتفاق على وضعه كقولنا الفاعل في القواعد يرفع, فهذه حقيقته الخالصة وماهيته.

الحقيقة عند الفلاسفة: لها تعريفات شتى من أهمها:

1- الحقيقة ومطابقة التصور:

قال ديكارت:" إن الأحلام التي نتخيلها في النوم, لا تحملنا أبدا على الشك في حقيقة الأفكار التي تحصل لنا في اليقظة". هكذا تطلق الحقائق على الثابت, كقولنا الحقيقة الفيزيائية والحقيقة التاريخية.

2 - الحقيقة ومطابقة الشيء لكماله:

إذا كان الإيمان هو المثال الإنساني فهذا يعني بالضرورة حقيقته, وإن كان الإحسان مثال القوي والمقتدر فهذه حقيقته.

3- الحقيقة والمنطق: يقول الجرجاني:" وقد يقال أن ما به الشيء هو هو باعتباره تحققه حقيقة, وباعتباره تشخصه هوية, ومع قطع النظر عن ذلك ماهية". الحقيقة هنا تعبر عن ماهية الشيء كأن نقول الإنسان حيوان ناطق, فالماهية هنا جمعت بين صفتين جوهريتين وهما: الحياة والنطق بدلالة التفكير والتمييز, يقول ابن سينا:" إن لكل شيء ماهيته, هو بها, ما هو". ويشرح ذلك بقوله:" لكل أمر حقيقة, هو بها ما هو".

4- الحقيقة ومبادئ العقل: الحقيقة والمنطق تحمل صفة العموم والقبول كقولنا مفدي زكرياء شاعر ومجاهد, لأنه جمع رحمه الله بين جهاد النفس والقلم وتُحْمَلُ الحقيقة على صفة الخصوص يقول لاينبتز:" متى كانت الحقيقة ضرورية أمكنك أن تعرف أسبابها بإرجاعها إلى معان وحقائق أبسط منها, حتى نصل إلى الحقائق الأولى". وهذا يعني ضرورة التمييز بين ما هو عقلاني خالص, وبين ما هو حسي عيني, صورة مفدي زكريا على ديوانه حقيقة حسية عينية, أما إبداعه وعظمته الشعرية فهي موافقة خالصة.

- على ضوء تعريف الحقيقة رغم تنوعه واختلافه يمكن أن نضع هذا المصطلح في مفردات محددة هي:

الحقيقة الصورية وهي مطابقة المنطق وقواعده كقولنا مثلا كل إنسان فان, والحقيقة المادية كقولنا الأكسجين يساعد على الاحتراق, والحقيقة الواقعية كقولنا يوم الجمعة تكون الصلاة جامعة, والحقائق الأبدية كقولنا اليوم الآخر يوم المعاد, وحقيقة الكشف عند الصوفية ولها مراتبها ودرجاتها.

### أولا: أصناف الحقيقة.

الوضعية:"قال لصديقه: تأمل في هذا العالم,وأنظر إلى أحواله ستكتشف أهواله في مظالمه وطغيانه,وهدره لحقوق الآخرين,وتأمل في سلطة القوي على الضعيف وما يتبع ذلك من تغييب للمثل والقيم وكيف تحول العالم إلى ساحة قتال,ينتصر من امتلك قوة المادة ونفوذ العلم.

قال المستمع: الظاهر أنك تحلق في عالم المطلق والنسبي, بجناحي الفلسفة والعلم.

قال الصديق:النسبي يطاردنا في كل مكان, فنحن نشك في قوة الدواء, وصلاحية قطع الغيار وقيمة الشهادة الجامعية لأن معيار الضعيف ضعفه,ومعيار القوي قوته.

قال المستمع:هناك من يعانق بخياله الكمال والمطلق,ويبحث له عن مكان في جمهورية أفلاطون,وهناك من يندمج بمعرفته العلمية,ويقر بفقره المعرفي,والنسبية تطارده وهي كامنة في جدلية العلم التي لا تعرف إلا التبدل والتغير,وهناك من يخالف هؤلاء,وينظر إلى العالم نظرة الصوفي الحالم,وينتظر أن تمطر له السماء يوما ما فضة وذهبا".

التفسير: المعرفة الإنسانية مهما تنوعت وتباينت فهي تصنف بوجه عام إلى صنفين هما:معارف فلسفية توصف بالمنطقية,لأنها تعنى بالقضايا الماورائية المفارقة للحس,ومعارف نسبية متصلة بالمعرفة العلمية,الباحثة في عالم الحس والواقع,ومع ذلك يبقى الالتباس والغموض حاصل,لأننا لا نمتلك تعريفا جامعا مانعا لمصطلح المطلق والنسبي.

أ- الحقائق المطلقة: المطلق Absolu, لغة نقول أطلق المواشي سرحها,وأطلق سراح السجين خلى سبيله,وفلان غضب فأطلق لسانه,بمعنى لم يتقيد بآداب الكلام, والحد المطلق في المنطق وعلم النفس يعني اللفظ الذي لا يحتاج إلى بيان كقولنا الله خالقي, ويجد فيه الفلاسفة التام والكامل,والمطلق عندهم هو الله وما يصدر عنه من خير مطلق وجمال مطلق وهكذا,والمعرفة المطلقة هي الحقائق القبلية Apriori,التي لا يستمدها العقل من التجربة والإحساس, بل هي صادرة عن المبدأ الأول الله تبارك وتعالى كفضائل الأعمال كالأمانة والصدق والإحسان,وقد يأتي المطلق كمفردة عامة:فهو في الفلسفة علم ما بعد الطبيعة,وفي الأخلاق والسياسة مالا يحده حد كإحسان المحسن وعدل الحاكم,وفي الحكم الشرعي هو مطلق الدلالة كقوله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (275) سورة البقرة.

ب - الحقائق النسبية:

لا بد من التمييز بين النسبة وهي من المفاهيم العقلية العامة عرفها الجرجاني بقوله:"إيقاع التعلق بين الشيئين ". وهذا التعلق يأتي بأشكال منها: التوافق,والتشابه,والتماثل,والتعلق,فالزواج إيقاع نسبة هي المصاهرة

مثلا,والنسبة في العلم الرياضي العلاقة بين الكميتين,وخير مثال النسبة والتناسب وهو البحث في قوانين العلاقة ,والنسبية هي النظرية العامة في الفيزياء,أما النسبي Relatif,فهو يقابل الكمال والمطلق,وهو الشيء أي يتوقف وجوده على غيره,وهذا نجده في العلم خاصة Science, لأنه عند الفلاسفة هو الإدراك مطلقا تصورا كان أو تصديقا حمل صفة اليقين أو نفاها,فالأمر سواء,وللتوضيح نقول الفضيلة من المطلق والكمال وهي خلاف الرذيلة,بمعنى أنها الاستعداد الدائم لسلوك طريق الخير,أي أنها مجموع قواعد السلوك المعترف بقيمتها فالإحسان من الفضائل المطلقة,التي لا تتغير بتغير وتبدل الزمان,على نقيض المعارف العلمية التي لا تثبت على حال فهي في جدلية دائمة مصدرها أن رؤية عالم الواقع والحس لا يثبت على حال واحد,وهذا ندركه لما نقارن بين العلم الفيزيائي الكلاسيكي الذي نظر إلى المادة في ثباتها,على خلاف المعاصر الذي اقترن بوجود علام لا متناه في الصغر كعالم الذرة مثلا.

## ثانيا: الإنسان هو من يحكم ويقر نسبية النسبي ومطلقية المطلق.

إذا كان الإنسان هو مصدر الحكم والتمييز,فهذا يقود إلى معضلة إبستيمولوجية وهو أنه يعتقد في أحوال كثيرة أن المطلق قد أضحى ملكه,ونكتفي بمثالين واحد من الفيزياء وآخر من التصوف:

1 ـ قدم نيوتن إجابات واضحة عن الحركة,الأجسام حولنا لها إشكال من الحركة المختلفة,فنحن نشاهد حركة سيارة تبدأ من السكون ونشاهد دورانها وانعطافها,وكذلك حالة التوقف,ولما لا نرى جسما مقذوفا إلى الأعلى ونفسره,ويمكن أن نشاهد طائر يطير,أو سمكة تسبح,أو كائن حي يتسلق جبلا,هذا وغيره نفسره بقوانين نيوتن في الحركة,ويأتي التفسير دقيقا منضبطا,وهذا يحقق صفة الكمال والمطلق,هذه المفاهيم سرعان ما أثبت العلماء نسبيتها وضاعت بين مصطلحات جديدة ومفاهيم جديدة كالنسبية والكوانتوم ونشاطات الفوتونات وطاقة الليزر وغيرها كثير,لقد أقر العلم الفيزيائي بعجز العقل والحس الإنساني,وأثبتوا معادلة النسبي وهي :"عالم لامتناه في الصغر,وآخر لامتناه في الكبر,وأخيرا عالم لا متناه في التعقيد". الأول يقابل عالما الذرة والإلكترون, والثاني يقابل عالما النجوم والأجرام, والأخير يقابل علم الكم والمقدار.

ـ على نقيض صوفية الكتاب والسنة ,شرع المتصوفة المتفلسفة وهم تيار دخيل على الثقافة العربية الإسلامية,في بث أفكارهم بداية من القرن الثالث

الهجري وما زالوا,وتأثروا بالميراث الفارسي المجوسي القائم على الوثنية,وكذلك الفلسفات الهندية وهي فلسفة بؤس وبكاء ونحيب على الأموات,مع تقديس القبر والضريح والعناية بالميت,والضحك على العقول الساذجة,فتتحول المزارات إلى مناسبات لجمع الصدقات والزيارة,وهو مشاهد في فكر الرافضة وهي من فرق الشيعة الضالة تضع الحديث وتزيف التاريخ وتطعن في الصحابة,وتؤمن بالوهم والخرافة,هذه الأفكار وغيرها اعتنقها محيي الدين بن عربي,وادعى أنه وقف على الكمال والمطلق في كشفه وتجلياته الصوفية,وما يثبت علاقته بالميراث الفارسي أنه ذكر في كتابه الفتوحات المكية,وبلغة الرمز, أنه قد التقى بأحد المدن المغربية المهدي المنتظر, وهو في الأصل أسطورة تدعيها الرافضة خلاصتها أن الإمام محمد بن الحسن العسكري حي يرزق,وتعتقد الخرافة بأنه دخل السرداب صبيا وأنه لم يعرف الموت وأنه في غيبة كبرى,واختلف المؤرخون في وجوده اختلافا ظاهرا في وجوده أصلا فيعتقد بعض المؤرخين أنه شخصية وضعها الوهم والخيال, وتختصر مقالتهم هذه الأبيات التي يرويها أحد شعرائهم الواهمين:

وَسِبْطٌ لا يَذُوقُ المَوْتَ حَتَى    يَقُودُ الخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللِوَاءُ

تَغَيَبَ لا يُرَى فِيهِمْ زَمَانًا    بِرِضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ

هكذا جاءت فلسفة ابن عربي مركبة, إلا أن مسلمته الأولى قد أخذها من مذهب نصراني هو الغنوصية,وهي رهبانية مسيحية تعتقد أن العقل البشري قادر على معرفة الحقائق الإلهية وإن الحقيقة واحدة,وإن اختلفت الأسماء ويفصح عن عقيدته في أبيات منها:

لقد صار قلبي قابلا لكل صورة    فمرعى لغزلان ودير لرهبان

ـ هذه الفلسفات أبعدت عامة الناس الذين لا حظ لهم من العلم الشرعي عن الصواب مع العلم أن المناهج التي اعتمدت لإقناعهم هي مناهج السفسطة القائمة على زرع الشك في قلوبهم الضعيفة,فهذا بجهله يتفلسف في الباطن والظاهر,وآخر يكتب فصلا في فضل علي عن عمر وكأنه: {أَاطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} (78) سورة مريم, ويفعل الجهل بصاحبه ما لا يفعله العدو بعدوه,وهذا يتم في صورة يدعي أصحابها أنها مؤيدة بالكشف الذي يحقق في زعمهم صورة الكمال والمطلق.

### ثالثا: الفلسفات الكلاسيكية والمعاصرة ومعيار الحقيقة.

الوضعية:"اجتمعوا ونظروا إلى لحظة شروق الشمس وقالوا:

قال الأول: الشمس مشرقة في عقولنا وضياؤها في بصيرتنا, أشرقت أو لم تشرق, الوضوح لا يحتاج إلى بيان.

قال الثاني:الشمس مشرقة في واقعي, لو وضعت قطعة قماش سوداء على عيني لحجبت الضياء, إن الشروق حاصل في إحساسي وحواسي.

قال الثالث: الشمس مشرقة في وعيي وشعوري,إن الضياء يتجلى في وجودي,والإشراق هي لحظة الحرية والإنعتاق من القلق والكآبة.

قال الرابع: لا أستطيع أن أمنع نفسي من الضحك لا يهم من الشمس, لا شروقها ولا ضياؤها, ما يرضيني ويسعدني طاقتها, وكلي أمل أن أجعل منها طاقة متجددة, تعين وتيسر حياة الإنسان".

التفسير:المعيار هو المقياس ومن معانيه الميزان والسلم والقسطاس, وكل شيء له ميزانه ومعياره, فمعيار الذهب نقاوته, ومعيار العسل صفاؤه من الشوائب,ومعيار الإنسان حريته وميزانه اعتداله, اختلف الفلاسفة في معيار الحقيقة وصدقها في الفلسفات الكلاسيكية نجد معيار العقل الدال الوضوح ومعيار الحس الدال على الواقع ونجد في الفلسفات المعاصرة معيار الوجود لذاته الدال على الوجود الإنسان كوجود متميز, ومعيار الذرائع والمنافع الدال على فلسفة القوي وسلطته على الضعيف الذي رضي بالضعف وقبله.

1- الفلسفات الكلاسيكية ومعيار الحقيقة :

ا - العقل والمطلق ومعيار الوضوح : الصدق يحمل في طياته صدقه لأنه واضح ويتضمن اليقين بداهة, فالصدق والكذب والخيانة والأمانة وكذلك الشروق والغروب, يقول سبينوزا :"هل يمكن أن يكون هناك شيء أكثر وضوحا ويقينا من الفكرة الصادقة يصلح أن يكون معيارا للحقيقة ؟ فكما أن النور يكشف عن نفسه وعن الظلمات كذلك الصدق فهو معيار لنفسه وللكذب في آن واحد". وهذا رأي نجده في عقلانية ديكارت, التي انتهى فيها إلى مقولته الشهيرة :"أنا أفكر, إذن أنا موجود, وأثبت صدقها المنطقي أمام الفرضيات وتبين يقينها بوضوحها.

- الوضوح ليس دليلا على الصدق دائما, لقد اعتقد الناس بأن الأرض منبسطة, وبعد جهد جهيد وفي زمن قريب تبين كذب المقولة وتأكد الناس من

كرويتها,ولما شرع باستور في نفي نظرية التولد الذاتي سخر المجمع العلمي الفرنسي من أبحاثه, ولم يقبل فرضية وجود كائنات مجهريه ناقلة للمرض.

ب ـ الحس والواقع ومعيار المطابقة: في الفكر الفلسفي الكلاسيكي وجد صراع بين العقلانية المثالية القائمة على الوضوح,والنزعة التجريبية التي ظهرت كفكر مستقل في القرنين السابع والثامن عشر وبدأت مع فلاسفة وفي مقدمتهم بيكون ولوك وهيوم, واستمر هذا الفكر وتطور مع ظهور فلسفات جديدة كفلسفة المنفعة عند بنتام والتطورية عند سبنسر ومع أعمال المدرسة الوضعية المنطقية, هذه الفلسفة نقضت مسلمة العقل المجرد الخالص فالأعمى لا يدرك الألوان والأصم لا يدرك الألحان, ومن فقد حاسة فقد معرفة, فلماذا لا يكون فعل الحاسة هو معيار الحقيقة ؟ لا يكون الصوت مسموعا إلا إذا سمع, ولا يكون الشيء مشاهدا إلا إذا شوهد, فالجبل يوحي بفكرة المثلث, والشمس توحي بفكرة الدائرة يقول د. هيوم:" لا شيء من الأفكار يستطيع أن يحقق لنفسه ظهورا في العقل, ما لم يكن قد سبقته ومهدت له الطريق انطباعات مقابلة له". والمثال الشارح أن مجموعة أشجار توحي بفكرة العدد, وتذوق العسل يوحي بطعم الحلاوة, فلولا الرؤية والتذوق, ما عرف الإنسان معنى العدد ولا حلاوة العسل.

ـ هذه الفلسفة تقود إلى نتيجة لازمة, وهو أن الصدق هو مطابقة الفكر للواقع, وهنا تكون الفكرة صادقة لأنها تسجيل لانطباع خارجي, فالإنسان ذاكرة إلكترونية مُسَجِلَةٌ, والفعل الذي يقوم به هو الانعكاس ويكون مثله مثل المرآة, وهذا يجعل المعرفة ساذجة وبسيطة, وتفسير ذلك أن الحاسة قاصرة ولا يمكن أن تكون معيارا للحقيقة, لذلك يختلف الناس في أذواقهم وميلهم اختلافا شديدا يصل إلى درجة التناقض.

2ـ الفلسفات المعاصرة ومعيار الحقيقة:"

أ ـ الفلسفة البراغماتية ومقياس المصالح والمنافع: اللفظ Prgma يوناني يعني العمل ومزاولته, و Pragmatisme, هو المذهب البراغماتي, وهو أمريكي معاصر خالص, عكس حالة المجتمع من النشأة التي تجلت في إبادة الهنود الحمر, والسطو على الأراضي تحت راية الصليب والكتاب المقدس, إلى النهاية مع ظهور أعتا إمبراطورية استعمارية قامت على أنقاض الأمة الأوروبية, فلاسفة هذه الفكر وأساتذته تشارلز بيرس 1839 ـ 1914م, في كتابه كيف نجعل أفكارنا واضحة حدد فيها مصطلح برا غمة كماهية وفلسفة, وليام جيمس 1842ـ 1910م اشتغل بوضع المسلمات وشرح المبادئ,

وجون ديوي 1859- 1952م عاش لنظرية شارحا ومفسرا, وكان له اهتمام خاص بفلسفة التربية, البراغماتية ثورة على الفلسفات الكلاسيكية واستنكار لعالم القيم والمثال نظرت إلى حاجة الناس المادية والسعي في مساعدتهم على معايشة واقعه في ظل نظرية المركب الذي يحول كل شيء بما فيه الإنسان إلى أداة آلية تساهم في الاستثمار والإنتاج, يقول وليام جيمس:" إن آية الحق النجاح, وآية الباطل الإخفاق". وهذا يقتضي أن تكون الحقيقة هي الأفكار الناجحة بغض النظر عن الأداة والوسيلة, المهم أن يتحقق ذلك المجتمع القوي الذي ينشر ظلاله على الآخرين.

ـ البراغماتية ومعيار المنافع فلسفة القوي على الضعيف وحكم فرعون في الرعية, وبناء إمبراطورية المادة على الأشلاء والجماجم, ومخزونها الإستراتيجي نشر الحروب والفتن, وغزو الأمم بالقروض والشركات العملاقة, إنها أحدثت في المجتمع الأمريكي نفسه صدمات نشأ عنها التمييز العنصري, ونظام الطبقية فالقوي ينتشر وينحل في قوته, والضعيف يتلاشى ويتبدد في ضعفه.

ب ـ الفلسفة الوجودية ومعيار الوجود لذاته: هذه الفلسفة أوروبية خالصة, عكست واقع أوروبا في القرن العشرين,ظهرت على أنقاض الحروب الدينية,واقتتال الطوائف المسيحية وما ترتب عنها من غياب كلي للمثل والقيم, وكيف نشأت إمبراطورية الاستعمار وفلسفة النهب والسلب, وكانت النتيجة االتقاتل على غنائم المستعمرات وكانت أعتا حروب التاريخ الحربين العالميتين الأولى والثانية, وفي سنة 1945 دقت أجراس السلام الكاذب, فعرف الأوروبي مفاهيم ومعايير حقيقة جديدة هي معيار القلق والحزن و الكآبة وكان الرجوع إلى الوعي, وحدث التمييز بين وجوديين, الأول هو الوجود في ذاته ويمثل عالم الأشياء, عالم البيت والسيارة وضجيج المارة وصراخ الأطفال والوجود لذاته وهو عالم الوعي والشعور يقول سارتر:" قبل ذاته أو بعدها, ولكنه ليس ذاته البتة". إن الفرنسي الذي يعتز ويفتخر بعاصمته, مثله مثل من نهب مالا وشيد بيتا فاخرا, ثم اعتلى السقف وخاطب الآخرين عن عظمة انجازه, قد لا يعلم الآخر سره, إلا أن الأبناء القاطنين يعلمون حقيقته, وكيف اكتسب سر جماله ولحل عقدة الذات هذه وضع الوجوديون مسلمة:" الوجود سابق للماهية". وهي تنص على أن الإنسان هو من يحقق وجوده في لحظة آنية, بغض النظر عن الماضي المفقود, أو المستقبل الموعود.

ـ المعيار الوجودي هو صدى لوضع خاص اتسم بالتمرد على عالم الأشياء خاضه الأوروبي ضد نفسه وتاريخه, وهي فلسفة أوجدت حالة هروب

نحو الأمام وذلك بتجاوز واقع الحال التاريخي والنفسي والأخلاقي, وتكاد تجمع آراء خصومها على أنها حالة عبث, عبثت بالحاضر ونثرته في غياب حقيقة التاريخ والمصير, وكانت كإعلان لبداية نهاية القارة العجوز التي عاثت في الأرض فسادا.

II نقد الحقيقة ينقض المطلق :

الوضعية:" في حصة الفلسفة يقع هذا الحوار مع أستاذ وتلميذه حول ماهية الحقيقة ونسبيتها.

يسأل الأستاذ: لماذا لا يكون العقل هو المعيار و المثال الذي نحتكم إليه ونبين به الصدق من الكذب ؟

قال التلميذ: العقل جوهر ميتافيزيقي عصي عن كل تعريف,ولا يمكن أن نسلم بصدقه دائما, وإلا كيف نفسر عالم التناقضات وكل واحد يدعي صدقه وكذب غيره.

ـ قال الأستاذ في هذه الحالة نحتكم للحواس ونكتشف الواقع في حياتنا, ونراه ونبصره في نظرة الرجل العادي فنحن لا نختلف على شروق الشمس ولا على غروبها.

قال التلميذ: أنت تعرف أن الحاسة قاصرة, وما تراه أنت جميل, أراه أنا قبيحا فنحن نختلف في الذوق واللون والشكل, ولو افترضنا أننا اتفقنا في عالم الحس لكانت حياتنا بلا طعم ولا مذاق.

قال الأستاذ: هكذا أنت تنقض مسلمات الفكر الكلاسيكي في شقيه العقل والحس, فلماذا لا تنعطف إلى الفكر المعاصر وتأخذ بمعيار الذرائع والمنافع ؟

قال التلميذ: البحث في البراغماتية يحتاج إلى وقت طويل, ومع ذلك نحن نقطف ثمارها في العراق وفلسطين, وقبل ذلك في اليابان والفيتنام والقائمة تبقى مفتوحة.

الأستاذ: أجد في إجابتك تشاؤما وجوديا, يعبر عن حال قلق وكآبة.

التلميذ: أعتبر هذا كاستفزاز فكري, أنت تعرف أن معيار الوجود لذاته هو مسلمة من مسلمات الوجودية, ونحن نتفق على أنها فلسفة عبث عكست حالة التشتت والتمزق التي عرفها الأوروبي بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية".

التفسير: سعي الإنسان نحو إدراك المطلق متعسر, بحكم أن الأدوات التي يمتلكها قاصرة, لا تؤدي الغرض فالعقل علته التناقض, والحس ليس بمقدوره أن يحيط بأصغر الأشياء, إن الذي يطالع يومية بالكاد ينظر إلى العنوان والسطر المحاذي, لذلك لابد من إعادة النظر في فهم المطلق وإعادة صياغته, لكي يتناسب مع معطيات الفكر الفلسفي.

## أولا : ما هو المطلق.

يطلق عما يستقل عن المعارف المجسدة, وكذلك المستقل عن المشخصات والمعينات والمخصصات كالحركة المطلقة والوضع المطلق والحرارة المطلقة, وهو التام والكامل البعيد عن كل قيد أو حصر واستثناء كالوجود المطلق والسلطة المطلقة.

ـ المطلق وفلسفة هيجل: 1770-1831م,فيلسوف ألماني واضع مسلمة الجدل والمنطق الجدلي, جوهر وكمال الفلسفة عنده تحقق الفكرة المطلقة,وذلك بوجود اللحظة السامية لنمو الفكرة,وهو وعي يطابق موضوعه,وفلسفته تؤمن بالتاريخ كحقيقة وموضوع,ولتبسيط نظريته نأخذ مثال الدولة فهو يعرفها بقوله:"هي علم تجسد العقل". لما يعايش الإنسان تناقضات التاريخ,يكتشف أن أعظم ما فيه لما يصل العقل لكماله,لما يوجد الدولة ويكتشف قيمة الجماعة, والعقل المتغرب الباحث عن المطلق يتحقق بذاته على ثلاثة مستويات هي :

1ـ الجمال: يدرك المطلق بداية في الفن, لأن المبدع ينفصل عن عالم الحس ويوظف قدراته فيتحقق الوعي المطابق للموضوع كروائع الأدب العالمي مثلا.

2ـ الدين: يكتشف العقل المطلق في الدين,لأن الاعتقاد من وحي العاطفة والوجدان,العقائد تنطبع في النفوس كحالة وجدان عميق,ويتم تجاوز قوة العقل ومحدوديته وكذلك أبعاد الحس وتجلياته الواقعية.

3ـ التعبير عن الحقيقة: وهو تجريد المعرفة من أثر الحس يحولها حقائق مطلقة كالصيغ الرياضية المجردة مثلا.

ـ هكذا تكون المطلقية Absolutisme,من يقر بأن العقل قد يصل إلى درجة الكمال,وخير مثال أن من فلاسفة القيم إكسيولوجيا,من يعتقد بوجود أخلاق مطلقة.

## ثانيا: النسبية ماهية وفلسفة.

تباين الآراء وكثرة النظريات واختلاف الناس في كل شيء الاعتقاد والذوق والأحوال دلالة قاطعة على ثبات النسبي في الحس والعقل, يقول ج.س .مل :"لا تعرف الشيء إلا من جهة ما هو متميز عن غيره من الأشياء,وأننا لا نعرف الطبيعة إلا بواسطة الأحوال الشعورية,ثم إن كل معرفة تابعة للظواهر, وليست هناك معرفة في ذاتها,أي مستقلة عن الموضوع الذي نود معرفته".

## III جدلية الواقع والحقيقة وظهور النقد كحالة وعي إنساني :

الوضعية: حوار بين تلميذتين في الثانوية:

قالت سلمى: كل ما أردت أن أقدم على شيء,التبس علي الأمر ولم أستطع أن أتبين حتى الفرع الذي يناسبني,وتاه عقلي بين شعبتي الآداب والفلسفة والآداب واللغة,والأكثر من ذلك عجزت عيني هذا الصباح أن تقتني لي مقلمة تضم أقلامي,دائما تغيب عني الحقيقة.

قالت خديجة:من زاوية فلسفية تحليلية,أرى بأنك تهت بين مسلمات العقل ومعطيات الحس.

قالت سلمى: أقدر هذا الجهد الفلسفي وأوقره, ومع ذلك تواضعي وقدمي لي حلا فلسفيا يزيل هذا التيه, ويعيدني إلى الحكمة والرشاد.

قالت خديجة بنبرة جادة: الخطأ والغلط في كل زاوية ومكان,ولنفترض أنه الداء, أما دواؤه وعلاجه موجود في صيدلية الحكماء,إنه النقد العملي البناء,والاندماج في عالم الواقع قاتل للإنسان الذي يقف موقف المشاهدة,إن روح النقد وفلسفته تعصمنا من الوقوع في الخطأ.

قالت سلمى ضاحكة:إن مقرر الفلسفة بحاجة إلى مشكلة جديدة يكون عنوانها:خديجة والتباس الحقيقة بين عالم الحس المحسوس وعالم العقل المعقول".

التفسير: الواقع الذي نعيشه ونعايش إدراكا ته وننضم إليه بطريقتين :الحواس كنوافذ وأبواب تتلقى الصورة والصوت والمذاق وغيره,والعقل كملكة فطرية تمد الفرد بالقدرة على التمييز ومن ثمة تتشكل الوظائف العليا كالتذكر والذكاء والشعور وغيرها.

ـ عجز العقل والحس عن إدراك الحقائق المطلقة:

هذه مسلمة لا تحتاج إلى لتفسير وبيان,لأن خطأ الإنسان ووضعه في الحياة شهادة كافية,وسلسلة التناقضات العقلية والحسية لها دلالات تجعل إدراك المطلق متعسرا,يرى الإمام الشافعي أن الإنسان يبصر ويبصر وفي لحظة يتبدد بصره,وأنه يسمع ويسمع وفي لحظة يخفت سمعه وينقطع,وفي تاريخ المناظرات نجد مثالا شرحا قال الملحد لخصمه:"إننا لا نرى الله ولا نسمعه" فقال العالم: "كذلك نحن لا نرى العقل ولا نسمعه" والقصد من المثالين أن الثقة في العقل والحس بشكل مطلق, تفتقد المبررات الموضوعية.

أولا: نقد وتأسيس المثالية النقدية.

نظرية كانط: يرى أن العقل يقوم بعملية تأليف بين الإحساسات فهو ينتقي ويختار ليشكل مادة المعرفة,والمثال الشارح هو الشخص الذي يريد ترتيب آنية انكسرت إلى شظايا وتبعثرت,فالعقل يحمل صورتها الأولى بعيدا عن الزمان والمكان,وينظر إليها في صورة المثال الأول بغض النظر عن واقعها الحالي,ثم يشكلها من جديد وليس القصد هنا الآنية,بل عالم الأفكار وإعادة بنائه,هكذا يكون الزمان والمكان مقولتان وصورتان أوليتان سابقتان على كل تجربة,والمعرفة لا تحصل إلا إدا توفر لها شرطان أساسيان:الذات العارفة والظواهر التي هي موضوع المعرفة.

ثانيا: نقد التجربة وتأسيس الواقعية النقدية.

نظرية برتراند راسل: من زاوية إبستيمولوجية نقدية هناك التباس في المصطلح بين واقع تجريبي وواقع حسي,والمشترك بينهما أن تصورات الإنسان عن العالم الخارجي تشكلها انطباعاته الحسية,وهنا يسجل ب . راسل مفارقة وهي:لماذا يختلف الناس اختلافا واسعا في إدراكا تهم الحسية ؟ تفسير ذلك يكون بفكرة المكان السيكولوجي,لأننا نطلع على المكان الواقعي الفيزيائي بأحوالنا النفسية المتداخلة والمتعاقبة,أنا أرفض اللون البني مثلا لأن له في نفسي صورة وعي خاصة,في حين يتقبله آخر على أنه أحسن وأجمل الألوان,وحتى نتجاوز هذا العائق يجب أن نخضع الذات العارفة بحواسها إلى النقد.

الرجوع إلى المشكلة وذكر الأهم

الحقيقة غاية الإنسان ومنتهاه,وليست الحقيقة هي المعرفة,ومشكلة الإنسان أنه يتوهم في نفسه القدرة على تحقيق الحق بمعنى المطلق,ويحتكم إلى

أدوات عاجزة كل العجز,العقل قدرته محدودة وتناقضاته شديدة,الحس مجاله أضيق وهفواته وزلاته عظيمة,حتى المعايير المعاصرة كالمعيار الوجودي البراغماتي باهتة وهي في الفكر كالضباب والسحاب الذي يحجب الرؤية,إن الهروب إلى النقد لفهم وتقبل الواقع حل جزءا من المشكلة,إن الحقيقة لا يدركها مخلوق بذاته,إن الحقيقة والحق مقترنة بمعرفة الله بمقتضى العلم الشرعي وقواعده التي نص عليها العلم الراسخون يقول تعالى: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ} (7) سورة آل عمران

النص

:" النص:" لنفرض إذن أن النفس في البداية صفحة بيضاء خالية من أي حرف وليس بها أية فكرة مهما كانت هذه الفكرة: فكيف تتوصل إلى الحصول على الأفكار؟ و ما هي الوسيلة التي تكتسب بها هذه الكمية من الأفكار التي يقدمها لها تخيل الإنسان الدائم النشاط والذي لا تحده الحدود, في تنوع يكاد يكون لا متناهيا؟ ومم تستقي هذه المواد التي هي بمثابة الأساس لجميع استدلالاتنا ولجميع معارفنا؟ إني أجيب على ذلك باختصار, من التجربة: هذا هو الأساس لجميع معارفنا, ومنه تستمد أصلها الأول. فملاحظتها للأشياء الخارجية المحسوسة, أو للعمليات الباطنية التي تجري داخل أنفسنا, والتي

ندركها ونتأمل فيها أنفسنا, تمد ذهننا بجميع مواد التفكير, هذان هما المصدران اللذان تنبع منهما الأفكار التي لدينا أو التي يمكن أن نحصل عليها بصفة طبيعية.

أولا, إن حواسنا تتأثر ببعض الأشياء الخارجية, فتنقل إلى أنفسنا عدة مدارك متمايزة عن الأشياء تبعا لمختلف الطرق التي تؤثر بها هذه الأشياء على حواسنا. هكذا نكتسب المعاني التي لدينا عن الأبيض والأصفر والحار والبارد, والصلب واللين, والحلو والمر, وعن كل ما نسميه كيفيات حسية... و بما أن هذا المصدر الكبير لجل المعاني التي لدينا يرجع كله إلى حواسنا, ويتنقل إلى الذهن بواسطتها فإني أسميه الإحساس.

والمصدر الآخر الذي يتلقى الذهن منه الأفكار هو إدراك العمليات التي تجريها أنفسنا على المعاني التي تأتيها عن طريق الحواس: وهي العمليات التي عندما تصبح موضوعا لتأملات النفس, تُوَلِدُ في الذهن نوعا آخر م المعاني لم تكن الأشياء الخارجية لتقدمها له: مثل معاني ما يسمى: بالإدراك والتفكير والشك والاعتقاد والاستدلال والمعرفة والإرادة وجميع الأعمال المختلفة التي تقوم بها أنفسنا والتي بما أننا واثقون من وجودها ثقة تامة ولأننا نجدها في أنفسنا, فإننا نتلقى بواسطتها معاني متمايزة مثل التي تحدثها في أنفسنا الأجسام عندما تؤثر في حواسنا. إذ لا علاقة لها بالأشياء الخارجية, فإنها تقترب منها كثيرا, وربما كانت تسميتها بالحاسة الباطنية لا تتنافى معها كثيرا. و لكن بما أني أطلق كلمة الإحساس على المصدر الأخر لأفكارنا فإني أطلق كلمة التأمل على هذا المصدر لأن النفس لا تتلقى بواسطته إلا المعاني التي تكتسبها عندما تتأمل عملياتها هي".

جون لوك

موضوعات للتحليل والمناقشة:

1- قال الأول: "إن الحقيقة واضحة وضوح الشمس".
قال الثاني :"إن الحقيقة ومعيارها ترسمها الحواس ويحدها الإحساس".
أكتب مقالة فلسفية تفصل فيها في المشكلتين مع تقديم المبررات اللازمة.

2- أقم مقارنة بين المقياسين التاليين:
"المنافع والذرائع","الوجود لذاته".

3- يقول وليام جيمس:"إني أستخدم البراغماتية بمعنى أوسع,أعني أنها نظرية خاصة في الصدق".
- فند بالأدلة والحجج الأطروحة,وأبرز تناقضاتها على ضوء الواقع الأمريكي المعاصر.

4ـ قال سبينوزا:"الحقيقة هي إثبات أو نفي مرتبط بشيء يتوافق مع هذا الشيء نفسه,والكذب هو إثبات أو نفي مرتبط بشيء لا مع هذا الشيء نفسه".

ـ على ضوء مسلمات العقل أثبت مبدأ البداهة في سلم الحقيقة.

5ـ هل تجد في النقدية مسعى ومنهج يقر الحقيقة ويثبتها ؟

6ـ :"الحقيقة هي إثبات أن الوجود سابق للماهية,وأن التمرد على نظام الأشياء مشروع".

ـ مهما بدت هذه الأطروحة سليمة, فأن إمكانية نقضها متاحة.

لإشكالية:فلسفة العلوم

المشكلة:الرياضيات والمطلقية

I أصل الرياضيات : الحواس أم العقل:

الوضعية:"الرياضيات وعلم الرياضة,هو نظام منطقي شامل يتسع بشكل مطرد,له تطبيقات في كل شيء ودون استثناء,وهو الدراسة المنطقية لكم ومقدار الأشياء,والبحث عن العلاقات وسلسلة الترابط فيها,فهو علم الدراسة المجردة الخالصة لتسلسل القضايا والأنظمة الرياضية,ويمكن حصر العلم الرياضي في الجبر والهندسة والتحليل,فمعرفة الكم المنفصل والبحث في ضم قضاياه أدى إلى ضبط مفاهيم الحساب والعدد والجبر,وأدى النظر إلى قياس الزمان والمكان إلى نشأة الهندسة ككم منفصل, وتبع ذلك علم الفلك والوقوف

على التسلسل الزمني قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (189) سورة البقرة,وهذا البحث قاد إلى أفكار جديدة كفكرتي الاستمرار والحد, وهذا قاد إلى التحليل الرياضي واكتشاف حساب التفاضل والتكامل في القرن السابع عشر على يد لايبنتز و نيوتن, وآخر علة م الرياضية نشأة الاحتمال والإحصاء والمجموعات".

التفسير:العلم الرياضي له مصطلحا ته حوالي300 ق.م,وضع إقليدس أول نسق رياضي على شكل "مبادئ هندسة" وهي نظام بديهي والبرهان يشتق من مبادئ وأصول وواجه الإنسانية بهذه المقولة:"إذا لم تستطع البرهان على أمر فلا تقل إنك تعرفه". تأخر ظهور الحساب لطبيعته المعقدة,فهو يشمل دراسة الأعداد الصحيحة والكسور والأعداد العشرية وعمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة وهو أساس العلم الرياضي لأنه يبني مهارات كالعد والتجميع والقياس ومقارنة الكميات والجبر لا يقتصر على دراسة أعداد معينة,فهو يشمل حل معادلات تحوي أحرفا س و ص,وهي تمثل كميات مجهولة ويستخدم في العمليات الجبرية كالأعداد السالبة,والأعداد الخيالية,والجذور التربيعية للأعداد السالبة مثلا,التحليل مع تطور الفكر الرياضي أضحى التكامل والتفاضل متقدم لأنه يقدم طرائق حل ممتعة لمسائل متعلقة بالحركة والكميات المتغيرة,التفاضل يفيد في تحديد معدا تغير الكمية,ويفيد التكامل في تحصيل الكمية بمعلومية معدل تغيرها,هكذا يكون الفكر الرياضي فلسفة مطلقة تحيط بالعالم والكون وتفسره.

أولا: الرياضيات أصلها الحس.

الوضعية:"أول ما يدرك من المحسوس هو الامتداد لذلك كانت الهندسة أولى العلوم الرياضية نشأة,ووضع الفيلسوف اليوناني إقليدس أول نسق رياضي هندسي في كتابه الأصول,ولم يستطع أحد بعده أن يضيف لعلمه شيئا,إلا أن العرب برعوا بعده في العلم الرياضي وخاصة في قضايا الهندسة,فقد عرفوا تسطيح الكرة وأحسنوا نقل الخرائط من سطح الكرة إلى السطح المستوي,ومن السطح المستوي إلى الكرة,نظروا إلى الهندسة في شقها التطبيقي العملي,وانعكس ذلك على فن العمارة والبناء ويعتبر البيروني من الأعلام ومن أشهر مؤلفاته "استخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني فيها",واستطاع غياث الدين الكاشي أن يستخرج نسبة محيط الدائرة إلى قطرها ويحسبها بدقة متناهية,ومن يتجول في ربوع الجزائر يكتشف آية الجمال في العمارة الإسلامية,وخاصة في واد ميزاب ومنازل تلمسان وقصور الصحراء".

التفسير:أيام الحضارة الفرعونية البائدة, كان الوحل يغمر مساحات كبرى بعد فيضان النيل,فيذهب معالم الأرض,ففكر الكهنة في طريقة هندسية لمسح الأراضي فعرفوا المبادئ الأولى لعلم الهندسة,وانتقلت هذه المعارف لليونان,فساعدت إقليدس وغيره على وضع نسقه الرياضي الهندسي,لما مزجه بالفكر الفلسفي الذي عاصره.

ـ كيف تكون الهندسة صورة تحاكي الواقع الحسي ؟

الهندسة فرع من العلم الرياضي,يختص بدراسة الهيآت والأحجام وكذلك الأشكال ووضعها الهندسي,والأشكال تأتي مستوية كالمثلثات والمستطيلات,أما المجسمة كالمكعبات والكرات وهي ثلاثية البعد,والعلم الذي ندركه مملوء بالأشكال الهندسية,وهي تقترن بالعمل اليدوي,فالاستواء يحتاجه البناء والنجار والحداد,والأشكال الهندسية فلسفة واقع,فالتلميذ وبكل يسر يبصر الأسطوانة والسباعي والمثلث والثماني الأوجه والمتكررة الهندسية والمنشور وغيره,وحتى ندرك الطبيعة الحسية للهندسة,يستخدم علماء الفلك والبحارة وعلماء مسح الأراضي حساب المثلثات لحساب الزوايا والمسافات,هذا إذا تعذر القياس المباشر أما اليوم فأضحت الهندسة هندسيات فنجد المدنية والكهربائية والصناعية والزراعية والبيئية هذه الحقائق أثبتها التاريخ كحقيقة وواقع ساهم في تطور المعرفة العلمية يقول ج . سارطون :" و العقل لم يرتق إلى هذا التجريد دفعة واحدة, بل توصل إليه شيئا فشيئا بالتدريج, إن الرياضيات المشخصة هي أولى العلوم الرياضية نشوءا, فقد كانت في الماضي تجريبية, وكانت خاضعة لتأثيرات صناعية عملية, ثم تجردت من هذه التأثيرات وأصبحت علما عقليا".

النظرية الحسية التجريبية وأصل الرياضيات:

إن التاريخ قد أثبت وبشكل قطعي أن فن المساحة العملي متقدم في النشأة عن فروع العلم الرياضي لأن العالم الذي نراه ويتجلى لنا لا يخرج عن عالم الحواس, عبر عن هذه الفكرة أحد أقطاب النزعة الحسية وهو د. هيوم بقوله:" إن الألوان والأصوات والحرارة كما تبدو لحواسنا, لتختلف في طبيعة وجودها, كما تكون عليه حركة الأجسام وصلابتها". وهذا ينطبق عل القضايا الرياضية فمجموعة من الأشجار توحي بفكرة العدد ومشاهدة الشمس توحي بفكرة القرص, وكذلك رؤية الجبل توحي بفكرة المثلث كما ذكرنا, وعملية مسح الأراضي تعرفنا بالأشكال الهندسية, هكذا تكون المعرفة ترابط إحساسات في الأصل, فالإنسان يولد صفحة بيضاء, ويشكل عالمه الداخلي بقوة حاسته, فلا يكون الصوت مسموعا إلا إذا سمع, ولا يكون الشيء مشاهدا إلا إذا شوهد وهذه حقائق ذكرها أهل التحقيق,وهذا أقنع الدراسة التجريبية بهذه الحقيقة:" لا يوجد شيء في الذهن, ما لم يوجد من قبل في التجربة". وقالوا كذلك:" إن

القضايا الرياضية التي هي في الذهن أفكار مركبة, مصدرها التجربة". وهذا الموقف أكده فلاسفة المدرسة ومن أهمهم ج. لوك و ج. س. مل وهذا الطرح الفلسفي تؤكده نظرة الإنسان العادي فهو يستعين بالأصابع والحصى إذا أراد العد مثلا, إن العالم لا نستطيع أن نستوعبه وندركه, إلا في علاقاته الحسية لأن الحاسة هي التي تفصل بين العالمين الداخلي والخارجي,وقوتها مؤثرة وهذا يدل على صدق المقولة التالية:" إذا فقدنا حاسة فقدنا بالضرورة معرفة". وهذه حقائق أكدتها الدراسات السيكولوجية المعاصرة, وخاصة علم النفس الطفل, فقد فصل في المشكلة لما بين أن الطفل يكتشف عالمه الخارجي حسيا, فهو يمتلك اللفظ مثلا كصوت مسموع, ثم يعطيه دلالة المعنى, وهذا ينطبق على اكتساب المعاني الرياضية.

ثانيا: الرياضيات أصلها عقلي.

الوضعية:"العدد هو أحد أساسيات العقل, وهو ماهية لا تحتاج إلى تعريف, والبعض عرفه بوضعه الرياضي لما نسبه إلى غيره, فقال:"العدد هو الكمية المؤلفة من نسبة الكثرة إلى الواحد". فالعدد 2 هو إضافة العدد 1 إلى 1 مثلا, وهنا نميز بين نوعين من الكم والمقدار, الأول هو المقدار المنفصل Quantité Discontinue, والمقدار المتصل Quantité Continue,أي ما كان بين أجزائه حد مشترك وهذا ينطبق على الهندسة,والأعداد ثلاثة أنواع وهي: الحقيقية والخيالية والمركبة,والعلم الرياضي يفصل بين الأعداد الصحيحة الموجبة والسالبة والأعداد الصحيحة مثل: 9, 4, 44,عرفها الإنسان منذ القدم,وفي القرون الوسطى ابتكر الهنود مفهوم الأعداد الصحيحة السالبة كصيغة رياضية تعبر عن حالة الدين في التجارة,واكتشف علماؤهم الصفر الذي يستعمل على غياب العدد,مع العلم أن أرخميدس 287- 212 ق . م قد ذكر مسألة وجود أعداد لا متناهية في الكبر,ووصل إلى ما يلي:"لا حدا أعلى لنظام الأعداد,وأن اللانهاية بعكس الصفر,ليست عددا وأنه مهما بلغ كبر عدد,فهناك أعداد أكبر منه",هكذا تكتمل فلسفة العدد في صورة خط يمتد من اللانهاية السالبة إلى اللانهاية الموجبة,وفي القرن السادس عشر ابتكر إيطاليون كمية"خيالية","خ" يعطي مربع النتيجة ـ 1,الأعداد التي تدخل فيها خ تسمى أعدادا خيالية".

التفسير: الرياضيات هي خطاب العقل,وتشخصه في المعرفة,وعلى خلاف العلوم فهي قد فرضت نفسها كلغة ونسق ومعرفة,تحدد ماهية الوجود وتفسره لقوله تعالى: {فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} (96) سورة الأنعام,وقال كذلك: {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} (5) سورة الرحمن,وقال: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (5) سورة يونس,وقال كذلك: {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} (2) سورة الفرقان,التقدير والحساب يختص به أولي الألباب أي العقول وبيان ذلك قوله تعالى: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ} (7) سورة آل عمران.والرسوخ في العلم لا يتحقق إلا بقراءة الكون والحياة قراءة تقدير وحساب.

ـ كيف يكون العقل عددا وحسابا وجبرا يقرأ العالم ويحاكي الكون رياضيا:

استعمل الإغريق ومنهم ديوفانتوس "القرن الثالث ق.م"الأحرف في المعادلات,ولفظ جبر عربي ومعناه تجبير العظام,وهذا العمل يحتاج إلى ذكاء وعقل وكلمة جبر اعتمدها عالم الرياضيات العربي الخوارزمي,ودفعه لذلك حل مسائل المواريث فهي منضبطة بقواعد شرعية متناهية في الدقة,مع القرن السادس عشر اعتمدت أوروبا الصيغ الجبرية وجاءت البداية مع فرنسيسكوس فياتا,إلا أن النقلة الحقيقية جاءت مع ديكارت فعبر عن الكميات بالمجهولة: Z,Y,X ,وعبر عن المعلومة: a . b. c. وهذا ساهم في بناء العلم المعاصر فجاءت صيغه جبرية كما هو حاصل في العلوم الفيزيائية والكيميائية.

العقلانية المثالية وأصل الرياضيات:

يعتقد المثاليون أن عالم الطبيعة لا يقدم عددا خالصا ,مثلا إن العقل يعطي للخط صورة العرض وللسطح السمك, لأن التجربة الحسية قاصرة عن انتزاع صورة الشيء من نفسه كالامتداد مثلا, لذلك أقام أفلاطون عالم المثل والحقائق المعقولة لكي تكون نموذجا لعالم المحسوس وجعل الرياضيات واسطة بين العالمين المحسوس والمعقول, وفي الفلسفة الحديثة اعتقد ديكارت أن المعاني الرياضية من أشكال وأعداد هي فطرية مثلها مثل فكرة الله التي تتسم بالبساطة والبداهة واليقين, فهو يقول:" إن العقل هو أعدل قسمة بين الناس". أما كانط فيرى أن المكان والزمان صورة قبلية لكل حساسية, وبين أن العدد ما هو إلا رسم لمقولة الفهم الصادرة عن مقولة الكم, إذا أردنا مثلا أن نحدد شخصا بعينه, يجب أن نضعه وبصورة قبلية في إطار الزمان والمكان وهما صورتان مجردتان, والمثال على ذلك نريد أن نعرف شخصية ديكارت, نجد أن صورة المكان هي فرنسا كانتماء وحضارة وثقافة ونجد صورة الزمان وهي أنه عاش بين"1596_1650م", وهكذا تكون المعاني الرياضية صادرة عن قوة الذهن, وقدرته على بناء التصورات وإصدار الأحكام وإقامة الاستنتاج الذي يبنى بناءا استدلاليا ,الاتجاه المثالي انطلق من مسلماته الفلسفية التي اعتبر فيها أن الإنسان بالماهية مفكر وهذا ما يفصله عن الكائنات الأخرى, وأن مبادئ العقل كمبدأ

الهوية أو عدم التناقض أو الثالث المرفوع, كلها موجودة بالفطرة وهي الأساس لكل برهنة, فلما نأخذ مثلا البديهية الرياضية:" الكل أكبر من الجزء", فهي تنسجم وتتفق بداهة مع المبدأ العقلي "عدم التناقض" وكل الاستنتاجات الرياضية, تحليلية كانت, أو تركيبية لا تخرج عن هذا النسق وهكذا يتم تثبيت العلاقة الوثيقة بين العلم الرياضي والمنطق وهذا مبحث يطلع به المنطق الرياضي وهو من العلوم المعاصرة.

ثالثا:الرياضيات علم الكميات المجردة.

الوضعية:"في حصة الفيزياء عرضت جماعة البحث بحثا حول الفيزياء النووية فبينوا تركيب ومزايا النواة الذرية,وبينوا طبيعة النشاط الإشعاعي وكيفية الانشطار والاندماج وإستخدماته في علاج الأمراض وخاصة السرطانية منها,وأثره في متابعة العمليات الكيميائية والفيزيائية,وبينوا بالأمثلة أن الانشطار هو عملية انقسام النواة الذرية إلى جزئيين متساويين تقريبا مع إطلاق طاقة هائلة,أما الاندماج فهو التحام نواتين ذرتين لتكونا نواة عنصر أثقل,اقتنع الحاضرون بأهمية هذه المباحث وخطورتها,وتأسفوا كيف أن وطنهم يفتقر لهذه الدراسات الجادة,واتفقوا على طرح سؤال واحد يحمل إشكالية حقيقية:كيف نقتحم هذا المجهول المغلق ونفتح أبوابه ؟

فأجاب الأستاذ:ثقوا بالعلم الرياضي وغوصوا في تجريده,وابحثوا في مسلماته ومناهجه وأسقطوا ما تعلمتم على واقعكم,ستفتح أمامكم أسرار العلوم,وحولوا هذا البلد إلى مثال يحتذي به الآخرون,وليس ذلك على الله بعزيز وأقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} (28) سورة فاطر,العالم هو الذي يخشى الله لأنه يدرك بعلمه أسرار الخلق وآيات الخالق تبارك وتعالى ".

التفسير:ما يؤكد توجه العلم الرياضي نحو الغوص في التجريد الذي عرفه علماء المنطق:"انتزاع الشيء من مادته",هو نشأة علوم رياضية جديدة كالاحتمالات و الإحصاء,وهي إن خاطبت الواقع,إلا أن قوانينها عقلانية خالصة,الاحتمال دراسة رياضية تحدد فرص إمكانيات توقع حادث غير مؤكد الحدوث,كاحتمال توقع سقوط قطعة نقد,مع إحصاء ممكنات الوقوع,وتحديد لكل ممكن صفة محددة,وتكون الممكنات التي نحصيها متساوية القيمة,وعلم الإحصاء لا ينفصل عنه,وهو يهتم بجمع البيانات وتحليلها لمعرفة الأنماط والتوجهات العامة مثلا,وهي بحث منطقي خالص.

الحكم على تجريد العلم الرياضي:

يقول العالم الرياضي ف.غونزيث:"في كل بناء تجريدي,يوجد راسب ومتبقي حدسي يستحيل محوه وإزالته,وليست هناك تجريبية خالصة,ولا معرفة عقلية خالصة,بل كل ما هناك أن أحد الجانبين العقلي والتجريبي قد يطغى على

الآخر,دون أن يلغيه تماما",هكذا يكون الحدس معرفة مباشرة صادرة عن الوعي الإنساني الذي يحمل صفة التعقل فمن علم البدائي قداسة العدد وتميزه في الحياة.

يعتقد عالم النفس الباحث في خصوصيات الفكر وتشكل البنيات المعرفية لدى الطفل أن الفكر الرياضي يحتضنه فضاء في الزمان فهو يقول :"المعرفة ليست معطى نهائيا جاهزا,وأن التجربة ضرورية لعملية التشكل والتجريد,ومع ذلك يمكن القول بدون مبالغة,بأن عالم الرياضيات هو عالم الإنسان,أي عالم كائن التجريد العقلي الخالص".

II صدق الاستدلال الرياضي في مبادئه وأصوله :

الوضعية:"قبل أن يضع المخططات الهندسية ويتفق مع البنائين على تشييد البيت,قرر أن يقوم مع الأبناء بتحضيرات واسعة,شملت في البداية تسوية الأرضية فاستعان بالجارفات والآليات الثقيلة,ثم أحضر متخصص في عملية المسح الأرضي,فقام بعملية تثبيت للزوايا,وحتى يخلو عمله من الأخطاء استعان بأجهزة وجعل القياس 90 درجة,ثم شرع في وضع المعالم الخارجية,ومع نهاية العمل تبين وضعية الأرضية وحمد الله على أنها جاءت منبسطة ولم تأتي في منحدر,لأن ذلك سيكلفه مالا أكبر, لأنه سيعتمد هندسيات جديدة, تطبيقاتها تحتاج أدوات ووسائل هو يفتقر إليها,ومع وجود أجهزة مراقبة البناء المتشددة والتي لا تتسامح مع الخطأ مهما بدا بسيطا,فألم بقواعد البناء وتبين الثوابت الرياضية الأولى".

التفسير:لكل علم مبادئه وأصوله وكذلك العلم الرياضي,ويعتبر إقليدس الفيلسوف والعالم الرياضي اليوناني واضع أول نسق أخضعه لثوابت وأصول عامة تقر صدقه ويقينه.

أولا:مبادئ الرياضيات ومنهجها.

ـ المبادئ والأصول:الرياضيات الكلاسيكية الأوقليدية هي ذلك النسق العام الذي يشمل الموضوع والنتائج في آن واحد وهذا يتحدد بداهة بوجود الثوابت.

أـ التعريفات:التعريف Definition وهو ذكر شيء تستلزم معرفته معرفة شيء آخر,والتعريفات هي الصياغة العقلانية المجردة البعيدة عن التجربة الحسية وهي ضرورية وأساسية لبناء المعاني وتحقيق خاصية البرهان القائم على التحليل والتركيب ومن الأمثلة على التعريفات نذكر:

ـ المثلث شكل هندسي محاط بثلاثة خطوط مستقيمة متقاطعة مثنى مثنى.
ـ العدد هو مجموع وحدات متجانسة.
ـ مربع العدد هو حاصل ضرب العدد في نفسه.

ب ـ البديهيات: البديهية Axiome,قضية أولية صادقة بذاتها يجزم بها العقل من دون برهان,وهي عامة وتشمل كل العلوم وتستخدم في كل برهان,وهي مبدأ عقلي عام ومن أشهر البديهيات الرياضية.

- الكل أكبر من الجزء
- الكميتان المساويتان لكمية ثالثة متساويتان.
- إذا أضيفت كمية ثابتة لطرفين متساويين لن يغير من تساويهما.

ج ـ المصادرات: المصادرةPostulat أما المسلمة فهي Presupposition, وكذلك المواضعة Couvention,تكاد تحمل نفس المعنى في العلم الرياضي وهي قضايا يطالب التصديق بها لحاجة العقل إليها في الاستدلال ومن أشهر مصادرات إقليدس.

- من نقطة خارج مستقيم لا يمكن أن نرسم سوى خط موز له.
- الخطان المتوازيان لا يلتقيان مهما امتدا.
- المكان ذو ثلاثة أبعاد: الطول والعرض والارتفاع.

ثانيا:البرهان الرياضي.

- الاستدلال الرياضي و البرهنة الرياضية تقوم على خاصيتين هما:

أ- التحليل: نريد أن نبرهن على أن: 2+3=5، فإنني أعتمد خاصية التحليل وأكتب:3=2+1 و 2=1+1 فإذا عوضت 3 بتعريفها كانت: 5=2+(2+1) وبعد التعويض العدد 2 بتعريفه أجد: 5=(1+1)+(1+1)+(1). فهذه البرهنة قائمة على البديهية القائلة: الكميتان المساويتان لثالثة هي متساويتان وهذه عملية منطقية خالصة كقولنا مثلا: زكرياء أخ لخديجة وخديجة أخت لحسام، بالضرورة حسام أخ زكرياء , التحليل قد يأتي معادلة كأن نقول مثلا: س+8=10 ومنه س+8-8=10-8 ومنه س=2.

ب ـ التركيب كأن نقول مثلا: س-2=0، س-3=0. بعد التركيب نجد: س2 -5س+6=0، ومنه نشرع في الحل: س2 -5س+6=0 معادلة من الدرجة الثانية ولحلها نستعمل المميز كما هو معروف في العلم الرياضي.

كذلك في الهندسة نريد مثلا أن نبرهن مثلا على أن نصف القطر العمودي على الوتر يقطع هذا الوتر في منتصفه، نعتبر هذا الوتر س. ص قاعدة لمثلث متساوي الساقين, مادام الضلعان م س، م ص من المثلث م س ص نصف قطري دائرة متساويين بالتعريف. فالقطعة م ب العمودية على القاعدة س ص هي في نفس الوقت الارتفاع للمثلث المتساوي الساقين م س ص أي منصفه, كما هو معروف في خصائص المثلث المتساوي الساقين.

فكأنما قلنا مادام الوتر س ص صالحا لأن يكون قاعدة لمثلث متساوي الساقين

ص ب س
م

ومادام ارتفاع المثلث المتساوي الساقين بنصف قاعدته فأن ب م منصف س ص, و أساس البرهنة هنا وجود مبادئ ومنطلقات يضعها العالم الرياضي، لذلك تتضمن الرياضيات الكلاسيكية يقينها من مبادئ واضعها إقليدس .

ثالثا: هل العلم الرياضي يحمل صفة اليقين المؤدي بالضرورة للمطلق.

الوضعية:"لتبرز قيمة النسق الرياضي الكلاسيكي الأوقليدي بينت أستاذة الرياضيات لطلبتها أن الحضارات القديمة والحديثة قد جعلت العلم الرياضي صناعة نظرية تحاكي الواقع وتسنده,وأن الشواهد غير قابلة للحصر,فالقلاع والجسور والحصون ومنها حصن الصين العظيم,وكذلك المساجد والكنائس والمعابد في الهند والسند واليابان والبيوت التي نسكنها والمدارس التي نتعلم فيها,كلها نسق واحد أبدعه الفيلسوف اليوناني القديم إقليدس".

التفسير: بعد إقليدس ومع تعاقب العصور,حاول الرياضيون الاعتراض على المسلمة الإقليدية "من نقطة خارج مستقيم لا يمكن أن نرسم سوى خط مواز له "وفي سنة 1830 م أثار العالم الروسي لوباتشفسكي 1793- 1857م الشك حول صدقها,ثم نقضها وأحدث فكرا رياضيا جديدا جاء كانقلاب عن الميراث القديم الذي نشأ نشأة أرسطية آمنت بنظرية الثبات,وأن كل شيء ساكن وأن التغير يتنافى مع فلسفة الكون,إلا أن فلسفة التطور قد ألغت هذه التصورات كلها نجد أن هذا النقض والنقد أسس ما يعرف بالأكسيوماتيك Axiomatique.

أنواع الهندسة:من زاوية تاريخية نميز بين صنفين من الهندسة الأولى أوقليدية كلاسيكية والثانية لا أوقليدية معاصرة.

أ - الهندسة الأوقليدية: توصف بصفتين هما:الاستواء والتجسم,الأولى تعنى بالسطح من حيث الشكل الحامل للبعدين الطول والعرض,ونجد ذلك في دراسة المستقيمات والزوايا والمثلثات والدوائر والأشكال الرباعية,أما الهندسة المجسمة أو الفراغية فهي تفهم بالبعد الثالث وهو الارتفاع والعمق والبرهان الرياضي الثابت في هذه الهندسة هو:من نقطة خارج مستقيم لا يمكن رسم سوى خط مواز له.

ب - الهندسة اللاأوقليدية: ويعتبر العالم الروسي لوباتشفسكي, أول من أثار الشك حول مصادرات إقليدس وتمكن سنة 1830 من نقضها، وبين أن أساس النسق الأوقليدي هو تصور المكان على أنه مستوي في هذه الحالة يكون مجموع زوايا المثلث 180° لذلك نشأت الهندسة اللاأوقليدية وظهر ما يعرف بعلم الأكسيوماتيك الذي تخلى عن فكرة المبادئ وتم تعويضها بالفرضية، قدم لوباتشفسكي نسقا هندسيا جديدا لقد تصور المكان مقعر يمكن تخيله داخل الكرة Courbature négative، وتكون النتيجة أن مجموع زوايا المثلث أقل من 180° ويمكن أن نقول من نقطة خارج مستقيم يمكن أن نرسم مالا نهاية من المتوازيات, وجاء بعد ذلك العالم الألماني ريمان 1826-1856م، وتمكن سنة

1854م من تقديم تصور في سياق نظريته الدالات والهندسة اللاأوقليدية,حين افترض فيه أن السطح كروي courbature positive ومن نتائجه أن مجموع زوايا المثلث أكبر من 180°، وبين كيف أنه لا يمكن رسم أي مواز من نقطة خارج مستقيم.
-هكذا بدد المنهج الأكسيومي فكرة ثبات النسق الرياضي يقول العالم بولغان:" إن كثرة الأنظمة في الهندسة، لدليل على أن الرياضيات ليس فيها حقائق مطلقة".واعتبر العالم الرياضي المعاصر بوانكري أن المبادئ ما هي إلا فروض و منطلقات لقيام النسق، هكذا اندمجت الرياضيات بفروعها في جدلية العلم القائمة على التبدل و التغير و ظهرت فروع جديدة كنظرية الاحتمالات و نظرية المجموعات وعلم الإحصاء.
- النسق الأكسيومي ومبدأ التغير وقيام منطق الفرضية كبديل عن الأصول:
يرى العالم الرياضي المعاصر هـ. بوانكري 1854-1912 م,أن التمييز بين المبادئ الرياضية أضحى أمرا ثانويا,وإنما تؤخذ جميع المبادئ كفروض تكون مجرد مواضعات يقترحا الرياضي لإقامة البرهان,وهذا قاد للشك ومراجعة ثوابت النسق الكلاسيكي ومن أبسطها البديهية القائلة "الجزء أقل من الكل",يمكن أن نثبت تناقضها بهذا المثال البسيط:المجموع اللام تناهي للأعداد الفردية هو1 3 5 7 9 11 3 1......, والمجموع اللام تناهي للأعداد الزوجية هي 2 4 6 8 10....., نجد أن المجموعتين متساويتان, رغم أن مجموع الأعداد الزوجية هو جزء من الأعداد.
الرجوع إلى المشكلة مع ذكر الأهم
وضع أفلاطون شرطا لمن أراد أن يتعلم في أكاديميته هو لا يدخل علينا من لا يحسن الرياضيات,فهي القراءة المجردة للكون والعالم وكذلك الإنسان,بحث المؤرخون في أصلها وإن كانت صادرة عن الحس أم عن الواقع,وهذا وجد مواقف فلسفية جعلته موضع بحث فلسفي,يتناسب مع الذاهب الفلسفية ومناهجها المتباينة,فقبلت النزعة المثالية بالعقل,ورضيت النزعة الحسية بالتجربة والواقع,الفكر الرياضي له مبادئ تسنده وهذا واضح وجلي في النسق الكلاسيكي والمعترض عليه في المعاصر,إن التحليل والتركيب أساس كل استدلال رياضي,وإن المنهج الأكسيومي نقلة نوعية في عالم الفكر والمعرفة,بالرغم من أنه لم يغير الجوهر واكتفى بالشكل فقط وهكذا نصل إلى النتائج التالية:
1 - العلم الرياضي وجدلية الأصل بين الحس والعقل.
2- الرياضيات لها مبادئ واستدلال يقوم على خاصيتين هما:التحليل والتركيب.
3 - ضرورة التمييز بين الهندسة الأوقليدية واللا أوقليدية.

4 ـ نشأة المنهج الأكسيومي والدفاع عن الفرضية كأداة ومنهج.

النص

:" لم يدرك العقل مفاهيم الرياضيات في الأصل إلا من جهة ما هي ملتبسة باللواحق المادية, ولكنه انتزعها بعد ذلك من مادتها وجردها من لواحقها حتى أصبحت مفاهيم عقلية محضة بعيدة عن الأمور المحسوسة التي كانت ملابسة لها. فعالم الهندسة مثلا لا يعنيه اليوم أن يكون المربع الذي يبحث فيه مصنوعا من شمع أو عجين, من خشب أو من حديد, بل الذي يعنيه هو المربع الذي تصوره وحدد معناه وأنشأ له مفهوما معينا يصدق على كل مربع محسوس.

والعقل لم يرتق إلى هذا التجريد دفعة واحدة, بل توصل إليه شيئا فشيئا بالتدريج. إن الرياضيات المشخصة هي أولى العلوم الرياضية نشوءا, فقد كانت في الماضي تجريبية, وكانت خاضعة لتأثيرات صناعية عملية, ثم تجردت من هذه التأثيرات وأصبحت علما عقليا, ففن المساحة العملي متقدم على علم الهندسة النظري, وفن الآلات متقدم على علم الميكانيكا, لأن الفكر البشري

اهتدى بصورة عملية إلى معرفة خواص الأشكال والآلات قبل أن يتوصل إلى البرهان عليها".

جورج سارطون





لوباتشفسكي إقليدس

1 ـ وضعية: " الرياضيات معرفة قطعية ويقينية بالنظر إلى مسلماتها ونتائجها وكذلك تعدد أنسقتها، قديما أثبت إقليدس نسقية الثبات والسكون، وحديثا أثبت لوباتشفسكي نسقية التطور والتغير".

ـ أكتب مقالة فلسفية تتابع فيها مسار هذا العلم المتعاظم في التاريخ .

2 ـ على الرغم من أنها صناعة مجردة, هل الرياضيات في أصلها الأول صادرة عن العقل بالضرورة. أم أن للتجربة تأثير في وجودها ؟

3 ـ هل يمكن التمييز بين البديهيات والمصادرات في كل نسق رياضي.

4 ـ:"إن البرهان الرياضي في نسقيته الكلاسيكية مبادئ وأصول يثبتها اليقين العملي ".

ـ مهما بدت هذه العبارة صحيحة, إلا أن البحث الرياضي المعاصر قد أبطلها.

5 ـ قارن بين:الهندسة الأوقليدية و اللا أوقليدية.

6 ـ :"إن المنهج الأكسيومي حد من البداهة وأخرج الفكر الرياضي من المطلق ووضعه في قيم النسبي ومجاله المحدود".

هذه الأطروحة وإن بدت غير موافقة لمسار تاريخ العلم,إلا أن الواقع العلمي يثبتها ويؤيدها.

7 ـ قال الأول:إن العلم الرياضي لا حدود له.

قال الثاني:إنه علم كأي علم له مآخذه.

ـ حاول أن تفصل في المشكلة المتجادل فيها.

الإشكالية: فلسفة العلوم

المشكلة:العلوم الفيزيائية والعلوم البيولوجية

I الاستقراء والتجربة منهج العلم ومسلمته الأولى :

الوضعية:"عادل تلميذ متميز ومحب للعلم,بشكل جعله يعشق المواد العلمية وخاصة الفيزياء,وكان ينتظر حصتها ليقحم أستاذه في سلسلة لا منتهية من الأسئلة,وهذه المرة كان سؤاله عن القانون العام الفيزيائي وهو الدفع,فبين له الأستاذ أنه ذلك العلم الذي يختص بتوليد قوة يمكنها إحداث حركة جسم ما,ونظريته تخضع لقانون نيوتن المثلث,وهي قوانين عامة وضعها لتفسير الحركة,ويمكن التعبير عنها بالمقولة المشهورة:"لكل فعل رد فعل مساويا له في المقدار ومضاد له في الاتجاه",وخير مثال شارح محرك الطائرة,فحين يقوم المحرك بزيادة كمية تحرك جزء من الهواء المحيط,وهذا يصاحبه أحيانا ارتفاع في ضغطه,فتتولد قوة دفع على الطائرة في الاتجاه المضاد,وهنا نلاحظ أن مصدر الطاقة اللازمة للدفع عادة ما تصدر من التفاعلات الكيميائية التي تحدث أثناء احتراق خليط من وقود مؤكسد,وهذا حاصل في أنظمة الدفع

الكيميائية,هكذا تبين عادل أهمية القوانين الفيزيائية وأدرك أن هذا العلم قد حقق غاياته لما اعتمد التجربة طريق نحو البرهان واليقين العلمي".

التفسير: الفيزياء Physique ,لفظ دخيل على اللغة العربية وهو علم من علوم المادة يبحث في الظواهر الطبيعية التي توصف بالشيئية وتنظر في قوانينها كالحركة والثقل والحرارة والضوء والصوت والكهرباء وغيرها,على خلاف الكيمياء التي تنظر في تركيب الأجسام والتغيرات الحاصلة في المادة,إلا أن التداخل الشديد بينهما جعل إمكانية الفصل بينها تبدو مستحيلة,وهذا أحدث مصطلحا جديدا وهو العلوم الفيزيائية Sciences Physiques,وهي مجتمعة تقابل العلوم البيولوجية,ويبقى القاسم المشترك بينهما ولو بشكل نسبي المنهج الاستقرائي الذي يقوم على خاصية الانتقال من الخاص إلى العام,وهذا في محددات التجربة العلمية

ومجالها البحثي القائم على الملاحظة والتجربة ويعتبر إسحاق نيوتن واضع مسلمات الفيزياء الكلاسيكية وبمنهجه العلمي الاستقرائي أخرج علوم المادة الجامدة من مباحث الفلسفة وتحليلاتها الأولى إلى النظرة الموضوعية القائمة على الدقة والضبط والتحدد والشمول.

أولا: التجربة العلمية.

الوضعية:"في حصة الفيزياء ولبيان الضوء ودراسته,استعان أستاذ المادة بوسائل توضيح ليجعل منها تجربة عملية,فأحضر مسجلات صوت وأجهزة ومن أهمها مكبرات الصوت,وعلى ضوء التجارب المتعددة أظهر الأستاذ ما يعرف بعل الصوتيات,وكيف أن الصوت يتكون من الاهتزازات التي ينتجها جسم وتنتقل خلال وسط,وخير مثال الهواء والماء وكذلك الجدران والمباني,ولفهم فعل الصوت يجب النظر في تصميم القاعات الكبيرة كالمسارح,وكيف يتم الاستعانة بأجهزة مكبرات الصوت ويمكن التقليل من حدته والحد من الضجيج عن طريق الجدران والنوافذ العازلة".

التفسير:التجربةExpérience,وهي ملاحظة العالم للظواهر الطبيعية في شروط معينة,يهيئها بنفسه ويصرف فيها بإرادته ويكون هدفه البحث عن الفرضيات المؤدية للقوانين العلمية,ومنها تم اشتقاق مصطلح المنهج التجريبي الذي عبر عن أهميتها وتقدمها في كل بحث علمي Méthode Expérimental,وهي طريقة شاملة للملاحظة والفرض والتجريب والتحقيق مع الرجوع إلى تصنيف الظواهر مع مقتضى البحث العلمي.

ثانيا:خطوات المنهج التجريبي.

الوضعية:"نشأ العلم الفيزيائي نشأة غريبة وإن شكك بعض المؤرخين في صحة الرواية, يحكى أن نيوتن استظل بشجرة تفاح,وفي لحظة غير متغيرة سقطت على رأسه تفاحة,فأيقظت في عقله فرضية الجاذبية, فحول الملاحظة

العابرة إلى ملاحظة علمية,عجلت بوجود فرضيات جادة تستحق أن تكون كمنطلقات لتجارب علمية أدت في النهاية إلى قوانين حاسمة, حلت معضلات عالقة حول الأنظمة الكونية."

التفسير:أجمع التفكير العلمي المعاصر على أهمية الاستقراء بخطواته, وأضحى معيارا وسلما لكل تفكير أراد أن يضع نفسه موضع العلم وهذا المنهج له خطوات تحدد معالمه.

أ- الملاحظة:في الفرنسية Observation,هي خطوة حاسمة من المنهج الاستقرائي وفيها يحكم الحس على الظواهر,ويتم فيه التوجه إلى الشيء المدروس بيقظة وانتباه شديد من أجل الإطلاع على الظاهرة كما هي دون تبديل وتغيير,مع ضرورة التمييز بينها وبين التجربة,يقول فزيرمان Zimmermann:"إن الملاحظة هي مشاهدة الظواهر على ما هي عليه في الطبيعة,على حين أن التجريب هو التدخل الفعلي في مجرى الطبيعة لتبديل ظواهر ها ومشاهدة ما ينشأ عن هذا التبديل".

لذلك يجعل كلود بيرنارد التجربة ملاحظة محدثة Observation Provoquée لأن العالم يصطنعها لهدف وغاية مرجوة في البحث,والملاحظة هي التي تميز بين التجريب الحقيقي والمفترض,لأن عجز العالم عن التفسير أو بناء فرضيات جديدة يحيله إلى الملاحظات المنجدة ووظيفتها اختبار الفكرة والتأكد من صدقها أو كذبها.

أقسام الملاحظة العلمية:تنقسم إلى ملاحظتين أساسيتين هما:

1 - الملاحظة الخارجية Externe: هي ملاحظة الظواهر كما هي عليه في العالم الخارجي,فيرصد العالم الظاهرة في حركتها ونشأتها والتبادلات الطارئة عليها.

2 - الملاحظة الداخلية Interne:وهي ملاحظة أحوال النفس والتعرف على النشاطات الذاتية,مع ضرورة التمييز بين الذات المدركة والموضوع المدرك,لأن المنهج العلمي يحرص على تثبيت الموضوعية والوقوف دون تدخل العامل الذاتية وهذا يحتاج إلى وسائل مساعدة,لأن سلاح العالم الأدوات يقول ك . بيرنارد:"لا يستطيع العالم أن يلاحظ الحوادث المحيطة به إلا داخل حدود ضيقة جدا,لأن القسم الأعظم منها خارج عن نطاق حسه فلا يقتنع بالملاحظة البسيطة,بل يوسع مدى معرفته ويزيد من قوى أعضائه بآلات خاصة كما يجهز نفسه بأدوات مختلفة تساعده على النفاذ إلى داخل الأجسام ودراسة أجزائها الخفية".

ب - الفرضية: Hypothèse,هي الأفكار التي يستحدثها العالم لتفسير الظواهر وهي خطوة تمهد لبناء القانون العلمي,يقول العالم بوانكريه." الملاحظة والتجربة لا تكفيان لإنشاء العلم, فمن يقتصر عليهما يجهل صفة العلم

الأساسية". لذلك تكون الفرضية مجرد تفسير مؤقت للحوادث, لأن الذي يثبت صدقها وكذبها التجربة العلمية الحقيقية, ولأهميتها بحث العلماء في العوامل الدافعة إليها, ويمكن تلخيصها في عاملين هما:

1 ـ العوامل الداخلية: هذه تتحدد بالوضع النفسي ووضع العالم في ذاتيته وقدراته الخاصة يقول ك. بيرنارد:"ليس لدينا قاعدة لتوليد فكرة صحيحة في ذهن العالم".

2 ـ العوامل الخارجية: وهي المقتضيات العلمية والواقعية التي تدفع بالعالم لكي يضع الفرضيات المساعدة على التفسير ويمكن تلخيصها في عاملين هما:

أ ـ البحث العلمي: العلم ينهض دائما على وجود فرضيات جديدة, وهذا يتحقق في ميدان البحث العلمي, وهي مهام مراكز البحث العلمي والمدارس المختصة.

ب ـ الحاجات والمقتضيات وكذلك النوازل:المعضلات الاجتماعية والاقتصادية وما يطرأ على حياة الناس يحتاج إلى فرضيات عاجلة,لاحظ باستور كيف تفتك الأوبئة بحياة الناس فوضع فرضيته في وجود كائنات مجهريه تكون هي السبب في نقل الأعراض المرضية.

ج ـ التجربة العلمية:في اللغة الفرنسية Expérimentation, يقول العالم كوفيي:"إن الملاحظ يصغي إلى الطبيعة, أما المجرب فيسألها ويرغمها على الإجابة".لأنها الخطوة التي تحسم الموقف العقلي المشتمل في الفرضية, وبشكل عام نميز بين نوعين من التجارب العلمية هي:

1ـ التجريب الناقص: وهو يقوم على عنصر المشاهدة المباشرة, ويحتاجه العالم لما يريد وضع فرضية انطلاقا من ملاحظاته التي تأتي أحيانا غير كافية, وفيها يحاول تكييف ملاحظاته مع شروط جديدة يقتنع بأهميتها.

2 ـ التجريب الحقيقي: وهو التجربة العلمية الحقيقية,التي يشكلها العالم من ملاحظاته وفرضياته وهذه توضحها وتبينها التجارب الفيزيائية والبيولوجية وكذلك الكيميائية وغيرها،وهذا العمل يحدد بوضوح وضع القانون العلمي وتحصيل غاية العلم وهي إخضاع الظواهر الكونية للتفسير الحتمي.

II العلم التجريبي في صورته الفيزيائية الكلاسيكية يخضع لمبدأ الحتمية المطلقة :

الوضعية:"تأمل في هذه التعريفات للسرعة:

1ـ السرعة هي المسافة التي يقطعها جسم متحرك في وحدة الزمن.

2ـ سرعة الانفلات هي سرعة إنعتاق جسم من جاذبية الأرض أو الكوكب السيار.

3ـ السرعة الابتدائية هي سرعة قذيفة عند انطلاقها من مدفع أو سلاح ناري.

4ـ سرعة الصوت هو المسافة التي يقطعها الصوت في وحدة زمنية وتقدر 34 مترا في الثانية.

5ـ سرعة الضوء هو المسافة التي يقطعها الضوء في وحدة زمنية تقدر كما يلي: 300000كيلومتر في الثانية.

6ـ السرعة النسبية هي السرعة التي يغير فيها جسم وضعه بالنسبة إلى جسم آخر".

التفسير:هذه أمثلة عن القانون الفيزيائي وطبيعته, والمتأمل يدرك أن كل تعريف له قاعدة سببية تفسره لذلك يقول ك. بيرنارد:"إن النقد التجريبي يضع كل شيء موضع الشك,إلا الحتمية العلمية,فإنه لا مجال للشك فيها أبدا". الحتمية في اللغة الفرنسية Déterminisme, مصطلح جرده علماء المناهج من مبدأ السببية الذي نص على أن لكل ظاهرة سبب كاف في وجودها,أي أن للظواهر نظام معقول تترتب فيه العناصر على صورة يكون كل منها متعلق بغيره,وهذه القاعدة بنا عليها نيوتن ومن جاء بعده ما يعرف بالفيزياء الكلاسيكية.

ـ الحتمية المطلقة وبناء العلم الفيزيائي:

يقول العالم لابلاس 1749- 1827 م :"يجب علينا أن نعتبر اللحظة الراهنة للكون نتيجة لحالته السابقة,وسببا في حالته التي تأتي من بعد ذلك مباشرة,ولو استطاع ذكاء ما أن يعلم في لحظة معينة جميع القوى التي تحرك الطبيعة,وموضع كل كائن من الكائنات التي تتكون,لأستطاع أن يعبر بصيغة واحدة عن حركات أكبر الأجسام في الكون وعن حركات أخف الذرات وزنا".

III العلم التجريبي في صورته الفيزيائية المعاصرة يخضع لمبدأ الارتياب واللاحتمية:

الوضعية:"بالنظر لتطورها نجد أن الفيزياء هي علم المادة الجامدة وفي تاريخها نجد أنها مرت بمرحلتين أساسيتين هما:

أ ـ الفيزياء الكلاسيكية: جعلت مسلمتها الأولى الاستقراء وغايتها تحقيق الحتمية التي تقود نحو اليقين العلمي والدقة في النتائج وكانت موضوعاتها الأساسية هي:

1ـ الميكانيكا وعلم الحركة.
2ـ الديناميكية الحرارية ودراسة الحرارة.
3ـ الصوتيات ودراسة الصوت.
4ـ الكهرباء والمغناطيسية.
5ـ البصريات ودراسة الضوء.

ب ـ الفيزياء المعاصرة: برزت كفكر وعلم مستقل وبشكل عام سنة 1910م لما طرح العالم الألماني هيزنبرغ فكرة العالم اللا متناهي في الصغر,وكانت موضوعاتها الأساسية كما يلي:

1ـ الفيزياء الجزئية والذرية والإلكترونية.

2ـ الفيزياء النووية.

3ـ فيزياء الجسيمات.

4ـ فيزياء الحالة الصلبة.

5ـ فيزياء الموانع والبلازما".

التفسير:جدلية تطور العلم فرضت على العلم الفيزيائي أن يترك نظرية السكون والرتابة القائمة على وحدة القانون العلمي وأنه ثابت ثبوت التصورات الكلاسيكية التي سعت دوما نحو المطلق كفكرة وهدف.

ـ اللاحتمية وعلاقات الارتياب:

يعود الفضل في وضع المبادئ الأولى للعلم الفيزيائي المعاصر, للعالم الألماني ورنر هيزنبرغ Heisenberg Werner 1901 -1976,في بداية حياته اتجه إلى العلم الرياضي والفيزيائي,ويمكن تلخيص جهده وعلمه كما يلي:

1ـ وسع ميكانيكا المصفوفات التي برهنها العالم شوندجر سنة 1926.

2ـ اكتشف مصدر الحقل الكتلي الذي أدخله ويس Wess,عندما طبق الميكانيكا الكوانتية Quantique,في دراسة البيئات الحديدية المغناطيسية.

3ـ بعد اكتشاف النيترون على يد شادويك أعلن هيزنبرغ أن النواة تحتوي على بروتون ونيترون.

4ـ نال بكل اقتدار وكفاءة جائزة نوبل للفيزياء سنة 1932.

النظرية: قوانين الفيزياء الكلاسيكية تقترن بدراسة الظواهر الخاضعة لمناهج الاستقراء القائم على الملاحظة الحسية والنظر في تعاقب الأحداث مع ما يتفق مع مسلمة الحتمية,وهذا الوضع فقد في الفيزياء المعاصرة التي تدرس العالم الأصغر أي عالم اللامتناهيات في الصغر,وبين ذلك في قوله:"كلما دق قياس موقع جسيم غيرت هذه الدقة كمية حركته.كلما دق قياس حركة كميته التبس موقعه.يمتنع أن يقاس موقع الجسيم وكمية حركته معا قياسا دقيقا,أي يصعب تعيين موقع الجسيم وسرعته الابتدائيتين بالمفهوم الميكانيكي الإتباعي لذلك يصعب معرفة موقعه وسرعته في زمن لاحق".ولفهم علاقة الارتياب هذه قدم مقاربة واقعية وهي:"إن اللاعب لعبة البيار فبراعة اللاعب لا تفيده كثيرا فكل ضربة تكون خاضعة للصدفة والارتياب ويتبدد اليقين في كل زاوية وحركة".

ـ الفيزياء المعاصرة Microphysique,رغم أزمتها المنهجية وأخذها بنظرية الارتياب إلا أنها حققت مكتسبات عملية كبيرة نجدها في المبتكرات كبناء الأجهزة الإلكترونية لذلك اتفق علماء ومنهم إدنجتون وديراك على أن الدفاع عن مبدأ الحتمية المطلقة بات مستحيلا,وتدعم هذا الرأي بوضع نظرية الاحتمال في الرياضيات الذي ساهمت في حل معضلا ت حقيقية لأن فلسفة التوقع أضحت مبررة ومقبولة.

III العلم البيولوجي وحدود التجربة والعوائق الابستيمولوجية :

الوضعية:"ينبهر العالم بما يقدمه العلم البيولوجي ولعل من أهمه الهندسة الوراثية,وهي تقوم على تغيير المورثات أي الجينات داخل جسم الكائن الحي,وذلك بإكسابه سمات مختلفة تنعكس على وضعه البيولوجي بجلاء,وتمكن المهندسون الوراثيون من إنتاج معظم السلالات المهمةُ اقتصاديا من النباتات والحيوانات,كما طوروا طرقا لعزل مورثات بعض الكائنات الحية وإدخالها من جديد في خلايا النباتات وحتى الحيوانات,وهذا ساهم وبشكل فعال في المحافظة على سلالات نباتية وحيوانية كادت تنقرض,وكذلك في رفع مستويات الإنتاج كان ذلك في الكمية والإنتاجية".

التفسير: البيولوجيا Biologie,علم الحياة والحياة نقيضها الموت والفناء لقوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاء وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ} (22) سورة فاطر,وهو علم واسع يشمل فروع عديدة من أهمها:علم الحيوان وعلم وظائف الأعضاء وعلم الحياة العام وغيره.

أولا:عوائق إبستيمولوجية تحد من تطبيق المنهج التجريبي.

الوضعية:"بعد جهد جهيد ومعاناة قاسية مع المرض, وتردد مستمر على الأطباء استعاد صحته وعافيته, واستشعر في نفسه رحمة الله ولطفه, وأيقن أن الشفاء من كرمه, وتذكر قوله تعالى: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} (80) سورة الشعراء,وفقه أن المرض طهارة من الذنب وأن قدرة الخالق تتجلى في العلماء ورثة الأنبياء والأطباء منهم,وكيف لقي العناية والاهتمام وتجسد ذلك في علمهم وعملهم وكذلك خلقهم وحسن معاشرتهم,وراودته أمنية وهي أن يجد من أحد أولاده حرصا ورغبة في القيام بهذه المهنة الشريفة".

التفسير: مهما حرص الطبيب, تقف دونه عوائق شتى تقترن بطبيعة الموضوع الذي يتصدى له بالدراسة إن رفع الألم عن المريض والغوص في حياته من أعقد مهام العلم.

ـ العوائق ويمكن تلخيصها كما يلي:

1ـ العلم البيولوجي يعترضه عائق الحياة وهي مجموع ما يشاهد في الحيوانات والنباتات من فوارق بينها وبين الجمادات كالتغذية والنمو والتناسل وغيرها وهذه صفة تحدد ماهية الكائن الحي وتفضي عليه استقلالية

خاصة يقول جورج كوفيي :"إن سائر أجزاء الجسم الحي مرتبطة فيما بينها,فهي لا تستطيع الحركة إلا بقدر ما تتحرك كلها معا".

2ـ إن تعقد الظاهرة البيولوجية إلى الحد الذي يجعل تصنيفها مستحيلا على خلاف الظواهر الفيزيائية والكيميائية فالجهاز العصبي يحمل من الوظائف الفيزيولوجية والفيزيائية وكذلك الكيميائية يجعل مجرد وصفه وفهم تغيراته بعيد المنال.

3ـ النتائج التي حققها البحث البيولوجي لا تحمل صفة التعميم وهي خاصية أساسية في العلم,بمعنى أن التجربة الواحدة والقانون المبرهن على صدقه استقراء لا ينطبق على الجميع, فنجد أن التشخيص الواحد والعلاج الواحد يعطي نتائج متباينة.

4ـ إن الكائن الحي على خلاف الجماد يحمل صفة التغير والتبدل, وهكذا يقف الوسط والبيئة وتغيرات المناخ عوامل كلها تحد من تحقيق نتائج عامة, لذلك نجد من الأمراض ما هي موسمية وأخرى مقترنة بتضاريس ومواقع جغرافية خاصة.

ثانيا:تجاوز العوائق والسعي لتحقيق حتمية بيولوجية.

الوضعية:"منذ زمن قريب كانت الأوبئة تفتك بالملايين,وكان الإنسان يقف موقف العاجز المستسلم الضعيف المستلب الإرادة,ويذكر المؤرخون أن وباء الطاعون كان إذا حل ببقعة استعد الأحياء لمصيرهم,فكتبوا وصاياهم واستقبلوا مصيرهم المنتظر,فجاءت أعمال باستور ومن جاء بعده بمعجزات طبية رفعت عن البشر هذا الحمل,وأضحى بمقدور المريض أن يتوجه إلى أقرب طبيب وصيدلية حتى يجد الشفاء ويكتشف معجزة الطب ويتذكر قوله تعالى: { نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} (76) سورة يوسف".

التفسير:لا ينكر أحد مدى التعقيد الحاصل في دراسة المادة الحية ورغم ذلك أزال البحث العلمي الكثير من ذلك ويعود الفضل في إرساء الخطوات المنهجية للعالم الباحث كلود بيرنارد واضع كتاب "مدخل لدراسة الطب التجريبي,أثبت وظيفة الكبد السكرية واكتشف وجود العصب الودي واستقلاله عن الجملة العصبية.

1ـ خضوع المادة الحية للتجربة:

قام ك. بيرنارد 1813ـ 1878م بتجربة في علم وظائف الأعضاء فأحضر أرانب من السوق ولاحظ أن بولها صاف وحامض,وهذا مخالف لطبيعة الحيوانات المتغذية عن الأعشاب أن بولها عادة يأتي عكر وقلوي,فوضع فرضية لماذا لا تكون الأرانب قد وضعت في شروط غذائية يشبه شروط الغذاء عند الحيوانات المتغذية على اللحوم,فقام بتجربة

علمية,فغذى الأرانب بغذائها الطبيعي المكون من الأعشاب,فاستعادت وضعها الغذائي الطبيعي.

2ـ خضوع المادة الحية للكم والتقدير الرياضي:

حقق العلم البيولوجي نقلة نوعية لما استطاع أن يدخل الرياضيات الإحصائية وكانت البداية سنة 1865 م مع أعمال ماندل Mendel,وكان ذلك في علم الوراثة واشتغل على النبات,وثبت ذلك بجداول إحصائية كانت نتائجها كما ياي:

أ ـ أفراد الجيل الأول متشابهون.
ب ـ صفات الأجداد تظهر في الجيل الثاني.
ج ـ توزيع هذه الصفات يظهر بصفة منتظمة ومطردة.

توسع مجال البحث الإحصائي وتمكن العالم الأمريكي مورغان Morgan 1910من تفسير انتقال الخصائص الوراثية من جيل إلى جيل عن طريق المورثات الموجودة في الكروموزات,ومع تطور تقنيات البحث أضحت المقارنة بين العلم البيولوجي والفيزيائي متاحة ومبررة.

3ـ العلم البيولوجي والحتمية الفيزيائية الكيميائية:

نظرية العالم ك . بيرنارد:إن المظاهر التي تتجلى في الأجسام الحية مثل المظاهر التي تتجلى لدى الأجسام الجامدة تخضع لحتمية ضرورية تربطهما بشروط كيميائية خالصة.وهذا مبرر بالتشابه الحاصل في التكوين والطبيعة بين المادة الجامدة والحية,لأننا نجد العناصر واحدة,والبحث العلمي يؤكد ذلك فنجد على سبيل المثال هذه النتائج:جسم الكائن الحي يدخل في تركيبه الكربون والهيدروجين و الأزوت والكالسيوم والفسفور وغيره بنسب متفاوتة,وخير مثال أن التنفس والهضم ليسا إلا تفاعلين كيميائيين,وهذا ينطبق على الوظائف الحيوية الأخرى.

4ـ النزعة الحياتية Animisme والقول بالغائية:

يقولون إن الحياة قوة طبيعية مستقلة عن القوى الفيزيائية ـ الكيميائية, وهي علة وسبب ما نشاهده في الحيوانات والنباتات من صور الحياة وهي لا تفارق النفس وهذا يدفع للأخذ بالغائية القائمة على التسليم بوجود قوة مفارقة لها قوة الخلق وهي تتحقق بتثبيت عظمة الخالق تبارك وتعالى في خلقه,لذلك ما هو متاح للإنسان هو فهم تركيب المادة كأن نفهم وظائف القلب والجهاز العصبي,أما الوقوف على الغايات والنهايات فهذا متعسر,فالعلم لا يستطيع تفسير وظائف حيوية كهجرة الطيور والأسماك التي تقطع فيها مسافات شاسعة وطويلة تعجز فيها أدق الأجهزة عن تتبع مساراتها,وكذلك تكيف الكائن الحي مع المقتضيات الطارئة الصادرة عن المناخ والتضاريس,ومهما اكتست النزعة

الحياتية والإحيائية وهما سواء من صدق يبقى جهد الإنسان في البحث والسعي للمعرفة مطلوب وإن وجدت عوائق فهذا المتوقع والمحتمل.

الرجوع إلى المشكلة وذكر الأهم

مع التقدم الحضاري أضحى الفصل بين المعارف الفلسفية والعلمية قابل للتحقق والإمكان,وذلك بفضل وجود المنهج الاستقرائي الذي جعل التجربة معيارا للصدق والكذب,وتم التخلي عن التحليلات الفلسفية المعيارية,وهذا ساهم في نشأة علوم المادة وأمكن من تطورها,وهذا انعكس إيجابا على العلم الفيزيائي الذي عرف مرحلتين الأولى كلاسيكية اتسمت بالضبط والتحدد والشمول والثانية معاصرة غاصت في عالم لامتناه من الصغر وأخضعت نتائجها للاحتمال والارتياب وكانت نتائجها مذهلة في الاختراع والاكتشاف,وهذا أحدث غيرة علمية خاصة, فسارع علماء البيولوجيا بحثهم لمواكبة هذا التطور فساهمت ك . بيرنارد و باستور وغيرهم في دفع علمية علم الحياة رغم اعتراض الاتجاه الإحيائي ونصل إلى النتائج التالية:

1- مع تطور علوم المادة واعتماد المناهج التجريبية تم الفصل بين الفكر الفلسفي والعلمي بشكل نهائي.

2- العلم الفيزيائي رغم حداثته, طور مناهجه وأدواته فأحدث نقلة نوعية في عالم المعرفة العلمية.

3- العلم البيولوجي ورغم العوائق رسم معالم الموضوعية واتجه إلى البحث الاستقرائي بكل ثقة.

النص الأول

:" فَإِنَ تَعَقُدَ الظَوَاهِرَ الجَامِدَةُ أَقَلُ بِكَثِيرٍ مِنْ تَعَقُدِ الظَوَاهِرِ الحَيَوِيَةُ وَلِذَلِكَ اسْتَطَاعَتْ العُلُومُ التِي تَدْرُسُ الظَوَاهِرَ الجَامِدَةَ أَنْ تَكْتَمِلَ بِشَكْلٍ أَسْرَعِ مِنَ العُلُومِ

الأُخْرَى, أَمَا فِي الأَجْسَادِ الحَيَةِ فَإِنَ الظَوَاهِرَ عَلَى غَايَةِ مِنَ التَعَقُدِ, وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَإِنَ حَرَكِيَة الخَصَائِصِ الحَيَوِيَةِ تضِيفُ إِلَى صُعُوبَةِ مَعْرِفَتِهَا وَتَحْدِيدِهَا صُعُوبَةً أُخْرَى.

وَلاَ يُمْكِنْ مَعْرِفَةْ خَصَائِصَ المَادَةِ الحَيَةِ إِلاَ عَنْ طَرِيقِ عَلاقَاتِهَا بِخَصَائِصِ المَادَةِ الجَامِدَةِ وَمِنْ هُنَا وَجُبَ عَلَى عُلُومِ الحَيَاةِ أنْ تَتخِذَ كَقَاعِدَةِ حَتْمِيَةٍ لَهَا العُلُومِ الفِيزْيُو- كِيمْيَائِيَةِ التِي تَسْتَقِي مِنْهَا وسَائِل تَحْلِيلِهَا وَطرُق بَحْثِهَا, وَتِلْكَ هِيَ الأَسْبَابُ الحَتْمِيَةُ لِتبَعِيَةِ وَتخَلُفِ العُلُومِ التِي تَهْتَمُ بِظَوَاهِرِ الحَيَاةِ, وَلَكِنْ إِذَا كَانَ هَذَا التَعقُدُ فِي الظَوَاهِرِ الحَيَوِيَةِ يُشَكِلُ عَوَائِقَ كَبِيرَةٍ جِدًا, فَلاَ يَنْبَغِي أَنْ يُزْعِجَنَا ذَلِكَ, لأَنَ مَبَادِئَ العُلُومِ مُتَمَاثِلَةٌ فِي المَيَادِينِ وَلاَ يُمْكِنُ نَفْيُهَا, إِلاَ إِذَا نَفَيْنَا تَمَامًا إِمْكَانِيَةَ عِلْمِ الحَيَاةِ, فَنَحْنُ إِذًا مُتَأَكِدُونَ مِنَ السَيْرِ فِي السَبِيلِ السَوِي وَمِنْ الوُصُولِ مَعَ مُضِيِ الأَيَامِ إِلَى النَتِيجَةِ العِلْمِيَةِ التِي نَنْشُدُهَا, أَيْ إِلَى الحَتْمِيَةِ فِي ظَوَاهِرِ الكَائِنَاتِ الحَيَةِ".

كلود بيرنارد

النص الثاني

:"في مستهل العصر الحديث كان مفهوم الذرة مرتبطا بمفهوم العنصر الكيميائي.فالجسم البسيط يتميز بكونه لا يمكن تحليله كيميائيا. ولذلك كان لكل عنصر ذرة خاصة. وهكذا فإن الجزء من عنصر الكربون يتمثل برمته في ذرات من الكربون, والجزء من عنصر الحديد يتركب برمته من ذرات الحديد.

وعليه فقد كان من اللازم التسليم بعدد أنواع الذرات بمقدار ما يوجد من العناصر الكيميائية. وبما أننا توصلنا إلى معرفة 92 عنصرا كيميائيا مختلفا, فقد لزم أيضا التسليم بوجود 92 نوعا من الذرات. ومع ذلك فإنا مثل هذا التمثل ليس مرضيا للغاية من ناحية المسلمات الأساسية في علم الذرة. ففي الأصل كان المفروض في موقع الذرة وفي حركتها أن يفسرا صفات المادة. ولا يكون لهذا التمثل من قيمة حقيقية في التفسير إلا إذا كانت الذرات متماثلة جميعا أو لم تكن هناك إلا بعض الأنواع النادرة من الذرات المختلفة فيما بينها, أي إذا لم تكن للذرات ذاتها أية صفة. ولكن عندما يجب التسليم بـ 92 ذرة مختلفة من حيث الكيف, فإن التأكيد بوجود أشياء مختلفة من حيث الكيف لا يجعلنا نتقدم كثيرا. لذلك فإن فكرة وجود 92 جُزَيْئًا قد أُعْتُبِرَتْ منذ مدة طويلة غير مرضية وافترض أنه يجب أن يكون من الممكن إرجاع هذه الأنواع إلى 92 من الذرات إلى عدد أقل من المركبات العنصرية. وإذن فسرعان ما وقعت محاولة تصور الذرات الكيميائية ذاتها كما لو كانت مركبة من بعض العناصر الأساسية النادرة.

وأقدم محولات تحويل مادة كيميائية إلى مادة أخرى, كانت في الحقيقة, في جميع الأزمنة قائمة على مسلمة تجانس المادة رغم المظاهر. و بالفعل فقد تبين أثناء الخمسين سنة الأخيرة أن الذرات الكيميائية مركبة وأنها مؤلفة فقط من ثلاثة عناصر نسميها بروتونات و نيوترونات و الكترونات. وتتركب نواة الذرة من بروتونات ومن نيوترونات ويدور حول هذه النواة عددا من الالكترونات".

هيزنبرغ

موضوعات للتحليل والمناقشة

1- هل تعتقد أن مبدأ الحتمية مطلق.

2- :"إن علوم المادة منهجها الاستقراء القائم على الملاحظة والتجريب".

- هذه الأطروحة وإن بدت غير سليمة إلا تطور العلم قد أثبت صدقها.

3- قارن بين علوم المادة الجامدة وعلوم المادة الحية.

4- قال الأول:"إن مجال التنبؤ في علوم المادة له تبريراته".

قال الثاني:"إن مجال التنبؤ في العلوم الإنسانية له تبريراته".
ـ أكتب مقالة فلسفية تفصل في المشكلة المتجادلة فيها.
5ـ :"إن العوائق الابستيمولوجية تحد من قوة التجربة وصدق الملاحظة".
ـ هذه المقولة تحتاج إلى أدلة تثبتها.
6ـ :"إن النزعة الإحيائية فلسفة الممكن في العلم البيولوجي".
ـ هذه الأطروحة وإن بدت سليمة إلا أنها تخالف منطق العلم ومسلماته.
7ـ :"الملاحظة والفرضية والتجربة أصول العلم ومسلماته الأولى".
ـ قدم الأدلة الكافية لتثبيت منطق الأطروحة.

الإشكالية:في فلسفة العلوم

المشكلة:في العلوم الإنسانية والمعيارية

I العلوم الإنسانية بين جدلية المعيارية والعلمية :

الوضعية:"في حصة الفلسفة التبس الأمر على التلاميذ,فاختلفوا في مصطلح الإنسان والإنسانية ولفظ المعيار والمعيارية,وأرادوا أن يبينوا العلاقة المنطقية بين المتشابه بينهما,فكان الرجوع إلى القواميس الفلسفية,ولتيسير

العمل وتنظيمه شكل الأستاذ مجموعة بحث ,انقسمت إلى قسمين الأولى بحثت في لفظ إنسان ونظرت في ماهيته و دلالاته الفلسفية,والثانية نظرت في لفظ معيار وحاولت الوقوف على معانيه ومقاصده,وجاءت نتيجة البحث كما يلي:

قالت المجموعة الأولى: الإنسانية في اللغة الفرنسية Humanité وهي عند الفلاسفة القدماء تعني الكلي المجرد الدال على ما تقوم به ماهية الإنسان بالنظر إلى مبدأ القيمة,أما علوم إنسانية فهي مباحث العلم التي تدرس الإنسان كإنسان في أبعاده والكشف عن تجليات واقعه ومنها ما هو قديم كالتاريخ وما هو حديث كعلم النفس والاجتماع,وهي تتوسع وتتعدد بتعدد قضايا الإنسان,فنجد علم السياسة وعلم الآثار ومع الأزمات المتلاحقة أضحى علم الاقتصاد متقدم لأن العالم يشهد أعظم أزماته التي استعصت على الحل.

قالت المجموعة الثانية:المعيارية من المعيار Norme وهو المقياس,وعند علماء المنطق هو المقياس المجرد وعادة نجد أوجه تشابه بين المعياري Normatif والعلوم المعيارية Normatives Sciences وهي علوم هدفها البحث في صورة المطلق والكمال ونجد ذلك في المنطق والأخلاق والجمال,مع الإشارة إلى أن لفظ علم دلالته هنا مجازية لا حقيقية فلا نفهم مثلا أن علم الأخلاق مثله مثل العلم الفيزيائي له موضوعه ومنهجه".

التفسير:العلم الإنساني هو علم الإنسان في كل زمان ومكان بغض النظر عن موضوعه ومنهجه, والعلوم الإنسانية هي العلوم المتعارف على أنها تدرس الإنسان كإنسان كالتاريخ مثلا, والعلوم المعيارية هي الخاضعة لمبدأ القيمة الذي يقود إلى فلسفة الكمال كالأخلاق والمنطق والجمال.

أولا: أبعاد العلم الإنساني.

إن التطور الذي عرفته علوم المادة والنتائج التي حققتها ساهم في نشأة علم إنساني نظر إلى الإنسان في أبعاده وهي:

1 ـ البعد النفسي: ندركه في الفردية,وتجليات الأنا في سلوكياتها.

2 ـ البعد الاجتماعي:لا ينفصل الفرد عن بيئته ووسطه الحيوي الجماعي.

3 ـ البعد التاريخي:الماضي هو الذي يحدد ماهية الحاضر ويرسم معالم المستقبل.

ثانيا: ضرورة التمييز بين العلوم الإنسانية وعلوم المادة.

ـ وضعية:"أجمل ما في هذه الحياة الصداقة القائمة على الاحترام المتبادل,لذلك كانت نهاية السنة جميلة وأجمل ما فيها لحظة النجاح التي غمرت الجميع,فكان الفراق بين خديجة وزميلاتها فهي وبحكم الشعبة ستختار العلوم الإنسانية وفروعها,وسيختار الآخرون الشعب العلمية الدارسة لعلوم المادة وفروعها,إن الفكر الإنساني يتسع ويتنوع ليشمل حاجة الإنسان ومطالبه التي

تقتضيها حياته النظرية والعملية,وسيبقى السعي دائما لتوحيد المناهج وكذلك الغايات,لأن طبيعة المادة العلمية وظروف دراستها تبقى مسألة نظرية تقترن بمقتضيات التاريخ والواقع الإنساني,إن الأزمة الاقتصادية العالمية المعاصرة جعلت التفكير في القضايا الاقتصادية متقدم,لأن مشكلاتها أضحت مصدر رعب وقلق لدول العالم".

التفسير:إن الفصل بين علوم المادة والعلوم الإنسانية أضحى ممكنا للتباين في الطبيعة ومناهج البحث, مع وجود غاية واحدة مشتركة بينهما.

- العوائق الابستيمولوجية والحد من الدراسة العلمية للوقائع الإنسانية:

1- الواقعة الإنسانية لا تعرف الثبات والاستقرار.

2- الإنسان بطبيعته يحمل خاصية التعقيد, وهذا ينعكس على دراسته.

3- الجانب الذي يطغى على حياة الإنسان الجانب المعنوي الذي ينعكس في حياته الشعورية والوجدانية.

## II العلوم الإنسانية وغايتها الموضوعية كطرح والاستقراء كمنهج :

الوضعية:"إن التاريخ قد ظهر قبل نشوء العلوم الإنسانية,فقد قام منذ أقدم عصور اليونان بعدد كبير من الأدوار الكبيرة في الثقافة الغربية:فقد كان ذاكرة,أسطورة,ونقلا للكلمة والمثل,موصلا للتقاليد,وعيا نقديا للحاضر استتشفافا لمصير الإنسانية,استباقا للآتي ووعده بالعودة...

إن القيم الخيالية التي اكتسبها الماضي, وتلك الهالة الوجدانية التي أحاطت به, في تلك الحقبة, ووعي التاريخ, والاهتمام الحماسي بالوثائق أو الآثار التي خلفها الزمن وراءه, كل ذلك يوضح للعيان بكل جلاء أن الإنسان قد وجد ذلك مفرغا من التاريخ". ميشال فوكو الكلمات والأشياء

التفسير:التاريخ هو البداية والنهاية لفهم العلوم الإنسانية,لأن الماضي عنصر جوهري في تحديد ماهية الإنسان كإنسان,كان ذلك في فرديته النفسية الواعية,أو في وسطه وبيئته الاجتماعية وعلاقاته الاقتصادية والسياسية وكذلك اللغوية,هذا كله يحتاج إلى دراسة علمية تنفض الغبار عن هذا الجهد الفكري الإنساني,وتضعه في مجال الحقيقة العلمية المقنعة المثبتة بالملاحظة والتجربة الاستقرائية الواضحة الجلية.

### أولا:التاريخ علم الحوادث الماضية.

الوضعية:"كلمة التاريخ مشتقة على الأرجح من اللفظ السامي الذي يعني القمر أو الشهر,وهي ترد على لفظين:تأريخ بإثبات الهمزة,ويقابل كلمة أستوريوغرافيا Historiographie ,ويفيد مطلق التعريف بالوقت,ويشير إليه السخاوي في كتابه "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ" بأنه يعني "الإعلام بالوقت", ويذكره الجوهري بأنه يعني التعريف بالوقت.. وهو يقابل عادة كلمتي "إستوار" Histoire..المأخوذة من اللفظ اليونانيHistoria ,الذي يفيد الرؤية

أو النظر أو المعنى.... وبذلك يكون المؤرخ بهذا المعنى هو الشاهد على الوقائع أو الذي يقوم برسم لوحة بيانية عن مجرى الحوادث التي علم بوقوعها خلال العصور,وهذا ما جعل هيرودوت Herodotus ,في القرن الخامس قبل الميلاد يعرف التاريخ في كتابه عن الحروب الفارسية اليونانية بقوله:"هو عرض للاستقصاء والمعرفة,وهدفه ألا تندثر أعمال التاريخ". أساسيات منهج التاريخ,ناصر الدين سعيدوني.

التفسير: التاريخ لغة تعريف الوقت,وتاريخ الشيء وقته وغايته,وهو علم يبحث في الوقائع والحوادث الماضية,ويقصد به السرد المنظم لمجموعة الظواهر طبيعية كانت أو زمنية إنسانية,فهناك مثلا من يؤرخ للأرض وهناك من يؤرخ للثورة الجزائرية مثلا ,وأساسه المشاهدة والتحري والقدرة على التمحيص وبناء الاستدلالات القائمة على النظر الثاقب,يقول العالم الفقيه سفيان الثوري:"لما استعمل الرواة الكذب ,استعملنا لهم التاريخ".

1 ـ الموضوعية والعلمية في التاريخ: الشك وقذف التاريخ بالصفات النكرة كالذاتية والتأويل وعدم موافقته للموضوعية,فلسفة قديمة جديدة تعبر عن غياب الثقة في الباحث الدارس النزيه,يقول سانلي جوفوس GEVONS صاحب كتاب مبادئ العلم :"من السخف أن نفكر في التاريخ على أنه علم بالمعنى الصحيح". هذا يقود إلى نتيجة قاسية مؤداها التنكر للماضي وإلغائه وهذا يخدم فلسفات تفزع من استرجاع الماضي لأنه يفضحها ويكشفها.

علمية التاريخ:يستعين المؤرخ العالم بمناهج متعددة ويخضع كل الوسائل المتاحة ليجعل من بحثه علما يحمل صفة الصدق والوثوق وهذا الفعل إن أحسنه يجعل علم التاريخ في مرتبة تعلو العلوم الأخرى ,يقول الأستاذ تريفليان Trevelian:"إن التاريخ ليس له,ولم يكن له قط ما للأدب الخالص من حرية أدبية ,بل لا بد له أن يكون خادما للحقيقة,وإلا فقد اسمه,ولا ينبغي أن يستمد أخباره من الخيال كما هي الحال في الشعر والقصص,بل يجب أن تكون قائمة على المنهج العلمي القاسي الذي يقصد إظهار حقيقة الماضي".

أـ العلوم المساعدة للتاريخ: إن الصورة العلمية للتاريخ لا تكتمل إلا بتوفر علوم تسند علميته وتخرجه من التحليلات الفلسفية العقيمة ومن أهمها نجد:علم الآثار Archéologie وعلم قراءة الخطوط القديمة Paléographie وعلم النقوش والكتابات القديمة Epigrapie ,ومساعدة علم الوثائق وعلم النقود والمسكوكات,والإطلاع على علم الإنسان الأنثروبولوجيا وغيرها.

ب ـ العلوم المفسرة للتاريخ:نجد من أهمها علم الجغرافيا وعلم الخرائط وكذلك الاقتصاد والسياسة وعلم النفس,وعلم الاجتماع,وعلم الأديان.

ج ـ الفلسفة:الغاية من الكتابة التاريخية معرفة الغايات والأسباب المفسرة لحركة الإنسان وتطوره وتفسير نجاحه وإخفاقه مع معرفة أسباب

انتصاراته وهزائمه لأخذ العبرة والموعظة يقول ابن خلدون:"اعلم أن فن التاريخ عزيز المذهب,جم الفوائد,شريف الغاية,إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم,والأنبياء في سيرهم,والملوك في دولهم وسياستهم,حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا".

د ـ المناهج العلمية وكتابة الحادثة التاريخية:يمكن أن نلخص الكتابة التاريخية في مراحل أساسية هي:

1 ـ جمع المصادر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

2 ـ تحليل المصادر ونقدها وفهمها بوجود العلوم المفسرة والمساعدة.

3 ـبناء الحادثة التاريخية بناء علميا مع الأخذ بقواعد التصنيف والتنظيم والترتيب والمحافظة على الأبعاد المكانية والزمنية للحدث.

4 ـ الكشف عن الأسباب الدافعة وفهم مقتضيات الحدث التاريخي فهما سببي ومن أهم الطرق المعتمدة منهج المقارنة ,نستطيع مثلا أن نقارن سقوط بغداد سنة 2003م مع سقوط الجزائر سنة1930 م ,ونبحث بطريقة منهجية في الأسباب,سنكتشف المشترك بينها ,وهو التشابه في الحالات التالية:

1 ـ وجود قوة استعمارية تعاني عجزا اقتصاديا القمح لدى فرنسا والنفط لدى أمريكا.

2 ـ وجود ضعف سياسي وغياب سلطة حقيقية تمثل الجميع.

3 ـ الخيانة الداخلية والتواطؤ مع العدو.

4 ـ تخاذل دول الجوار والعجز عن رد المعتدي.

ـ هذه المقارنة تقود إلى فلسفة التاريخ ووعي الأسباب الدافعة إليه فكل مجتمع يقف أمام قوة استعمارية ويعاني الضعف, وهو يمتلك قوة اقتصادية, ومجتمعه يعاني التفكك والانقسام, يبقى سقوطه ونهايته مسألة وقت ومستجدات سياسية فقط.

ثانيا:عوائق البحث التاريخي وغياب الموضوعية.

الوضعية:"قررت مجموعة بحث في جامعة الجزائر قسم التاريخ, القيام ببحث موسوعي حول حرب الخليج الثانية,فكانت المرحلة الأولى ترتيب و جمع المصادر,وتم الرجوع إلى أرشيف القنوات الإخبارية, وتم الاتصال بالمؤسسات البحثية العالمية,وتم الرجوع إلى شخصيات سياسية وعسكرية لتثبيت الشهادات والروايات,وانقسمت المجموعة إلى مجموعات فرعية,منها من اشتغل بالشق العسكري,وآخر اشتغل بالجانب الاجتماعي,ومنهم من آثر البحث في الجانب الاقتصادي وهكذا,وجاءت النتيجة موافقة لمواصفات البحث العلمي حيث تم استبعاد النوازع الذاتية والأهواء".

التفسير:البحث التاريخي مثله مثل أي بحث علمي تقف دونه عوائق يستطيع الباحث بموضوعيته القائمة على الصدق والأمانة أن يتجاوزها, وأول فعل يقوم به هو ضرورة التعرف والوقوف عليها.

- عوائق بناء الحادثة التاريخية: يمكن أن نجملها كما يلي:

1 - الحادثة التاريخية تتسم بالفردية, يقوم بها العظماء والأبطال.

2 - التاريخ يقوم على فكرة الزمنية فهو غير قابل للاستعادة.

3 - لا يمكن أن نسترجع الحوادث التاريخية كما نسترجع الظواهر الطبيعية, ويكون البديل هنا منهج المقارنة.

4 - لا نستطيع أن نحدد بدايات الحدث التاريخي,وهذا مشترك مع العلوم الأخرى فنحن لا نستطيع أن نحدد بداية الخلية في العلم البيولوجي مثلا.

ثالثا: النفس أم السلوك أيهما يخضع لمنطق الملاحظة و التجربة ؟

الوضعية:"مع بداية التسجيلات الجامعية,التبس الأمر على خديجة ولم تعرف الفرع الذي يلبي رغبتها وحاجتها,وبعد تردد قررت التسجيل في فرع علم النفس,ولأخذ معلومات أكثر وأوفر استعانت بمواقع إلكترونية على شبكة الإنترنت,وبعد البحث تبين لها أن لفظ النفس عام, وأن القدماء والمدارس الكلاسيكية اعتقدوا بوجود علم يمكن أن يكون موضوعا للنفس الإنسانية,وكيف ساد لفظ سيكولوجيا Psychologie,وكيف كان هدفه البحث في الظواهر النفسية للكشف عن قوانينها,وتم التخلي عن التحليلات الفلسفية والبحث في جوهرها,لأن هذا مبحث ميتافيزيقي لا يؤدي بالضرورة إلى نتائج موثقة علميا,ومع القرن الثامن عشر أشاع وولف هذا المصطلح وتم نشره في أوروبا وأضحى من العلوم الوضعية التي تستحق الاهتمام,وفي القرن العشرين أخذ منحى جديدا مع توسيع المناهج الاستقرائية,أضحى بالإمكان دراسة السلوك فنشأت مدارس علم النفس المعاصر,وهي كثيرة ومتنوعة ومن أهمها المدرسة السلوكية الغشتالتية وكذلك مدرسة التحليل النفسي,والموسوعات النفسية أضحت غير قادرة على متابعة التطور والبحث المطرد الذي تمدنا به مراكز البحث الجامعي".

التفسير:النفس الإنسانية من أعقد القضايا في الفكر الفلسفي يقول تعالى في محكم تنزيله: {وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} (123) سورة البقرة,لذلك اتجه البحث العلمي المعاصر إلى الوقوف على السلوك,والاكتفاء بدراسته وانقسمت المدارس السيكولوجية إلى قسمين,قسم نظر إلى السلوك الخارجي كما فعلت المدرسة السلوكية واكتفى بدراسته والنظر إلى الاستجابات وردود الأفعال وآخر تعمق في الأفعال الداخلية وغاص في الأحوال المبهمة كما نجد ذلك في مدرسة التحليل النفسي.

1 ـ علم النفس علم السلوك بمظهريه الداخلي والخارجي:

أ ـ مدرسة التحليل النفسي والمنهج التمثيلي: تأثر س. فرويد بمناهج التشخيص المرضي في العلم الفيزيولوجي,وأراد أن يجعل المرض النفسي مثله مثل المرض العضوي,فابتكر طريقة تستلهم روحها من قواعد الاستقراء العامة وهذا لما أخذ بمسلمة اللاشعور كفكرة ومبدأ,ويمكن تلخيص الخطوات المنهجية كما يلي:

1 ـ المحادثة والحوار: وهي أسلوب عملي وواقعي يتيح للمريض أن يفصح عما بداخله,وهذا يعطي للطبيب المحلل فرصة الملاحظة والمشاهدة لتتبع الحالة المرضية والوقوف على أسبابها ودوافعها الحقيقية.

2 ـالملاحظة وبناء الفرضيات:يتابع المحلل دراسة السلوك فينتقل إلى فهم ودراسة الهفوات والأخطاء وتتبع الاستجابات وردود الأفعال الصادرة عن الأنا,ثم الانتقال إلى تفسير الأحلام والوقوف على رمزيتها وربطها بالفعل المؤثر الناتج عن عملية الكبت.

3ـ الاستجواب كبديل عن التجربة:قد تكون على شكل استجواب كتابي يجيب عليه المريض, مع وجود بدائل فيعتمد المحلل مع الأطفال مثلا طرق التمثيل والقيام بأدوار تكون كوسيلة وأداة لإظهار ردود أفعال يرصدها الطبيب في السلوك.

ب ـ علم النفس الموضوعي وتأسيس سيكولوجية الوظائف:

إن السؤال الذي طرح نفسه على الباحثين هو لماذا لا يكون علم النفس علما موضوعيا له مناهجه وأدواته ؟ فجاءت أعمال فيبر Weber وفيخنرFechner,تم الاعتماد على آلات فيزيائية للكشف عن العلاقات الثابتة في الإحساس,وصاغ فيبر القانون التالي:"إن الكمية التي تجب إضافتها إلى إثارة ما لإحداث فرق في الإحساس هي في الظروف العادية جزء ثابت من الإثارة".فكانت النسب مثلا 100/1 بالنسبة للضوء,و 30/1 بالنسبة للوزن والحرارة,وهذا المنهج ساهم فيه بداية العالم الروسي الباحث في العلم الفيزيولوجي وصاحب نظرية المنعكسات الشرطية التي شملت التجارب على الحيوانات وخاصة الكلاب ودرس طبيعة الاستجابة وردود الأفعال الناتجة عن المثيرات,وهذا ساهم في نشأة علم النفس الحيواني وخاصة في أبحاث طرائق التعلم,وأعمال المدرسة الأمريكية السلوكية لا تحتاج إلى تعريف وخاصة مع أعمال مؤسسها ج . واطسن Watson,كان عمله دراسة الإثارة والاستجابة كما هو حاصل في الإعلان التجاري مثلا,وما أكد أهمية هذا المنهج كذلك أعمال يركس Yerkes,وثورانديك Thorndike,ويرى المؤرخون أن العلم الأمريكي كاتل Cattell قد اخترع طريقة الروائز وهي الاختبارات التي تقرر وضع الحالة النفسية أو أحد وظائفها وكان ذلك سنة 1890 م ,والمنهج الموضوعي

تجلى واضحا عند المدرسة الغشتالتية وهي مدرسة ألمانية قدمت نظريات شارحة في التعلم وبناء الصيغة الإدراكية وكان لها الأثر العظيم في تطوير مناهج وطرائق التعلم ونقل المعرفة والتفاعل مع العالم الموضوعي وفق قوانين تنظم إدراك المكان وتعين على بيان المعاني وتجريدها.

ـ الدراسات الموضوعية في علم النفس المعاصر ما هي إلا بداية في حياة علم ما زال في نشأته الأولى فهو لا يقارن بالعلم الفيزيائي أو البيولوجي ومع ذلك أهميته قائمة وخاصة في ما يعرف بالحرب النفسية التي أثبت التاريخ المعاصر أنها أهم من سلاح الجو وأخطر من الأسلحة الإستراتيجية,لأن قتل نفس المقاوم وشل إرادته وتعطيل قدراته مقدمة أساسية لبناء نظرية الحسم العسكري.

رابعا:عوائق الدراسة السيكولوجية وغياب الموضوعية.

الوضعية:"فلما صدته عن نفسها, ولنختصر الحكاية, أصابه الأسى ثم امتنع عن الأكل, ثم حرم النوم, ثم أصيب بالضعف, ثم أبتلي بالخفة, وبهذا التردي والهبوط بلغ درك الجنون الذي يهذي الآن فيه, ويبكينا جميعا عليه".

شكسبير ـ هاملت .

التفسير:هذا مقطع من مسرحية هاملت وهو من الأدب الكلاسيكي يبرز حالة شخص يعاني الاكتئاب وهو وبلا منازع أضحى داء العصر الذي تجاوز ضحاياه ضحايا الأمراض المتنقلة والأوبئة,وعجز العلم أمامه لأنه ينقض على باطن الإنسان ويفتك به,وهذا وضع علم النفس العام ومناهجه المختلفة أمام أزمة إبستيمولوجية حقيقية.

ـ الذاتية والتحليلات الشعورية تحد من الموضوعية:

أن البحث العلمي السيكولوجي تقف دونه عوائق من أهمها:

1ـ الحادثة النفسية كيفية لا تعرف السكون والثبات لأنها قائمة على الشعور الذي يجد فيه برغسون ديمومة وكيفية,وهذا ساهم في بناء المدرسة الكلاسيكية الاستبطانية وهي قاسم مشترك بين فلسفات وتيارات فكرية كثيرة,ومن أهمها الفلسفة العقلية والتجريبية وكذلك الظواهرية,والمنهج عندهم في صورته الأولى فلسفي يقوم على تأمل الذات لذاتها,لأن الفرد الواعي يدرك ذاته أثناء الفعل والتفكير عن طريق الانعكاس,لأن الذات العارفة وموضوع المعرفة شيء واحد,وهذا يحدد وضع الأنا النفس ويحدد خصائصها بوضوح وهي:

1. النفس محصورة في الذات ولا يمكن الإطلاع عليها من خارج.
2. لا تخضع النفس لمفهوم المكان فهي أعم وأشمل كالحزن والفرح.
3. فعل النفس كيف لا يخضع لقواعد المادة كقواعد القياس و التجربة.
4. تخضع الدراسة النفسية لمنطق الفهم والتعايش مع النفس كشعور.

ـ المناهج الذاتية الاستبطانية تبقى في جوهرها مجرد تحليلات فلسفية تنطلق من مسلمة أن النفس جوهر ميتافيزيقي غير قابل للتعريف,لذلك تعرضت لانتقادات شديدة وخاصة من النزعة الموضوعية يقول ج . واطسن:"إذا أراد علم النفس أن يكون علما موضوعيا,يجب أن يتخلى عن فكرة الشعور".

ـ الدراسات النفسية المعاصرة تشد نظر الباحثين لأهمية البحث السيكولوجي فتعددت الميادين,فنجد علم النفس العام ,وعلم النفس الاجتماعي,وعلم النفس المرضي,وكذلك علم النفس التكويني وعلم النفس الفوارق,وعلم النفس العيادي واللغوي والطفل كل هذه الفروع وغيرها غايتها وهدفها البحث في النفس الإنسانية وفهم سلوكياتها والحد من أزماتها.

خامسا: علم الاجتماع علم له موضوعاته ومناهجه العلمية.

الوضعية:"بطبيعة الحال لا تزال عندنا تظاهرات جماهيرية وأحداث شغب واضطرابات أجور,إلا أنني أؤكد أنه من دون الأبحاث المتعلقة بالرأي العام كنا سنواجه قلاقل أكثر عددا وأكثر عنفا,والواقع أنه يتعين علينا,عند وقوع تعبيرات عنيفة عن الرأي العام,أن نتأمل بعناية ما نؤديه من أعمال,وأن نتساءل عما قد فشلنا,من ناحية معينة في أداء عملنا,فمن الممكن أن نكون مسئولين جزئيا عن القلاقل التي تتعارض مع التقسيم الإنتاجي للعمل الذي تقوم عليه حضارتنا".

و.فليبس دافسون. مجلة الرأي العام الفصلية
خريف 1972 ص. 314

التفسير:الفكر الأمريكي المعاصر قام على نظرية توجيه الرأي العام وتحديد توجهاته, ويتحقق ذلك ببناء الرأي وصناعة الرأي العام, لذلك تنتشر معاهد سبر الآراء وهي التي تحدد سياسة الدولة وكذلك إستراتيجيتها العسكرية والسياسية والاقتصادية,وهذا يندرج في علم الاجتماع المعاصر ويعود الفضل للعلامة المسلم ابن خلدون في وضع معالمه ومناهجه التي قرنها بفلسفة التاريخ.

ـ علم الاجتماع علم له مناهجه وموضوعاته:

وجود المجتمع حقيقة ثابتة,نلاحظه ونبصر تحولاته ونرصد تطوراته ونلم بتناقضاته,لأننا نعيشها كوقائع مشاهدة في الأسر والمدارس والمنتديات ونفزع من أزماته,فنحن لا نصبر على تفشي الانحلال الخلقي أو نقبل مظاهر منحرفة كالانتحار أو الأخذ بالثقافات الواردة التي لا تنسجم مع الهوية والانتماء لذلك وجد علم الاجتماع ليرصد هذه الحالات وغيرها,ويرجع الفضل إلى عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم 1858 -1917 م جعل مهمته الفكرية والعلمية النهوض بالدراسات الاجتماعية وإخراجها من البحث التاريخي الفلسفي إلى الدراسة العلمية القائمة على الوضعية وهي روح اعلم وفلسفته والموضوعية وهي أن يتجرد الباحث الاجتماعي من ذاتيته ويبقي فقط على الحدث في

صورته الشيئية,من أهم مؤلفاته نجد: تقسيم العمل الاجتماعي,قواعد المنهج في علم الاجتماع,الانتحار,الصور الأولية للحياة الدينية.

قواعد المنهج عند دوركايم: يمكن أن نلخصها في القواعد التالية:

1ـ تثبيت الحادثة الاجتماعية: نثبتها بالعلوم المساعدة كعلم التاريخ والأنثروبولوجيا وهي الدراسات الوصفية للثقافات البدائية,ويكون منهج العالم في الطرح والتحليل منهج العلماء في الفيزياء والكيمياء,وإن وقف دونه عائق ما فيجب أن يقوم بالتحقيق ويبحث عن المؤشر الذي ساهم في وجود الحادثة.

2ـ البحث عن العلل الفاعلة: الحدث الاجتماعي لا يوصف بالعبثية,ولا يخضع لقوانين الصدفة,بل توجد قوانين تفسره,والبحث عنها ورصدها هي وظيفة عالم الاجتماع,ويجب إلغاء التفسيرات الغائية الماورائية ,الحوادث ملتحمة مع بعضها البعض,لوجود علاقة سببية فانحلال الأسرة مثلا يقود إلى التشرد والتشرد يقود إلى الجريمة والجريمة تقود إلى الأزمات الأخلاقية و كذلك الاقتصادية, والنتيجة أن الأسباب تقود إلى مسببات وفي غياب العلاج العلمي تتحول إلى أزمات مركبة تستعص عن الحل وخير مثال الجريمة المنظمة في المجتمعات الغربية.

3 ـ الفرضية تبقى عاجزة عن التفسير,لذلك تتم الاستعانة بخطوات عملية ومنها طريقة التلازم في التغير والقصد هو ضبط النسبة والتناسب بين ظاهرتين,كأن نفهم العلاقة مثلا بين البطالة و التفكك الأسري,وهنا يستعين العالم بمنهج المقارنة العملي الذي ينضبط بعلم الإحصاء,فتبدو الحادثة أوضح في السلم البياني ونمتلك لها الحل العملي الذي نمتلك تفسيره وبيانه.

ـ النتائج العملية لدراسة دوركايم لظاهرة الانتحار في المجتمع الفرنسي:

بعد دراسة ميدانية عملية وإحصائية وبالنظر للعوامل الدينية والمدنية ونمط الحياة وطبيعة الفرد وما يحمله من ثقافات وصل إلى النتائج التالية:

الانتحار عند العزاب أكثر منه عند المتزوجين,وهو عند المتزوجين الذين لا أولاد لهم أكثر من لهم أولاد,وأن نسبه عند البروتستانت أكثر من الكاثوليك ووصل دوركايم للقانون التالي:"الانتحار يتناسب عكسا مع درجة الاندماج في المجتمع الديني والعائلي والسياسي".

ـ هذه الدراسات نقلة نوعية لها الأثر الإيجابي على العلم الإنساني عامة والعلوم الإنسانية خاصة ومع ذلك وجدت من يعترض عليها,لأن قراءة النسب الإحصائية تأتي بشكل ذاتي بين هالفاكس أن التفسيرات لا تقود بالضرورة إلى نتائج يقينية وقطعية وتساءل عن النسب المنخفضة في المجتمعات الكاثوليكية هل ترد إلى العقيدة أم الأصل أم النمط والوسط ,ولما لا تكون هناك عوامل أخرى نحن نجهلها لأنها لم تظهر في الإحصاء أو الاستبيان.

## سادسا: علم الاجتماع وإمكانية تجاوز العوائق.

الوضعية:"الطلاق هذا الهاجس الاجتماعي,الذي أخذ يتهدد حياتنا الاجتماعية ويساهم وبشكل فضيع في انحلال الأسرة الجزائرية ,كان لا بد أن ينهض قسم علم الاجتماع في جامعة الجزائر بمهمة الرصد والبحث عن المؤشرات المتسببة,فقام الأستاذ بتقسيم جماعة البحث,فكلف المجموعة الأولى بالقيام بتحقيق واسع يطال كل الفئات الاجتماعية,والمجموعة الثانية تتوزع على جل القطاعات الصناعية والثقافية والقيام بالاستبيان, لرصد الرأي العام وضبط توجهاته,وتم فتح مكتب للتحليل والدراسة, وبعد تجهيزه بالحواسيب تم تكليف مجموعة الاستقراء والإحصاء بالعمل الرياضي,وترأس الأستاذ مجموعة الضبط والتدوين وإعداد ملفات البحث,وكان ينبه طلبته وبشكل دائم قائلا:"إن تشخيص العلة متقدم عن العلاج",هذه المسلمة مكنته وطلبته من استقراء الواقع وفهمه والتفاعل معه بطريقة سليمة".

التفسير: كأي علم علم الاجتماع تقف دونه عوائق نظرية وتطبيقية تفرضها طبيعة البحث الإنساني الذي يأتي معقدا ومتداخلا لأن الإنسان بطبعه لا يعرف الثبات, بل هو في تغير مستمر.

- عوائق البحث الاجتماعي: يمكن أن نلخصها كما يلي:

1 - المجتمع يشكله الأفراد وقوتهم ظاهرة نجدها في فعل العظماء والقادة وأهل الفكر والعلم ودورهم في إحداث التغيرات الاجتماعية لذلك نجد من المفارقة أن أعظم التحولات قد قام بها أفراد متميزون.

2 - الظواهر الاجتماعية لا تشبه الأشياء لأنها إنسانية تجدها المشاعر والوجدانيات,يرى تارد Tarde 1843 - 1904 م أن الحادثة الاجتماعية تصدر عن الفئة الخاضعة للقوانين النفسية,وهكذا لا يكون السلوك الصادر يمثل ذلك الضمير الجمعي,بل تحقيق لتوجه عام مشترك ينشأ عن التوافق في التفكير والسلوك الخلقي,قد تقرر فئة ما التظاهر للتعبير عن الرفض أو المطالبة بحق الذي جمعهم ووحد موقفهم هو وجود مصلحة مشتركة,هذا جعل المدرسة الماركسية تعتقد بقوة الاقتصاد وعوامله الفاعلة في تغيير نمط وشكل التفكير عند الفئة الواحدة.

3 - تتداخل الظواهر الاجتماعية مع بعضها البعض وكذلك بعوامل مقترنة تاريخية واجتماعية كانت أو اقتصادية, يجعل تحديدها بعيد المنال يقول ج. س . مل:"إن الظواهر المعقدة والنتائج التي ترجع إلى علل وأسباب متداخلة, لا تصلح أن تكون موضوعا حقيقيا للاستقراء العلمي المبني على الملاحظة والتجربة".

4- الاستقراء العلمي يقوم على التجربة, وهي غير محققة في الدراسات الاجتماعية, ومع ذلك تم استبدالها بمنهج المقارنة وكانت بديلا موفقا وناجحا أتاح فهما عاما وهذا في منطق العلم يعد مقبولا.

ـ اتسعت دائرة البحث الاجتماعي رغم قصر المدة الزمنية,ليفسر تعقيدات الحياة الإنسانية في شقها الاجتماعي,فنجد علم الاجتماع العام الذي يرفع اللبس والغموض عن مسائل وقضايا الاجتماع الإنساني وكذلك مناهجه وطرائق بحثه,ونجد مورفولوجيا الاجتماعية وهي دراسة علمية للفئات الاجتماعية كوجود وكثافة سكانية وطريقة التوزيع ومدى التغيرات,ونجد الفيزيولوجيا الاجتماعية وسيسيولوجية المعرفة,وعلم الاجتماع الصناعي والقروي وغيره كثير.

الرجوع إلى المشكلة وذكر الأهم

العلوم الإنسانية تدرس الإنسان كإنسان,إن كان الماضي فذلك التاريخ وإن كان الحاضر فذلك علم النفس وحياة الإنسان الشعورية وما ينعكس ذلك في سلوكياته واستجاباته,وإن كان المستقبل فذلك يتحدد بوجود الفرد في وسطه وبيئته فهي الضامن لوجوده وبقائه,هذا التقسيم يأخذ الصفة المنطقية فقط لأن وجود الفرد تتكامل فيه الأبعاد والمضامين,فيوجد ذلك الشخص السوي الذي يجانس بين كل هذا وغيره وهكذا نصل إلى النتائج التالية:

1 ـ ضرورة التمييز بين العلم الإنساني والعلوم الإنسانية.

2ـ علمية العلوم الإنسانية وتجاوز العوائق الابستيمولوجية.

3ـ عدم بلوغ الدقة لا يرتد إلى موضوعاتها ,بل إلى قصر المدة الزمنية.

النص:

:"إن فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال,وتشد إليه الركائب والرحال,وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال,وتتنافس فيه الملوك والأقيال ويتساوى في فهمه العلماء والجهال,إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن

الأيـام والدول,والسـوابق مـن القـرون الأول,تنمـو فيهـا أقوال,تضـرب فيهـا الأمثال,وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال,وتؤدي إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال,واتسع للدول فيها النطاق والمجال,وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال,وحان منهم الزوال.
وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها دقيق,وعلم بكيفية الوقائع وأسبابها عميق,فهو لذلك أصيل قي الحكمة عريق,وجدير بأن يعد في علومها وخليق.
وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها, وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها.وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها أو ابتدعوها,وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها,واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها,وأدوها إلينا كما سمعوها,ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها.ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها.
فالتحقيق قليل,وطرق التنقيح في الغالب كليل,والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل,والتقليد عريق في الآدميين وسليل,والتطفل على الفنون عريض وطويل,ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل,والحق لا يقاوم سلطانه,والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه,والناقل إنما هو يملي وينقل,والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل,والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل".
ابن خلدون
الأغفال:من الغفلة وهي السهو والنسيان,الأقيال:من القلة والقصد عامة الناس,تطرف: من الطرفة وهي الحكاية المسلية,الخليقة:الناس والبشر,ترهات:الكلام غير المستقيم,التنقيح:النقد والتمحيص,كليل:ضعيف,تمقل:ضعف.

موضوعات للبحث والمناقشة:
1- هل تعتقد أن الوقائع الإنسانية مقيدة بالموضوعية والاستقراء.
2- :"إن المقارنة منهجية علمية في التاريخ تنوب عن التجربة".
- هذه الأطروحة وإن بدت سليمة فهي تحتاج إلى إبطال.
3- هل الوقائع الاجتماعية قابلة للفهم أم للتفسير.

4ـ قارن بين النزعة الذاتية و الموضوعية في التاريخ.
5ـ قال جون واطسن:"إذا أراد علم النفس أن يكون علما موضوعيا,فيجب أن يتخلى عن فكرة الشعور".
ـ الأطروحة قد تبدو غير سليمة,ومع ذلك الأدلة العلمية تثبتها.
6ـ الوضعية: قال الأول:"هناك سنن مشتركة تسير المجتمعات الإنسانية وتتحكم في مسارها وتحدد مصيرها".
قال الثاني:"الفرد أقوى وأجل من السنن وأكبر من القوانين, لقد وهبه خالقه عقلا مدركا مميزا يعطيه فردية وتميزا".
ـ أكتب مقالة فلسفية تحلل فيها من زاوية منهجية أثر الدراسات السيسيولوجية في حل التعقيدات الاجتماعية رغم التباين والاختلاف الحاصل في المناهج المعتمدة.
:"لقد جعل ابن خلدون التاريخ فلسفة وعبرة لمن أراد أن يعتبر".
ـ على ضوء دراستك للعلوم الإنسانية قدم الحجج والبراهين على صدق الأطروحة.

الإشكالية:فلسفة العلوم
المشكلة:الإبستيمولوجيا وقيمة العلم
I العلم وتغيير نمط الحياة الإنسانية والوصول إلى المادية والشيئية :
الوضعية:يقول الفيلسوف الألماني هيدجر:"إن العلم لا يفكر في ذاته. ويمكن أن نضيف إلى هذا أنه لا يعنى كثيرا بذاكرته ولا يلتفت إلى ماضيه.فديدن العلم

هو أن يصحح ذاته ويجدد نفسه ويتجاوز الوضع القائم,ناهيك عن الماضي. إنه يشحذ فعالياته المنطلقة بصميم الخصائص المنطقية صوب الاختبارية والتكذيب والتصويب,صوب مزيد من التقدم والكشف أي صوب المستقبل دوما".

التفسير: العلم Science,هو الإدراك مطلقا تصورا كان أو تصديقا,ويطلق على التعقل,والقصد المعرفة الحاصلة في الذهن,والعلم هو المعرفة وإن تميز عنها بصفات الوحدة والتعميم والضبط المنهجي,والمعرفة Connaissance,قسمان:

علمية Scientifique وعامية Vulgaire والمعرفة العلمية تأتي في أعلى السلم المعرفي لأنها تحمل التعقل الخالص البعيد عن النوازع الذاتية المحكومة بالأهواء والميول,إلا أن التاريخ الحديث والمعاصر قد أظهر تناقضات كثيرة في هذه المصطلحات وكذلك التعريفات,لأن العلم قد انحاز للأقوياء,فكان سلاح القوي على الضعيف.

أولا:الفلسفة الوضعية ترى أن العلم يرفع الجهل وينقضه.

الوضعية:"ظاهرة العلم أخطر ظواهر الحضارة الإنسانية, وأكثرها تمثيلا إيجابيا لحضور الإنسان ـ الموجود العاقل ـ في هذا الكون. ولئن يمثل العلم الحديث مرحلة شديدة التميز والتوهج من مراحل تطور العلم والعقل والحضارة إجمالا,فإن القرن العشرين أتى في إثرها ليضاعف مردودات العلم وحصائله بمعدلات متصاعدة غير مسبوقة,وبات العلم العامل الفاعل الحاسم في تشكيل العقل والواقع على حد سواء,ومن ثم باتت فلسفة العلم بدورها أهم فروع الفلسفة في القرن العشرين,والمعبرة عن روحه العامة وطبيعة المد العقلي فيه,وحواراته العميقة التي يتلاقى فيها الرأي والرأي الآخر."

فلسفة العلم في القرن العشرين

د. يمنى طريف الخولي

التفسير:إن الإيمان بالعلم ونتائجه من مسلمات المدرسة الفلسفية الوضعية Positivisme,وهي تعتقد أن الكشف عن الماهيات والغايات الأولى غير متاح للعقل الإنساني,وأن أقصى ما يستطيع إدراكه هو فهم الظواهر العامة المتصلة بالكون,ويعتبر الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت 1798Comte - 1857 واضع مبادئ هذه الفلسفة من أهم مؤلفاته دروس في الفلسفة الوضعية ومقال في الروح الوضعي,وعده مؤرخو الفلسفة أنه من كان له الفضل في تأسيس علم الاجتماع.

الوضعية الفلسفية وقداسة العلم: يعتقد أ. كونت أن تفكير الإنسانية مر بثلاث أحوال هي:

1 ـ الحالة اللاهوتية Etat théologique:بحث فيها الإنسان عن المعرفة المطلقة, فساد الاعتقاد أن هناك قوة أعظم مفارقة للطبيعة تقف وراء الحوادث وتفسرها.

2 ـ الحالة الميتافيزيقية Etat métaphysique:وهي مرحلة ثانية يعتقد فيها الإنسان بوجود قوة مقترنة بالظواهر تفسرها,ففسروا سقوط الصخر بأنه يحمل خاصية السقوط وأن الكائن يفنى لأنه يحمل خاصية الفناء وهكذا.

3 ـ الحالة الوضعية Etat positif: عرفها كومت بقوله:" لما أَدْرَكَ الفكر البشري هذه الحالة الوضعية وعرف أنه ليس في مقدوره الحصول على حقائق مطلقة عَدَلَ عن البحث عن مبدأ العالم وغايته, وعن الكشف عن الأسباب الباطنية للأشياء, وانصرف باستخدام الملاحظة والاستدلال معا, على وجه حسن, إلى الكشف عن قوانين الظواهر, أي عن علاقاتها الثابتة التي لا تتغير."
هذا التوجه يبقى عاما ويدفع إلى تأمل فلسفي خاص,إلا أن موقف كونت الذي يوصف عادة بالاجتماعي التطوري يحمل مفارقات عديدة ولعل من أهمها وأكثرها وضوحا أن العلم لا يقود بالضرورة إلى مكتسبات حقيقية,بل يضع الإنسان في حالة من الوهم والاعتقاد بوجود قوة كاذبة تدفع به في كثير من الأحيان إلى خوض الحروب والدخول في مغامرات تاريخية تؤدي في كثير من الأحيان إلى سقوط دول وانهيار حضارات مع العلم أن التقسيم الذي قدمه كونت لا أساس له من الصحة التاريخية فقد نجد كل هذه التناقضات في المجتمع بل والشخص الواحد لقد كان أبن سينا مثلا يحمل كل هذه المتناقضات فقد كان متأثرا بالفلسفات الباطنية وهي تفكير لاهوتي خالص وكان فيلسوفا باحثا في القضايا الميتافيزيقية بالإضافة إلى تميزه ونبوغه في الطب.

ثانيا:العلم حصن الإنسان وملاذه.

الوضعية: قال تعالى في محكم تنزيله: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (18) سورة آل عمران.

قال تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (247) سورة البقرة.

قال تعالى: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (18) سورة آل عمران.

قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ } (42) سورة النمل.

التفسير:قد يطلق لفظ العلم على علم بعينه له موضوعاته ومناهجه ,كأن نقول علم الفقه وعلم التفسير,بدلالة اللفظ العام,ويطلق كذلك على ما

تعارف الناس على تعلمه وتعليمه كقولنا علم الفلك والفيزياء مثلا,وفي جميع الأحوال هو يعبر عن قيمة فعلية ندركها بالتعلم والكسب مع بذل الجهد والتحلي بالصبر.

ـ تيسير حياة الناس يتحقق إذا فقه الإنسان قواعد العلم,والمبادئ التي ترفعه كالتحصيل والطلب,وبذل الجهد المادي والمعنوي ويتجلى ذلك واضحا في الإقبال على البحث العلمي والأخذ بأدواته,لأن مقياس التقدم والتراجع يقترن بنسب تطوير المناهج والموضوعات العلمية بما يتلاءم مع نهضة المجتمع وتقدمه.

II إشكاليات العلم ونشأة فلسفة العلوم وتحديات الابستيمولوجية المعاصرة:

الوضعية: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ} (205) سورة البقرة.

قال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (77) سورة القصص.

قال تعالى: {فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ} (116) سورة هود.

التفسير:إن من يستقري التاريخ يكتشف أن العلم يبني الحضارات وكذلك يكون سببا في سقوطها وانهيارها, لأن العلم إن خالف مساره كان فسادا ووبالا على أصحابه قبل أعدائه,وهذا ما عجل في التاريخ المعاصر بنشأة مباحث فلسفية جديدة تم الاتفاق على تسميتها بالمشكلات الابستيمولوجية.

ـ المسائل الابستيمولوجية ومآخذ العلم :اللفظ دخيل على اللغة العربية في اللغة الفرنسية Epistémologie,وهي كلمة يونانية تنحل إلى كلمتين هما: Epistème ومن معانيها:العلم والمعرفة,Logos ومن معانيه النظرية والدراسة والنقد. عرفها لالاند في قاموسه الفلسفي بقوله:"الدراسة النقدية للمبادئ والفروض والنتائج العلمية الهادفة إلى بيان أصلها المنطقي لا النفسي وقيمتها وأهميتها الموضوعية".

ومع تزايد إشكاليات العلم كالنزوع للمادية والتخلي عن فلسفة القيم وكذلك مواجهة انحرافات في مسار الحضارة المعاصرة,وأكثر ما شد الانتباه ما أفرزته الحربين العالميتين الأولى والثانية من رعب نووي وصراع إمبراطوريات استعمارية,وتهالك أقوياء العالم على استنزاف الموارد الطبيعية مما أحدث أزمة طاقة عالمية وانهيار فضيع في الأسواق المالية العالمية ينذر بأحداث جسيمة إذا لم يعد الإنسان إلى رشده ويخرج نفسه من سجن المادية والذاتية التي تكاد أن

تقتله وتبدده في تاريخه المعاصر المشحون بالمظلم وإستقواء الأقوياء بعجز الضعفاء وقلة حيلتهم.

ـ من الصعوبة أن نحصر الفكر الإبستيمولوجي المعاصر في موقف ورأي ونظرية,لأن الأزمات العملية للعلم في صورة شيوع النوازع المادية والإستقواء بالعلم لشن الحروب وافتعال الأزمات العالمية لتبرير الفساد تتزايد ,بالإضافة لإعصار الاقتصاد الذي تجلى في أزمة الغذاء وانهيار المفاهيم المالية والقوانين التي تحكمها ,وهنا نتذكر مقولة غاستون باشلار:"العقل مضطر إلى تأسيس نفسه من جديد كلما دعت الحاجة إلى ذلك عن طريق نفي ذاته." وهذا التأسيس يحتاج إلى قطيعة مع الأفكار الماورائية,وضرورة التحلي بالموضوعية والتجرد من الذاتية,ويشير رجاء غار ودي إلى معادلة إبستيمولوجية أساسها الحوار بين الحضارات للوقوف دون الحروب,وفي الفكر العربي المعاصر يقدم المفكر المغربي الجابري عنوانا إبستيمولوجيا مسلمته إعادة النظر من زاوية نقدية بنائية في بنية العقل العربي لتخليصه من شوائب عصور الانحطاط.

الرجوع إلى المشكلة وذكر الأهم

العلم والمعرفة غاية إنسانية مشروعة منذ الأزل,وحرصت الديانات والفلسفات على بحثه في نفوس الأفراد والجماعات,لأن نتائجه باهرة,يلمسها كل عاقل في واقع الفرد والجماعة,إلا أن الأزمنة الحديثة ورغم الفلسفة الوضعية وضجيجها في بداية القرن العشرين,إلا أن الحروب والصراع على النفوذ قد بدد هذه النزعة التفاؤلية وكان البديل التشاؤم من المستقبل والمصير المنتظر,فتحرك جهد الفلاسفة لوضع مباحث إبستيمولوجية يكون من أهدافها الأولى وضع العلم على محك النقد البناء والسعي إلى توجيهه الوجهة السليمة التي تلبي حاجة الإنسان في كل زمان ومكان وهي البحث وتحقيق ذلك العالم الذي يتعايش فيه الجميع رغم التناقضات والاختلافات,لأن التناقض والتباين سنن كونية لا نمتلك تغييرها ولا تبديلها ويبقى الأهم هو:

1 ـ العلم ميراث الإنسانية وسعادتها.
2 ـ العلم يعكس نقائص الإنسان ويكشف أخطاءه في التاريخ.
3 ـ الفلسفة الابستيمولوجية واستعادة القيم .

النص

:" إن العلم في الجملة, يهذب العقل ويعلمه. ومن واجب القول أن يطيع العلم أي العلم الأكثر تطورا العلم التطوري. وليس للعقل الحق في تعظيم تجربة مباشرة

وتكبيرها, بل على العكس من ذلك من واجبه أن يتوازن مع التجربة المبنية بغنى شديد, وفي كل الظروف, لا بد للفوري المباشر من إخلاء المكان أمام المبني. وغالبا ما يكرر" ديتوش": إذا كان علم الحساب قد تكشف, من خلال تطويرات بعيدة, أنه متناقض, فمن الممكن إصلاح العقل لإزالة التناقض, والحفاظ مع ذلك, على سلامة علم الحساب. لقد قدم علم الحساب من البراهين على الفعالية والدقة والتماسك ما يكفي بالقول بعدم إمكان الحلم بالتخلي عن نظامه وانتظامه ففي مواجهة تناقض مفاجئ, وبكلام أدق في مواجهة الضرورة المفاجئة لاستعمال تناقضي لعلم الحساب, قد تطرح مسألة, لا علم الحساب... إن علم الحساب غير مؤسس على عقل. إنما عقيدة العقل هي المؤسسة على علم الحسابي الأولي. فقبل تعلم العد لم أكن أعرف قط ما هو العقل. وبوجه عام يتوجب على العقل أن يخضع لشروط العلم. يجب أن يتعبا ويتحرك حول توليفات تتوافق مع جدليات العلم. فماذا يمكن لوظيفة ما أن تكون بدون فرص العمل ؟ وماذا يمكن للعقل أن يكون بدون فرص التعقل والتدبر العقلي ؟ إذن, يجب عل تهذيب العقل أن يفيد من كل فرص التعقل. يجب عليه البحث عن تنوع المعاقلات أو بكلام أفضل عن تباينات التعقل, والواقع أن تباينات التعقل هي للآن كثيرة في علوم الهندسة والفيزياء, وهي كلها متكافلة مع جدل الأسس العقلية, مع نشاط فلسفة الرَفْضِ, يجب تقبل العبرة من ذلك كله و ومرة أخرى يتوجب على العقل أن يخضع للعلم. فالهندسة والفيزياء وعلم الحساب علوم كلها, وعقيدة اللاهوت القائلة بعقل مطلق وثابت ما هي إلا فلسفة".

غاستون باشلار

موضوعات للمناقشة والتحليل

1- هل تجد في العلم ونتائجه حلا للأزمات الإنسانية المتزايدة والمتعاقبة.

2ـ قال أحد العلماء :"العيب ليس في العلم بل في إستعملاته."
ـ هذه المقولة مهما بدت سليمة إلا أن الواقع العملي يكذبها.
3ـ :"الفلسفة المعاصرة هدفها وغايتها تصحيح مسار العلم".
ـ قدم الأدلة والحجج التي تثبت صدق الأطروحة.
4ـ الموقف الإبستيمولوجي فلسفة تنظر للواقع بمنظار المثال والكمال.
5ـ الوضعية في تجمع لأنصاره تكلم أحد منظري منظمة السلام الأخضر فقال:"إن تحدي اليوم هو العلم وغد نتائجه وبعد غد نحصد كوارثه,إن الميكروبات الإلكترونية تغزو عقولنا,والفيروسات السمعية البصرية تجتاح خلايا أبصارنا ومسامعنا".
ـ أكتب مقالة فلسفية تبين فيها مفاسد العلم وآثاره السيئة.

الإشكالية: الفن والتصوف بين النسبي والمطلق.
المشكلة: الآثار الفنية والتجربة الذوقية.

I التجربة الذوقية الجمالية إنسانية:

الوضعية:" قالت خديجة لصديقتها: البارحة تابعت وبشغف شديد مسابقة اختيار ملكة جمال العالم, وحلمت أنني مكانها أحضا بالتكريم والتقدير.
قالت الصديقة: حينئذ ستكتشفين أنك ملكة قبح العالم.
قالت خديجة: إنها الغيرة والحسد فقط.
قالت الصديقة: لا والله إن الجمال القائم على المحاكاة والمقاييس الذوقية الإنسانية كمقياس الطول والحجم وشدة الأنف وانخفاض الحاجب لا أفضله.
قالت خديجة: يعني أن المتوجة كملكة جمال في نظرك فاقدة للجمال.
قالت الصديقة: الجمال والقبح معيار نسبي يضعه وهم الإنسان وخياله, أريد أن أسألك : هل المرأة التي تعيش في أدغال إفريقيا أو على ضفاف الأمازون خلقها الله قبيحة؟
قالت خديجة: هاأنا أستمع لنظرية جديدة في علم الجمال.
قالت الصديقة: إن السيدة فاطمة الزهراء صاحبة المكان العلي والمقام الجلي, لبرها وإحسانها وتواضعها كانت إذا جلست بين النساء لم تعرف لتواضعها.
قالت خديجة: نعم الجمال جمال النفس والإيمان, إنه الجمال الذي عرفه السلف والخلف, إنه جمال الجدات والأمهات والأخوات".
التفسير: علم الجمال Esthétique يبحث في شروط الجمال ومقاييسه ونظرياته وكذلك يبحث في الأذواق الفنية وفي الحكم على الآثار الفنية, عرف الجرجاني الجمال بقوله:" نعوت الرحمة والألطاف من الحضرة الإلهية والجمال من الصفات ما يتعلق بالرضا واللطف, وأما الجلال فهو نعوت القهر من الحضرة الإلهية والجلال من الصفات ما يتعلق بالقهر والغضب". مسلمة التعريف أن الله جميل يحب الجمال.

## أولا: الذوق الجمالي تجربة إنسانية خالصة.

إن الزائر لمنطقة الطاسيلي يكتشف إبداع الجزائر, لأن الجمال يحصل بالعقل, لما يؤلف بين جملة تصورات تجريبية في المجال الإدراكي بطريقة خاصة حول هذا المضمون إلى صورة فنية, اليد التي نقشت على صخور الطاسيلي موسم الصيد والحياة اليومية كانت تعي عناصر الجمال في قيمه البسيطة الصادرة عن النفس المفطورة على القيم ومهما تجلى العمل بسيطا فهو بعفويته يصدر إشارات مفصحة عن لغة خافتة تقول أن هنالك رسالة أعمق من صورة الحيوان أو حركة تأهب الصياد لاقتناص فريسته لذلك نجد في

الجميل عنصرين, المجال الإدراكي وهو نقل الصورة, والمجال العقلي وهو الرسالة المقصودة لذاتها.

1- الجمال والجلال إبداع الإنسان:عرف هربرت ريد الجمال بقوله:" وحدة للعلاقات الشكلية بين الأشياء التي تدركها حواسنا". لذلك اعتقد قدماء اليونان أن الإله يجمع بين الجماليات البشرية الكاملة, وأنه المثال المتكامل السامي للإنسانية , لذلك تعلقت الدراسات الجمالية القديمة بالخوارق والمثاليات ويتجلى ذلك في الملاحم الأسطورية, أما في تاريخنا الحديث والمعاصر فأضحى الجمال مقترنا بالتحولات الاجتماعية والاكتشافات العلمية, أما لفظ الجلال فهو يعني في اللغة العظمة والكبرياء والجليل هو المتصف بالجلال بمعنى الرائع المتميز, الذي يأخذ بمجامع العقول.

2- يتجلى الجمال والجلال في الانفعال والتعبير:

وضعية:" أرسل معاوية - رضي الله عنه - إلى الأحنف بن قيس, فقال: يا أبا بحر ما تقول في الولد؟

- قال: ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا, ونحن لهم أرض ذليلة, وسماء ظليلة, فإن طلبوا فأعطهم, وإن غضبوا فأرضهم, يمنحوك ودهم, ويحبوك جهدهم, ولا تكن عليهم ثقيلا, فيملوا حياتك, ويحبوا وفاتك".

التفسير: هناك اقتران بين الحب والجمال,إن أجمل ما عند الأم أبناءها,وأجمل الأشياء عندنا هي التي نحبها,ولعل أعظمها وأجلها محبة الله تبارك وتعالى يقول ابن القيم الجوزية:"ليس للقلب والروح ألذ ولا أطيب,ولا أحلى ولا أنعم من محبة الله والإقبال عليه,وعبادته وحده,وقرة العين به,والأنس بقربه,والشوق إلى لقائه ورؤيته وإن ذرة من هذه اللذة لا يعدل بأمثال الجبال من لذات الدنيا".



ثانيا: المنتج التعبيري في الفن.

إن الوضعية الصورة تبين فلسفة المحاكاة في الرسم, الفنان يحدث ذلك الانعكاس المباشر مع الواقع فيرصده ويحققه, ويعيد تشكيليه بأبعاد إنسانية أخرى, وهذه ساهمت في تأسيس ما يعرف بالمدارس الكلاسيكية في الفن والأدب وهذا له وضعه وقيمته, لأن أسن ما كتب مثلا في الآداب العالمية والعربية,لذلك حضي باهتمام النقاد على مر التاريخ وصنفت, على أنها أهم ما تركه الإنسان في حياته اليومية العادية, أو ما صنف على أنه إرث عالمي يستحق العناية والاهتمام.

1- نظرية المحاكاة في علم الجمال:

هي من أقدم النظريات في الفن وتظهر جلية في الفكر الفلسفي اليوناني ونجدها في الأفلاطونية وغيرها,ولقد تطورت بتطور تاريخ الفن ولها وجود في الفنون المعاصرة يقول الفنان دافنشي:"أنا المحاكي الوحيد لكل الأعمال المرئية في الطبيعة". إنه يمتلك قدرة هائلة على التقليد وبناء الصورة منقولة من الواقع,يقول المفكر الفرنسي ديدارو:"إن أروع لوحة فنية ليست إلا تقليدا ضعيفا للوحة الطبيعة..إن الطبيعة هي أرقى من الفن,ولا يستطيع الفنان أن يبدع إنتاجا يكون بغناه وسحر ألوانه وبنسبه المتنوعة أن يفوق الطبيعة". كذلك نجد في القرن التاسع عشر ما يعرف بالفن الانطباعي وهو تعبير دقيق عن تألق الضوء على السطوح الملونة,هذه المدرسة كان لها أثر على الآداب يقول شكسبير:"إن غاية التمثيل والمحاكاة كانت وستظل هي حمل مرآة أمام الطبيعة". نجد أن لفظ المرآة ورد عند أفلاطون في الجمهورية فهو يقول:"إن الشاعر أو المصور إلى جانب إنتاجه لكل أنواع الأشياء الصناعية يستطيع أن يبدع النباتات والحيوانات ونفسه أيضا والأرض والسماء والأجرام السماوية وكل ما في جوف الأرض في العالم الأدنى .. وسبيله إلى ذلك هو أن يأخذ المرآة ويديرها في جميع الاتجاهات". ومعروف في تاريخ علم الجمال أن أرسطو قد وضع ما يعرف بنظرية محاكاة الجوهر فهو يقول:" ليس من مهمة الشاعر أن يروي ما حدث". وبين ذلك بقوله:" الشعر شيء أقرب إلى الروح الفلسفية من التاريخ, وأرفع منه, إذ أن الشعر يتجه إلى التعبير عن الكلي بينما التاريخ يعبر عن الجزئي". فهو يطالب من المبدع أن يُضمن عمله تجربته الإنسانية.

إن القول بأن الإبداع الفني يكون بالتقليد والمحاكاة هو قول بسيط, لأن جمال الطبيعة كامن في ماهيته ووجوده, والإبداع الحقيقي هو أثر الفنان في العمل وقدرته على بناء تصورات, ورسم ظلال جديدة.

2- الحدسية في علم الجمال:

نظرية برغسون: لم يكتب كتابا خاصا بالفن, مع ذكره الشديد لمشكلات الجماعية, لأنه نظر للعالم والنفس الإنسانية نظرة فيلسوف مدرك للقيم الجماعية فلما أراد أن يقيم الفكر الجمالي عند رافسون قال:" إن فلسفة السيد رافسون كلها مشتقة من الفكرة القائلة: الفن ميتافيزيقا مصورة, وأنها عبادة عن تفكير في الفن, وأن نفس الوجدان الذي يستخدم استخداما متباينا هو الذي يخلق الفيلسوف العميق والفنان العظيم". وهو يقاسمه الموقف ويذكر فلسفته في الفن قائلا:" الفن الحق يهدف إلى تصوير فردية النموذج, ولهذا فهو يبحث خلف الخطوط التي نراها عن الحركة التي لا نراها أصلا, ويبحث خلف الحركة نفسها عن شيء هو أكثر سرية وغموضا". هكذا نكتشف في نظريته المعرفة الجماعية باعتبارها مقدمة للمعرفة الميتافيزيقية , ونموذجا لها, ولتبسيط موقفه نرى أن العالم المادي الذي ندركه بحواسنا لا يتحقق كفعل فني إلا لما نسقط عليه عالم

الحدس والشعور, إن الفنان الذي يختص برسم الطبيعة الميتة يبدع لما يضع أمام الناظر لوحة معبرة عن قطع فاكهة متناثرة, إن المشهد الحدسي هنا الإسقاط الذي يرتسم كظلال على الصورة المدركة وحتى لا نغوص في الحالة الشعورية ونفقدها وجودها وصدقها, فصل عالم الجمال الإيطالي بنديتو كروتشه بين المنطق والحدس لأن القاسم المشترك بينهما هو التمييز, لأن الجمال يتقدمه التعبير وهذا خاضع بالضرورة بقوة العقل, والتعبير يتميز بخاصية الإبداع وهي القدرة على البناء ورسم الظلال الجمالية, إن المتذوق للشعر العربي القديم يحتاج إلى إعمال العقل حتى يسافر بين المعاني والكلمات, فيغص في المعنى والدلالة, فيفقه مثلا الوقوف على الأطلال, ويعايش الشاعر في مدحه ورثائه.

إن فلسفة الحدث تندرج ضمن التحليلات الفلسفية, مع العلم أن إمكانية التمييز بين العقل والشعور غير متاحة, إن الحالة الشعورية هي تجليات النفس في الواقع, وعالم النفس أوسع من أن يحاط بصورة فنية جاءت كرسم أو قصيدة.

II الإبداع كحالة إنسانية هل نفسره بقوة العقل أم عمق الخبرة أم شدة الممارسة؟

الوضعية:"إن العالم انبهر بشخصية مبدعة هي ستيفين هوكنج Stephen hawking, وهو يملأ الدنيا علما وثقافة ولد سنة 1942م ببريطانيا يعاني إعاقة شديدة حيث فقد القدرة في التحكم في أعضائه, فهو يتحرك على كرسي ذي عجلات ويستخدم الحاسوب في الكتابة ومحادثة الآخرين قال يوما:"إذا استعطت أن تفهم كيف يعمل الكون, فستتمكن من السيطرة عليه". وهو الآن أشهر علماء الفيزياء وأكثرهم شهرة بعد أينشتاين, اشتغل في مجال النظرية النسبية,وبحث ظاهرة الثقوب السوداء الفلكية,ثم قام بمقاربة علمية بين النسبية والكوانتية,وأجمل ما كتب "تاريخ مقتضب للزمن من الانفجار العظيم إلى الثقوب السوداء",وصف المؤلف كتابه بأنه ألحان الكون وترانيم الزمن وموسيقى العالم في فكر الإنسان الفيزيائي ومازال يلقى اهتمام الباحثين وتشد شخصيته العالم بأسره".

التفسير:لا نستطيع أبدا أن نضع حدودا مادية بين صفات الإبداع والجمال, ولا نستطيع أن نقارب بين الجلال والإلهام, ومن الصعوبة بمكان أن نقول أن مصدر هذا الإعجاز هو الإلهام الصادر عن العقل والتجربة الحسية التي تنضبط بها عوامل الممارسة والخبرة, إن الشخصية المبدعة المدركة لعظمة الجمال تتضافر فيها عوامل متعددة لا نمتلك تحديد معالمها يقول العالم الفيزيولوجي ك.بيرنارد:"ليس لدينا قاعدة لتوليد فكرة صحيحة في ذهن العالم".

أولا: الإلهام جمال النفس وقوتها.

الوضعية:"قال أفلاطون في محاورة أينون لما انشغل بالحديث عن إلياذة هوميروس وصرح بأن العبقرية إلهام: إن الشاعر كائن أثيري مقدس ذو

جناحان,لا يمكن أن يبتكر قبل أن يلهم فيفقد صوابه وعقله ومادام الإنسان يحتفظ بعقله فأنه لا يستطيع أن ينظم الشعر".

التفسير: بدأ أفلاطون حياته بقرض الشعر ولما وضع فلسفته المثالية رأى أن الشعراء يتلقون شعرهم في صورة إلهام مصدره الإله وهذا يفقدهم الصواب ويبعد عنهم القدرة على التمييز وإعمال العقل,وهذا يذكرنا بفلسفة الفن القديمة عند العرب الذين اعتقدوا بوجود ما يعرف بجن الشعر وذكروا في ذلك أساطير وحكايات من نسج الوهم والخيال. دار جدلا واسعا قديما وحديثا بين الفلاسفة وعلماء النفس حول صفة الإلهام ووضعه في النفس البشرية,مع العلم أن هناك إشارات تدل على ذلك: حدث ابن سينا قال:" وكنت أرجع بالليل إلى داري وأضع السراج بين يدي وأشتغل بالقراءة والكتابة, فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف, عدلت إلى شرب قدح من الشراب ريثما تعود لي قوتي, ثم أرجع إلى القراءة ومتى أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها حتى أن كثيرا منها انفتح لي وجوهها". وفي التاريخ الحديث مقولات مشابهة يقول العالم جوس Gauss :" النتيجة عندي ولكني لا أعرف كيف حصلت عليها". ثم قال:" وأخيرا منذ يومين نجحت لأنني بذلت جهودا مضنية, ولكن بهبة من الله, كأن إشراقا حدث فجأة, فحُل اللغز". قال باستور:" أجل هذا صحيح لقد أسلمت نفسي حرا طليقا بين الأفكار التي لا يمكن البرهنة عليها بجلاء, تلك هي طريقتي في النظر إلى الأمور".

الإلهام لحظة عابرة وهو لا ينفصل عن الجهد, لذلك من يشكك في قيمته ويؤكد على أهمية الإرادة والعقل قال أديسون:" الإبداع فيه واحد في المائة إلهام, والباقي جهد وعرق يتصبب". وصف ألفريد نوبل طريقته في العمل قائلا:" أعمل لفترات متقطعة وأترك الموضوع, أشعر بأنني سأنجح في النهاية".

ثانيا: العقل وصناعة الإبداع.

الوضعية:" الجهد والبحث وكذلك العناء يطبع حياة العالم المبدع, الناظر إلى جمال لمادة وتناسق قوانينها, قام العالم بكيرل Becquerel , بدراسة واسعة عن النشاط الإشعاعي الصادر عن إشعاعات اليورانيوم الخام, وبعد عمل مضني ترك حل هذه المشكلة إلى السيدة كوري وزوجها, فتابعا أعماله ووصل إلى اكتشاف البلونيوم والراديوم".

التفسير: العلم والمعرفة بناء, وما يحدث للعلماء وغيرهم من صور توصف بالإلهام هي نتيجة طبيعية لإعمال الفكر في قضايا المعرفة.

إن أعظم الاكتشافات جاءت بالجهد المضني قاما العالمان ف. بانت نج .F Banting وج. ماكلويد Acleod بأعمال عظيمة للوصول لاكتشاف الأنسولين وتاريخ العلم يقدر جهد فلمنج في اكتشاف مادة البنسلين, ولقد بقي العالم اينشتاين سبع سنوات في بحث متصل حتى تيسر له وضع نظرية النسبية,

والأمر نفسه نجده في العالم الأدب وضع الشاعر الإنجليزي المعاصر إليوت نظرية نقدية هامة اسمها "المعادل الموضوعي" نفى فيها مبدأ الإلهام وقرر حقيقة العقل والإرادة, اعتقد وبشكل قطعي بعدد وجود حالة إلهام حالة إلهام وإن كان هناك إبداع فهو يتم بالعقل والإرادة.

من الباحثين من أراد أن يقف وسطا بين نظريتي الإلهام والعقل يقول دولا كروا H. Delacroix :"إن للإلهام وجوده ولكنه لا يكفي لتفسير الإبداع وليست ميزة الفنان أن يقف مسلوب الإرادة أمام وابل الإلهام, بل لعل ميزته الكبرى هو أنه يستطيع أن يمسك بهذا الشروق ويتأمله".

ثالثا: صناعة الإبداع.

نظرية في صناعة الإبداع:في سنة 1959 م, عرفت الدراسات السيكولوجية ما يعرف بنظرية هارس Harris, وهي دراسة علمية جعلت الإبداع منهجية يمكن تلخيصها كما يلي:

1 ـ وجود الحاجة إلى حل مشكلة.
2 ـ جمع المعلومات.
3 ـ التفكير في المشكلة.
4 ـ تخيل الحلول.
5 ـ تحقيق الحل التجريبي.
6 ـ تنفيذ الأفكار.

ـ وبعد الدراسة قرر أن العبقرية كامنة في قدرة العقل على الانتقال السريع من الخطوة الأولى وهي الحاجة إلى الخطوة الرابعة وهي تخيل الحل,وتبقى هذه الحلول مجرد فرضيات صورية تفتقر إلى الحجة العلمية المثبتة.

III الإبداع يتجاوز الذات إلى الموضوع :

الوضعية:"على امتداد هذا الوطن الحبيب,الفن والإبداع يسكن جوانبه وكذلك زواياه تعدد وتنوع هائل في فنونه الشعبية,نجد إتلاف الأصوات والألسنة أنغام تجذب إليها السامعين,يرى أحد الباحثين بالتراث الفني أن الفرنسي يفتخر ويعتز لأنه يمتلك كذا نوع من الجبن,ونسي أن الكسكسى يطهى في هذا الوطن بطرق متنوعة تحتاج إلى موسوعة حتى نضبط أنواعه ونحدد أشكاله الجميلة وطرق تقديمه الرائعة,ويرى آخر وهو في لحظة حلم جمالي,لو أن المرأة الجزائرية قررت في لحظة تاريخية أن تلزم نفسها بلباسها الأصيل,لاكتشفنا باقة متنوعة يعجز الأديب والشاعر عن وصفها".

التفسير: يتجلى الإبداع الجمالي في زرابي الهضاب العليا وأزياء السواحل وكرم الضيافة في الصحراء,الجمال ليس مجرد نظريات تدرس في معهد الفنون الجميلة إنه واقع نشاهده ونلمسه بحواسنا وندركه بعقولنا,وتحتضنه قلوبنا,ونعتز

به ونتطاول به على الآخر,لأنه الهوية والانتماء,والبعد الذي نجد فيه الماضي والحاضر وكذلك المستقبل.
تنشغل الفلسفات والدراسات الاجتماعية المعاصرة بتفسير وفهم هذه العبارة"الفن العظيم,تنتجه الجماعة العظيمة",وهذا يفسر اندفاع الدول إلى تسجيل وإحياء تراثها الشعبي كإعادة الاعتبار للهجاتها وألسنتها المنطوقة,لأنها كلها روافد ثقافية تصب في مجرى التراث والثقافة الوطنية,مع ضرورة العودة إلى الماضي واسترجاع قداسة التراث الشعبي,وتوثيق الذاكرة الشفوية بالتسجيل السمعي والبصري كمعرفة رقص الفلاحين وأهازيج الفلاحات والتصوير البدائي.

أولا: إبداع الفرد من إبداع الجماعة.

الوضعية:"بعد زيارة خديجة للمعرض الوطني للتراث الشعبي انبهرت بما شاهدت من تنوع عظيم وهائل في الأذواق,وأن لغة التراث متعددة بتعدد البيئة والوسط وأمام اتساع المعرض قررت الاكتفاء بقسم الزربية التراثية,واكتشفت عالما آخر له لغته وأساليبه الرمزية,فالألوان والأشكال كله لغة عبرت بها المرأة الجزائرية الصانعة المبدعة,عما يختلج في نفسها من مشاعر الحب والكره وكذلك السعادة والشقاء,وتألمت كيف أن ربات البيوت في أيامنا هذه قد فقدوا هذه المواهب,وأضحى همهم الأول بفعل العولمة تقليد الآخر,حتى أن من يدخل شقة في العاصمة أو وهران مثلا لا يميزها عن غيرها في ستوكهولم وفيينا".

التفسير: القرن التاسع عشر أعاد لفكرة الجماعة مكانتها بعد أزمنة طويلة من تأليه الفرد, وهذا من نتائج الثورة الفرنسية التي ساهمت في بناء فكر يهتم بالمعاناة ونلمح ذلك مثلا في الرومانسية الكلاسيكية.

النظرية الاجتماعية: تراث وميراث الشعب هو الأداة الكبرى التي توسع دائرة الإبداع فهو في السياسة يمثل البطولة,وفي مجال الفنون الجميلة يظهر في الملاحم كملحمة هوميروس اليونانية,أو ملحمة سيف بن ذي يزن في التراث العربي,أو إلياذة الجزائر الخالدة خلود المبدع مفدي زكرياء ـ رحمه الله ـ ومن يدرس الأدب العربي يجد نماذج رائعة,كشعر الحماسة وأيام العرب,والجمال المشترك قد يظهر واضحا في الفن الشعبي "الفلكلور" ويتجلى في صيغه الرمزية,الفن الشعبي في مناطق الهقار يعكس روح الكبرياء والعزة لدى الرجل,والكرامة والشرف لدى المرأة,هذه الأعمال لا يحتكم فيها إلى سلم فني أو نظرية في علم الجمال,وإنما تترك للأثر الواقع في النفس وهذا يتشكل بالبداهة والعفوية,وبشكل عام يمكن أن نحدد الموروث الفني الاجتماعي بالعوامل التالية:
1 ـ مؤثرات الجماعة والطبيعة والجنس المشترك.
2 ـ إبداع الصنع ورسم التقاليد في ظلال التراث المشترك.

3 ـ الوعي وإدراك قيمة الجمال لدى الجماعة.

ثانيا: الجمال جمال الخالق في مخلوقاته.

الوضعية: الله جميل يحب الجمال, وأروعه وأكبره أودعه في قلب الإنسان ألا وهو البيان.

يقول طرفة بن العبد:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

يقول عنترة بن شداد:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المبتسم

يصل التعبير الجمالي إلى قمة التعبير العفوي والساذج يقول الشاعر الجاهلي المنخل اليشكري:

وأحبها,وتحبني ويحب ناقتها بعيري

التفسير: بين العقيد والتبسيط يبقى الجمال واحدا, هذا إبداع المخلوق فكيف يكون إبداع وجلال الخالق, يقول تعالى في محكم تنزيله: {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ} (6) سورة النحل,هذا بعض جمال الدنيا,أما جمال الآخرة فلا عين رأت ولا خطر على قلب بشر يقول تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (26) سورة يونس.

الجمال في الفكر الإسلامي وموقف الأمة من التراث العالمي:

جعل الإسلام العقل هو المقياس والسلم الجمالي,في البداية سادت حالة من الشك والترقب لما اطلع المسلمون على الميراث العالمي وكيف أنه انطبع بالوثنية التي جسدها النحت خاصة في التراث اليوناني فلم يقلدوا,ويشهد التاريخ على أنهم حافظوا على ثقافة الغير وإن كان مندثرا, وخير مثال المحافظة على ميراث الحضارة الفرعونية,يرى المفكر الإسلامي المعاصر محمد قطب أن الحس والذهن يشتركان في تذوق الجمال,لذلك نجد أن الفنان المسلم يتجنب تصوير الإنسان,وإنما يعبر بفنه عن جوانب الحياة الجمالية وفيها غنى,فالعبقرية تسجل جمالية الكون والحياة وهذا العالم الذي لا تنقطع عجائبه.

الرجوع إلى المشكلة وذكر الأهم

لا قيمة للإنسان إلا في آثاره وميراثه الفني,لأن من يستقري التاريخ ويطلع على الحضارة العالمية سيجد منتجا فنيا عبر الإنسان عن مشاعره وإحساساته,وترك رسائل فنية للأجيال المتعاقبة,وأهم ما يستوقف الدارس التراث الشعبي أي لغة الفلكلور وهو اللغة الشفهية الرمزية المعبرة عن الحب واليأس والعطاء,ونصل إلى النتائج التالية:

1 ـ الذوق الجمالي تجربة إنسانية.

2 ـ الذوق الجمالي يتحدد بالإلهام وإرادة العقل.
3 ـ الجمال معرفة تكتسب بالحدس والإرادة.
4 ـ ميراث المجتمع الإبداعي لغة ورمز.
5 ـ الجمال صورة الكمال والجلال وعظمة الخالق في المخلوق.

النص

:" إن الأفكار بصفتها روح الأعمال التي تعبر عنها أو تسير بوحيها, إنما تتولد من الصور المحسة الموجودة في الإطار الاجتماعي, والتي تنعكس في نفس من

يغش فيه.وهنا تصبح صورا معنوية يصدر عنها تفكيره. فالجمال الموجود في الإطار الذي يشتمل على ألوان وأصوات وروائح وحركات وأشكال, يوحي للإنسان بأفكاره ويطبعها بطابعه الخاص من الذوق الجميل, أو السماجة القبيحة. فبالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد, يجد الإنسان في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل, وتوخيا للكريم من العادات. ولا شك في أن للجمال أهمية اجتماعية هامة, إذا ما اعتبرناه المنبع الذي تنبع منه الأفكار, وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال الفرد في المجتمع. والواقع أن أزهد الأعمال ـ في نظرنا ـ له صلة كبرى بالجمال, فالشيء الواحد قد يختلف تأثيره في المجتمع باختلاف صورته التي تنطق بالجمال, أو تنضح بالقبح. ونحن نرى أثر تلك الصورة في تفكير الإنسان وفي عمله وفي السياسة التي يرسمها لنفسه. ولعل من الواضح لكل إنسان أننا أصبحنا اليوم نفقد ذوق الجمال,ولو أنه كان موجودا في ثقافتنا,إذن لسخرناه لحل مشكلات جزئية تكون في مجموعها جانبا من حياة الإنسان..

وعليه, فإن فكرة المحيط تدخل في كل عمل فردي أو جماعي في وسط متحضر, ولكنها تدخل ضمنا فقط لا على وجه التحديد الذي نريد القيام به هنا حين نتحدث عن أحد المقومات الثقافة وهو الجمال. والإطار الحضاري بكل محتوياته متصل بذوق الجمال,بل أن الجمال هو الإطار الذي تتكون أية حضارة,فينبغي أن نلاحظه في أنفسنا".

مالك ابن نبي

موضوعات للتحليل:



ـ :"التراث هو ذلك الموروث الشعبي الجمالي,هو الذاكرة الشفوية التي تحلق بعيدا في عالم الرمز والدلالة الوجدانية,هذا النمط من الرقص ألمغاربي الذي يمزج الثقافات العربية و الأمازيغية وكذلك الإفريقية,إنه أقوى من التعبير,إنه أهازيج الروح المحلقة في عبق التاريخ وشذاه".
ـ ابحث عن دلالة المعنى وجماله, في موسوعة التراث الشعبي الشفوي وأكتب مقالة فلسفية تستقري فيها التجربة الذوقية الجمالية.
2ـ :"الفنان المبدع هو إنسان يدير مرآة فيلتقط صور الكون والحياة,فيصنع عالمه عالم الجمال والجلال".
ـ على ضوء نظريات علم الجمال, أثبت صدق المحاكاة وبين أهميتها في نشأة المدارس الفنية الكلاسيكية.
3ـ :"الجمال جمال النفس والحدس, هو جلال الروح المبدعة المحلقة في عوالم الخيال والأطياف , إنه الفن الذي يكتشف عمق الإنسان وماهيته".
ـ هذه العبارة رغم صدقها, إلا أن هناك أدلة قوية تبطلها.
4ـ:"إن الإبداع لا تشكله الغريزة ولا تكتبه الفطرة, إنه الجهد والعناء المتصل بالإرادة والملتحم بالعقل".
ـ مهما بدت هذه العبارة غير سليمة, إلا أن الإبداع في العلم والتقنية والهندسة وغيرها قد ثبت صدق هذه الأطروحة.
5ـ قال تعالى في محكم تنزيله: {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ} (6) سورة النحل
ـ الله تبارك وتعالى جميل يحب الجمال, أودعه في خلقه ومخلوقاته, بالرجوع إلى علم الجمال ومدارسه بين قيمة الجمال وعظمته وسبل إدراكه.
6ـ الوضعية:"في العرس وفي قرية من قرانا تزينت النساء بثياب سندس وإستبرق, وحلوا أساور من ذهب وفضة ولباسهم حرير".
تتبع الجمال في وطن الجمال الجزائر, وتبين عمقه وشدته في عفويته وبساطته التي تأسر القلوب وتأخذ بالألباب.

الإشكالية: الفن والتصوف بين النسبي والمطلق

المشكلة: التصوف بين النسبي والمطلق.

تمهيد : تعارف المغاربة على ثوابت وأصول عامة يتقيد بها المتعلم الذي شرع في تحصيل العلم الشرعي نتذكر ونحن في الصغر كيف نردد في المحضرة القرآنية متن ابن عاشر وهذا البيت الجميل الذي كنا نتغنى به ونحفظه.

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك

سنعرض في هذه المشكلة التصوف كتجربة إنسانية عامة ونقف عند المسلمين وحكمة الزهد التي لم يذمها أحد ثم نشأة التصوف الإسلامي كمشروع روحي منتظم ومنضبط بقواعد الشريعة , مع ذكر جهد الإمام الجنيد ثم الغزو الفكري الذي جاء أيام الفتح الإسلامي ودخول قوميات وأجناس مثقلة متنوعة الملل والنحل , هذا أحدث ثقافة وافدة كان لها ذلك الأثر السلبي القاتل الذي ساهم في وجود الطرق المنحرفة الخارجة عن منهج السلف كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وتجلى ذلك عند المتصوفة المتفلسفة كابن عربي وغيره والأمة الإسلامية تجني الآن حصاده المر متمثلا في الخرافة والوهم ومسالك الهذيان في الفكر والسلوك.

I نشأة التصوف وتطوره في الفكر الإنساني :

الوضعية: " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قال:" من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب, وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من ما افترضت عليه, وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه, فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصره به, ويده التي يبطش بها, ورجله التي يمشي بها, وإن سألني أعطيته, ولان استعاذ ني لأعيذه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن, يكره الموت, وأنا أكره مساءته". رواه البخاري.

التفسير: قال ابن القيم الجوزية :" التصوف مذهب معروف يزيد على الزهد, ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد, وقد ذموا التصوف على ما سيأتي ذكره, وصنف لهم عبد كريم بن هوازن القشيري كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء والبقاء والقبض والبسط والوقت والحال والوجد والوجود.. إلى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء ..".

ماهية التصوف: بين القشيري أنه لا تعريف له وما ذكر يحمل على الصفات فقط ومن تعريف المتصوفة له :" الصوفي هو الذي صفا من الكدر, وامتلأ من الفكر وانقطع إلى على البشر, و إستوى عنده الذهب والمدر, والحرير والبر". وقالوا كذلك:" إن الصوفي من لبس الصوف على الصفا, وأطعم الهوى ذوق الجفا, وكانت الدنيا منه على القفا, وسلك منهاج المصطفى".

. والكلام الجامع المانع في بيان التصوف لخصه ابن خلدون في قوله :" بَدَأَ حُرْقَةً وَانْتَهَى خِرْقَة." بهذا المعنى تكون بدايته زهدا ونهايته خرافة ووهما وغلطا عظيما.

قال علي سامي النشار:" أنا لا أنكر أن التصوف . في دوره الفلسفي . أخذ يتلمس آرائه ونظرياته من مختلف الثقافات مسيحية ويهودية و غنوصية . ديانة مسيحية . بقي الاثنين إسلاميين . الزهد والتصوف . وفي مرحلة التطور انقسم . كما قلت . إلى قسمين قسم مسلم بحت, وقسم فلسفي ابتعد عن الإسلام." و بعد

تحليل وذكر التصوف الفلسفي يقول:" وأن لا أنكر أبدا وجود صلات بين الصوفية والشيعة من ناحية, ووجود صلات بين أنواع من التصوف وأنواع من التشيع".

نجد أن هناك التباس حاصل في اللفظ على عمومه والأقرب إلى البحث العلمي أنه مشتق من اللفظ اليوناني Sophisme, مع ضرورة التمييز بين التصوف الصادر عن الشريعة وهو لا خلاف في صدقه, على خلاف الممتزج بالديانات والفلسفات, الذي قاد إلى البدع والضلالات.

أولا: التصوف السني تجربة ذوقية إسلامية.

الوضعية: " أجمعت مصادر الفكر الإسلامي قديمها وحديثها أن عبد الله سعيد الثوري كان عالم الأمة وعابدها كما قال أبو نعيم, وقال فيه كذلك: "كان العلم حليفه والزهد أليفه نشأ سفيان في رحاب الكوفة فكان في زمانه محدث الأمة, ثم وصل إلى أوج الفقه وكان المفتي وأسس مذهبا فقهيا, إلا أن حياة الزهد منعته من نشره, ذكر عبد الله بن مبارك الزاهد فقال: (ما رأيت أفضل من سفيان ولا أرى سفيان مثل نفسه) واعتبره إبراهيم بن أدهم إمام الزهاد, توفي عام 161هـ عابدا عارفا".

التفسير: ظهر التصوف السني كثورة اجتماعية على الترف وحياة اللهو التي انتقلت من الحضارات اليونانية والفارسية والهندية, مع العلم أنه تم التصدي للفلسفات الزاحفة أخذت في احتلال عقول الضعاف, وظهر التصدي في انتشار حالة من الزهد تذكر بحياة النبي صلى الله عليه وسلم.

ـ الإسلام والتصوف: سئل الإمام الجنيد ـ رحمه الله ـ عن التصوف فقال :" الخروج عن كل خلق رديء, والدخول في كل خلق سني". وكذلك قال:" مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة." وطريقة الجنيد السالك ملخصها:" علمنا منوط بالكتاب والسنة, ومن لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به". هكذا يكون قد أسس صوفية العمل والجهاد, لا صوفية المحدثات, وقد

تدعم بأعلام الكتاب والسنة ممن سلك طريق الزهد وعرف الولاية التي نص عليها حديث البخاري يقول, الحسين النوري: " ومن رأيته يدعي حالته, لا يدل عليها دليل ولا يشهد لها حفظ ظاهر فأتهمه على دينه ." وقال الجر يري: " أمرنا هذا كله مجموع على فضل واحد, وهو أن تلزم قلبك المراقبة, ويكون العلم ظاهرك قائما, هؤلاء أعلام الصوفية اتفقوا على أن العلم هو الكتاب والسنة يقول أبي جعفر. رضي الله عنه . وهو من أعلامهم:" من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة, ولم يتهم خاطره, فلا تعده في ديوان الرجال".

ثانيا: التصوف و الفلسفات الوافدة.

الوضعية: " انتشر الرهبان والقسس في جزيرة العرب قبل الإسلام, فاعتنق الغساسنة وأهل نجران المسيحية, وعرف العرب الرهبانية, ومنهم من أخذ بالتصوف المسيحي ويظهر ذلك في شخص ورقة بن نوفل و ويذكر أهل السير قصة الراهب بحيرا وكيف تعرف على النبي صلى الله عليه وسلم في السيرة وكذلك تنصر عبيد الله بن جحش وكان على ملة الإسلام وأنه هاجر إلى الحبشة و ارتد وعاش فيها نصرانيا, مع وجود اليهود العرب وهؤلاء لهم مدارسهم الصوفية ".

التفسير: لرفع الغموض نقسم الصوفية إلى صنفين صوفية متفلسفة هؤلاء وجدوا قبل الإسلام وبعده مع وجود فارق وهو إحداث عملية تمويه وقراءة إسلامية لأفكارهم, وغرضهم إحداث القبول فقط, وصوفية الكتاب والسنة وهي ناصعة لا لبس ولا غموض فيها.

1ـ التصوف تراث مشترك بين الملل والنحل : قبل الإسلام وفي الحضارات القديمة كان للتجربة الصوفية أسماء فهناك التصوف اليهودي بمدارسه والرهبانية المسيحية بطوائفها والميراث اليوناني متجليا في نظرية أفلاطون في النفس الني أقامها على أسطورة عالم المثل,وكذلك الأفلاطونية الحديثة وتأسيس المدرسة الرواقية,ونجده واضحا جليا في الفلسفة الهندية وما

تعلق بها من وثنية قائمة على تشييد الأضرحة ونكتشف في ديانة بوذا ما يسمى بحالة النرفانا وهي الحركات الغريبة التي يأتيها البعض بدعوى الوجد,والأثر الأكثر جاء من الثقافات وديانات الفرس كالزرادشتية والمانوية ونجدها في مسالك الصوفية المتفلسفة كالتوسل بالأموات وبناء الأضرحة والقيام بالطقوس كالمسيرات والقربان وهو تقديم الزيارة,كلها ثقافة شركية مشتركة,ويتأسف ابن القيم الجوزية مما آلت إليه أحوال هؤلاء فيقول:"فمهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء المبرد,فأين جوع بشر ,وأين ورع سري,وأين جد الجنيد ؟ وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضي في التفكه بالحديث أو زيارة أبناء الدنيا".

2. تطور التصوف إلى الفناء والحلول والشطح: يروي ابن القيم الجوزية عن أحمد بن حنبل . رضي الله عنه . أنه سمع كلام الحارث المحاسب فقال لصاحب له: لا أرى لك أن تجالسهم, وعن سعيد بن عمر البرذعي قال: شهدت أبا زرعة وقد سأل عن الحارث المحاسب وكتبه, فقال للسائل: إياك وهذه الكتب, هذه الكتب كتب بدع وضلالات عليك بالأثر, فإن تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب.. قال: بلغكم أن مالك بن أنس وسفيان الثوري, و الأوزاعي, والأئمة المتقدمة, صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس.. ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع ."

هذه الآراء لها يبررها بالنظر إلى ما كتبه أئمتهم كالسهر وردي, وبن عربي والغزالي في مرحلة من حياته, قبل أن يرجع في آخر حياته إلى منهج السنة والجماعة, ذكر أهل التاريخ أنه في آخر حياته عكف على قراءة صحيح البخاري,وهذه الترهات ردت ورفضت فقد ذكر الهجويري في كتابه كشف المحجوب ص 257 :" وهذه ترهات أرباب اللسان في وقت عبادة العبارة."

II نظريات ومدارس التصوف :

الوضعية: " يصف الدكتور علي سامي النشار ابن عربي ناقدا قائلا:

إنه ليس رجل دين إطلاقا, ولا رجل زهد ولا تصوف, بل هو فيلسوف غنوصي . مذهب مسيحي رهباني . مُجَمِعٌ موفق منسق, نراه يقول:

كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه دان
لقد صار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

التفسير : لقد استعان بجمالية الأسلوب وقوة التعبير حتى يخفي أفكاره في هدم الشريعة, واعتقد بتوهمه وخياله أن فكر كهذا قد تنجذب إليه القلوب, وخاصة إذا كان الخطاب خطاب الحب والعشق الإلهي, وهذا يفسر انحراف فكره وكيف أنه جاء كصدى لثقافات دخيلة ولعل من أهمها نظرية وحدة الوجود وهي فلسفة هندية قديمة تعتقد أن الله والوجود واحد,فجمال الزهرة من جماله,وضياء الشمس من ضيائه,وهي تقود إلى فلسفة ونظرية الحلول التي تفضي حتما إلى الوثنية , وثنية الصنم المعبود والقبر المشهود.

أولا:الزهد من الشريعة ومقاصدها.

الوضعية: " لا يمكن أن نجمع في هذا الحيز زهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام بل نكتفي بهذه الشذرات من وصف الصحابي ابن مسعود . رضي الله عنه . لحملة القرآن الكريم:"ينبغي لحامل القرآن الكريم أن يعرف بليله,إذا كان الناس نائمون وبنهاره إذا الناس يفطرون,وبحزنه إذا الناس يفرحون,وببكائه إذا الناس يضحكون,وبصمته إذا الناس يخلطون,وبخشوعه إذا الناس يختالون,وينبغي لحامل القرآن الكريم أن يكون باكيا محزونا,حكيما,عليما سكيتا,ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيا,ولا غافلا,ولا صخابا,ولا حديدا ."

التفسير : لازم الزهد حملة القرآن قديما وحديثا, كان القراء معالم الزهد والإيمان يعرفوا في الجهاد بهذا النداء :" يا أصحاب القرآن زينوا القرآن بالفعل." ومن يطلع على ثورة التحرير المباركة يكتشف أن وقودها طلبة الزوايا, حملة

الفرقان, الذين يصدق عليهم قوله تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (23) سورة الأحزاب,فكانت ثورة الشهداء والأولياء وصفهم ربهم بقوله: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } (62) سورة يونس.

ـ كانت حياة النبي هي المنهل والعطاء,أنكر صلى الله عليه وسلم على الصحابيين الجليين عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو بن العاص صيام الدهر وتعذيب النفس,وقال موبخا الصحابي عكاف بن وداعة حين امتنع عن الزواج: "إن كنت من رهبان النصارى فألحق بهم,وإن كنت منا,فمن سنتنا النكاح ."

ثانيا: الإشراق والكشف ونظرية السهر وردي.

الوضعية: "عرف أصحاب التراجم السهروردي1155. 1191م قالوا:" هو شهاب الدين بن حبش جمع التصوف والفلسفة في طابع إسلامي عام ,مهد للدروشة والخروج عن المألوف والطبيعة,كان قذر الهيئة لا يغسل له ثوبا ولا جسما,ولا يقص شعرا ولا ظفرا,نقم عليه العامة والخاصة,لأحواله الغريبة,من أشهر مؤلفاته "حكمة الإشراق",أعدمه في حلب الملك الظاهر ابن صلاح الدين الأيوبي".

التفسير: حتى نفهم هذه الحالة نحتاج إلى مناهج متعددة تلقي الضوء على نظرية الإشراق, لابد أن نرصد حالة التخلف التي عايشها هؤلاء والتي تقترن بحالة الإحباط الناتجة عن التمزق الحاصل بوجود الفرق الضالة,وفي مقدمتها الباطنية,التي ساهمت في نشر الأوهام كتقديس الأضرحة والطواف حولها,والبحث عن القبور التي في تربتها الشفاء, وتحت سمائها يستجاب الدعاء,هذه السلوكيات المنحرفة عبرت عن قلة المعرفة والاندفاع مع الأفكار السطحية والبسيطة.

نظرية الإشراق:

الإشـراق فـي اللغـة الإضـاءة,نقول طلعـت الشـمس أضـاءت وفلسـفة الإشراق عند الفلاسفة تقابل الكشف الذي عرفه الجرجاني بقوله:"الإطلاع على ما وراء الحجاب من معاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا". وهو يتم إما بطريقة حدسية أو إلهامية,الحدس يعني قوة العقل في تحقيق النتائج دون مقدمات كأن نحسن معرفة دون تعلمها,و الإلهام في اعتقادهم العلم الذي يقع في القلب عن طريق الفيض,ويفسره الغزالي بأنه نور يقذفه الله في الصدر,أما نظرية السهر وردي فقد لخصها جميل صليبا في قاموسه الفلسفي كما يلي:"لا شيء أظهر من النور,ولاشيء أغنى منه عن التعريف,فالشيء في نظره ينقسم إلى نور وضوء في حقيقة نفسه أي في ذاته,وإلى ما ليس بنور وضوء في حقيقة نفسه,وهو الظلمة, فإن الظلمة عدم النور, أما النور في نفسه ولنفسه فيسمى بالنور المجرد, والنور المحض". هذه النظرية تأخذ لرد مسلماتها إلى الميراث الفارسي المجوسي, وثنائية النور والظلام, بالإضافة إلى الثقافات الأخرى وخاصة الهندية والمسيحية في صورتها الغنوصية.

ثالثا: فلسفة ابن عربي, و وحدة الوجود.

الوضعية: " ابن عربي 1165 . 1241م, وهو محي الدين بن علي بن عبد الله العربي, من أشهر المتصوفة المتفلسفة, عرف عند أتباعه بلقب الشيخ الأكبر, في بداية حياته تعرض لمرض, تغيرت حياته بعده, تحول إلى زاهد وانقطع للعبادة والخلوة, ترك الأندلس وذهب إلى تونس ثم بلاد فارس, ووضع كتابه الإسراء إلى مقام الأسرى, ثم تجول في العالم الإسلامي فزار القدس, ثم اتجه إلى مكة حاجا ولزم البيت الحرام, وكتب تاج الرسائل, وروح القدس, وشرع في تأليف الفتوحات المكية, ثم استقر في دمشق وتوفي فيها سنة 638 هـ تعرض للنقد الشديد من قبل الفقهاء والعلماء فوصفوه بالزندقة, والخروج عن أصول الشريعة".

التفسير: تكاد تجمع الدراسات العلمية الموضوعية أن فكر ابن عربي مزيج هائل من الثقافات والديانات, وأنه أخضعها لمنهجه, وحتى يوفق بينها اعتمد أسلوب الرمز, واشتغل بالمناهج الباطنية.

. يعتقد ابن عربي أن الله وجوده مطلق وهو يتجلى في الواقع في صوره المتعددة, ويعتقد بأن الله مصدر الوجود وخالقه, وأنه متفرد بالوحدانية, وأنه يخرج عن دائرة الإحساس وهو وما خلق شيء واحد, ويرى أن خلق الإنسان صادر عن إرادة الله, وهو خاضع لها بالضرورة, ويرى أن الإنسان العادي لا يصل إلى معرفة الله, ويستطيع المتصوف ذلك, لأنه ينظر لعين الله, ويحقق ذلك عن طريق المجاهدة والرياضة التي تؤدي لعملية الكشف, وينفي المعرفة عن العقل والشرح, لأن الصوفي يدرك بكشفه أن الله يضحى بسبب الحلول الله والعالم واحد, هكذا يكون هذا الإنسان روح الكون وسبب وجوده, وهذا يؤدي إلى نتيجة وهي: وجود وحدة شاملة تجمع الكون المخلوق والله, هذه الأفكار وغيرها لا تنضبط بمنطق أو شريعة, فهذه المعارف عنده يدركها الخاصة بقوة المشاهدة ثم يخوض في عالم الطلاسم والتعقيد, فيقدم سلسلة كشفية تعدد أسماؤها كالعرش والعقل الأول والحياة والروح الأعظم والقطب والقلم الأعلى, وهذا يتحقق في مطلق تام إلى درجة أننا لا نميز بين الوهم والحقيقة وبين الكذب والصدق و قد بدأت هذه الأفكار بداية, كحالة لا وعي عكست حالة التخلف الفكري والثقافي, ولم يفكر هؤلاء أن أفكارهم هذه قد حولت فئات اجتماعية إلى كائنات واهمة تعيش حالة هذيان مرضي, فهذه أضرحة تشد إليها الرحال وتزار, وهذه طلاسم وحكايات, وتلك خوارق تسمى كرامات, فهذا يتيه في الصحاري باحثا عن الخضر, وهذا يلازم الكتب الصفراء ويبحث عن الاسم الأعظم الذي تفتح له الأبواب, وهذا قطب وهذا وتد, وهذه حلق الذكر على طريقتهم, وهذا يهز كالثعبان, وتلك تقفز وتأتي المنكر ولا حرج ولا وجل, فهي تفعل ذلك لترضي سيد مغيب في قبره, ولله في خلقه شؤون.

## III السعادة الذوقية جدلية بين العرفان والإلهام :

الوضعية: في جامعة العلوم الإسلامية الأمير عبد القادر يجري هذا الحوار بين طالب وأستاذه.

الطالب: سيدي ما هذه الطرق والنحل التي ما أنزل الله بها من سلطان, لا في كتاب ولا في سنة ؟

الأستاذ: لا تستغرب إنها الخروج عن المنهاج المستقيم, والخوض في الفلسفات والديانات التي لا تغني ولا تسمن من جوع.

الطالب: إنها فتن كقطع الليل, لا يعلم أولها من آخرها.

الأستاذ: ألزم جماعة المسلمين, وقيد نفسك بشريعة المصطفى وابتعد عن البدع والضلالات.

الطالب: ماذا تقول في الكشف والإلهام والصمت والعزلة, وغيرها من هذه المفردات؟

الأستاذ: إن الإمام مالك لم يسكن مغارة ولم يلبس مرقعة, وإنما حفظ وتعلم وفقه.

الطالب: هذه المفردات قد توجد عند من يشار عليهم بالمعرفة والعلم, ومن لهم عند الناس حظوة وتقدير.

الأستاذ: إن تحصيل العلم يأتي بالفعل والعمل, ولا يمكن أن يأتي بالكذب والدجل, ومن أراد أن يستيقن فليقرأ سيرة العلماء والحكماء, إن الولي هو العالم وليس ذلك الشقي الذي يزرع في الناس الوهم والخيال.

التفسير: إن الخوض في هذه التناقضات, هو جهد ضائع عن أبي نجيح العرباض بين سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون, فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصني قال:" أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد, وأنه من يعش منكم فسيرى اختلاف كثيرا, فعليكم بسنتي,

وسنة الخلفاء الراشدين المهديين, عضوا عليها بالنواجذ, وإياكم ومحدثات الأمور, فإن كل محدثة بدعة, وكل بدعة ضلالة".قال الترمذي حديث حسن صحيح.

أولا: الإمام الغزال وفلسفة الزهد والعرفان.

الوضعية : الإمام الغزالي حجة الإسلام ومجدد المائة الخامسة 450 . 505 هـ

قال فيه العلماء:

قال الإمام الذهبي:" الشيخ الإمام البحر, حجة الإسلام وأعجوبة الزمان, زين الدين, أبو حامد صاحب التصنيف والذكاء المفرط".

قال الحافظ بن كثير:" برع في علوم كثير, وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة فكان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه".

قال إمام الحرمين :" الغزالي بحر مغدق".

قال ابن الجوزي : " صنف الكتب الحسان في الأصول والفروع, التي انفرد بحسن وضعها وترتيبها, وتحقيق الكلام فيها".

التفسير: الإمام الغزالي أثار جدلا واسعا قديما وحديثا, فهنالك من نقم عليه وشكك في عقيدته, ومنهم من نظر في اعتدال, فميز خطأه من صوابه, وهذا هو الراجح, يقول شيخ الإسلام فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد من أهل الإيمان بالله ورسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح.. فيغفر الله خطأه, أو يعذبه إن كان منه تفريط في إتباع الحق على قدر دينه, أما تكفير شخص عُلِمَ إيمانه بمجرد الغلط في ذلك فعظيم".

الإمام الغزالي والتصوف: يجد الباحث صعوبة في الوقوف على المصادر الحقيقية لفكر الإمام, لأن هناك كتب نسبت إليه منها كتاب "السر المكتوم" وكذلك "تحسين الظنون", وغيرها كثير, أما منهجه فقد وصفه الشيخ يوسف القرضاوي في كتابه الإمام الغزالي بين مادحيه و قادحيه:" إن الغزالي حين وقف في وجه الفلسفة الغازية لم يقف محاربا لها باعتباره سنيا أو أشعريا

أو شافعيا, بل باعتباره مسلم فقط يلخص الغزالي موقفه كما يلي:" علمت أن الصوفية هما السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوم الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق.. فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم, مقتبسة من نور مشكاة النبوة . على وجه الأرض . نور يستضاء به".

ثانيا: تجاوز العثرات والزلات وبناء موقف شرعي.

الوضعية:"سأل فرقد السبخي الحسن البصري . رضي الله عنه . عن شيء فأجابه فقال :إن الفقهاء يخالفونك, فقال الحسن رحمه الله ثكلتك أمك ..,وهل رأيت فقيها بعينك ؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا, الراغب في الآخرة البصير بدينه, المداوم على عبادة ربه, الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين, العفيف عن أموالهم, الناصح لجماعتهم".

التفسير: عرف ابن خلدون التصوف بقوله: أحد العلوم الشرعية الحادثة في الملة, وأصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخارف الدنيا وزينتها والإنفراد عن الخلق وهذه الصفات كانت عامة في الصحابة والسلف, ولما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وبعده, اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة".

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية:

لم ينكر طريقة الصوفية في أصلها بل أثنى على مشايخها الذين استقاموا على الطريق وعدهم من أهل السلف, وقد نقل في الاستقامة مقولة القشيري:" اعلموا أن شيوخ هذه الطائفة بنو قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد و صانوا بها عقائدهم عن البدع, ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد, ليس فيه تمثيل ولا تعطيل". علق شيخ الإسلام قائلا هذا كلام صحيح, فإن كلام أئمة المشايخ الذين لهم في الأمة لسان صدق, كانوا على ما كان عليه السلف وأهل السنة ." ولما تكلم القشيري عن الجنيد رحمه الله علق شيخ

الإسلام قائلا:" وهذا من أصول السنة, وأئمة المشايخ, خصوصا مشايخ الصوفية, فإن أصل طريقتهم الإرادة التي هي أساس العمل, فهم في الإرادات والعبادات والأعمال والأخلاق أعظم رسوخا منهم في المقالات والعلوم".

الرجوع إلى المشكلة وذكر الأهم .

الزهد أصيل في الفكر الإسلامي,ويعتبر رافد من روافده المعطاءة كان له وضع في حياة السلف و تعاقب في الأجيال كحكمة وطريقة حياة,ومع توسع الأمة وامتزاج الثقافات الوافدة ظهر في أشكال مختلفة,منها التصوف وهو لفظ عام لا يحده معنى أو مفهوم,فانتسب إليه كثير صالح وطالح,واختلفت زاوية الرؤية,البعض وجد فيه الإيمان والإحسان وتمثل بطريقة الجنيد السالك مسالك التقوى والعرفان,والآخر رصد الانحراف وسجله,فناصبه الكره والعداء,وغابت الدراسات العلمية الموضوعية,فظهرت الكتابات المشحونة بالانفعال,فظلم من ظلم ورفع من رفع بغير وجه حق,ووجدت الفرق الضالة فرصتها فشحنت الصوفية المنحرفة ببدعها ومنكراتها العظيمة كقولهم بهتانا وزورا أن الولاية تسبق النبوة ونصل إلى النتائج التالية:

1 . نشأة الفكر الصوفي في الثقافة الإسلامية نشأة خالصة.

2 . تسلل الآراء المدمرة كنظرية وحدة الوجود وغيرها في ثوب إسلامي مزيف.

3 . الرجوع إلى نظرية الزهد والاقتباس من حياة النبي وصحابته.

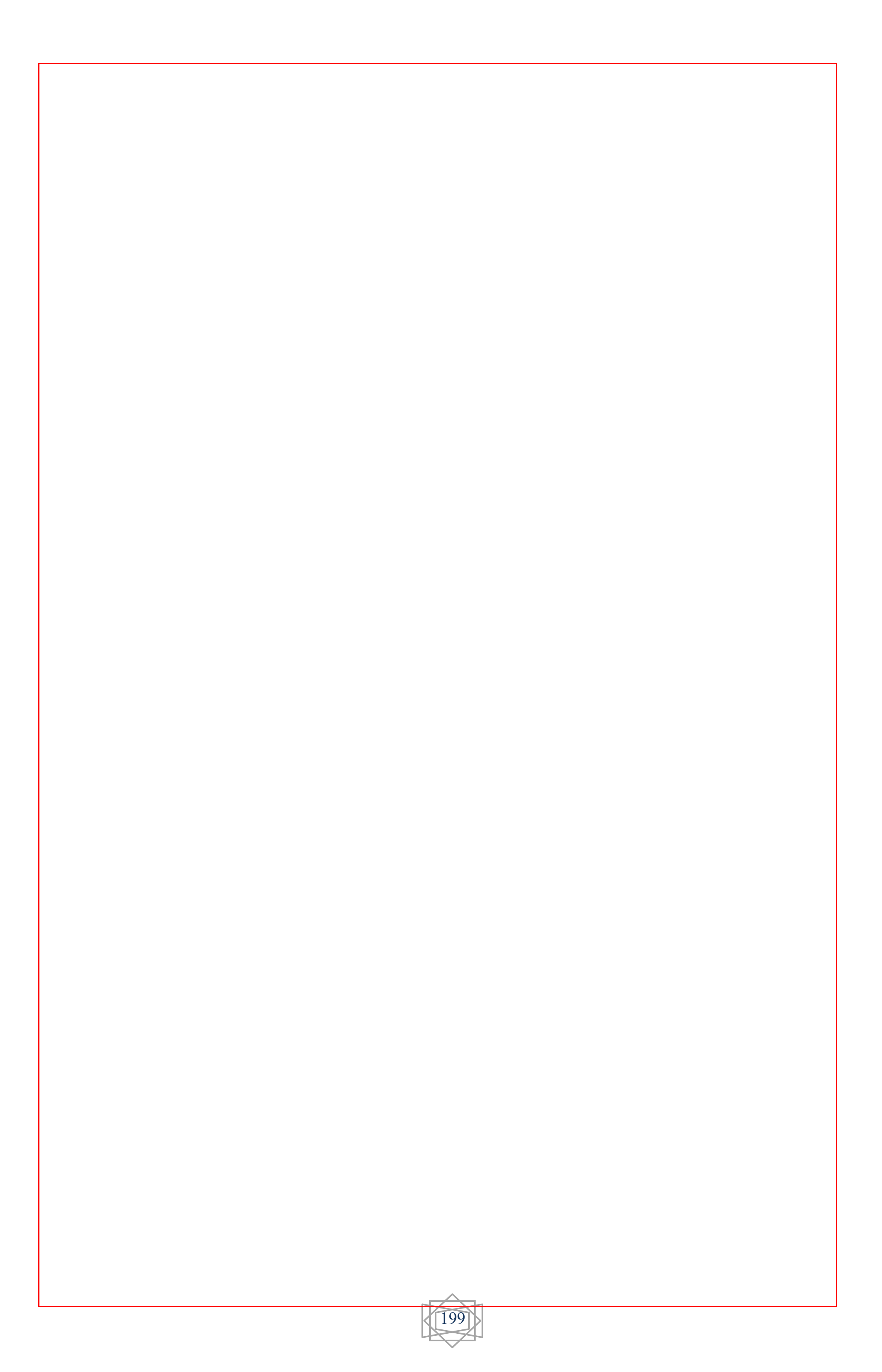
4. جهد الإمام الغزالي في تأسيس صوفية الكتاب والسنة رغم العثرات والزلات.

## النص

:"وَأَمَا الَكلاَمُ فِي الكَشْفِ وَ إِعْطَاءِ حَقَائِقِ العُلْوِيَاتِ, وَتَرْتِيبِ صُدُورِ الكَائِنَاتِ, فَأَكْثَرُ كَلاَمُهُمْ فِيهِ نَوْعٌ مِنَ المُتَشَابِهِ لَمَا أَنَهُ وُجْدَانِي عِنْدَهُمْ, وَفَاقِدُ الوِجْدَانِ عِنْدَهُمْ بِمَعْزَلٍ عَنْ أَذْوَاقِهِمْ فِيهِ, وَاللُغَاتُ لاَ تُعْطِي لَهُ دَلاَلَةٌ عَلَى مُرَادِهِمْ مِنْهُ لأَنَهَا لَمْ تُوضَعُ لِلْمُتَعَارِفِ الذِي أَكْثَرُهُ مِنَ المَحْسُوسَاتِ فَيَنْبَغِي أَنْ لاَ تَعْرَضُ لِكَلاَمِهِمْ فِي ذَلِكَ, وَنَتْرُكُهُ فِيمَا تَرَكْنَاهُ مِنَ المُتَشَابِهِ, وَمَنْ رَزَقَهُ الله فَهْمَ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الكَلِمَاتِ عَلَى وَجْهِ المُوَافِقِ لِظَاهِرِ الشريعة فأكرم بها من سعادة,وأما الألفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات ويؤاخذهم بها أهل الشرع,فأعلم أن الإنصاف في شأن القوم,أنهم أهل غيبة عن الحس,والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه,وصاحب الغيبة غير مخاطب,فمن علم منهم فضله حمل على القصد الجميل..

وسلف المتصوفة من أهل الرسالة أعلام الملة,لم يكن لهم حرص على الكشف الحجاب,ولا هذا النوع من الإدراك,إنما كان همهم الإتباع والإقتداء ما استطاعوا,ومن عرض عليه شيء من ذلك أعرض عنه,ولم يحفل به,بل يفرون منه,ويرون أنهمن العوائق والمحن,وأنه إدراك من إدراكات النفس مخلوق وحادث,وان الموجودات لا تنحصر في مدارك الإنسان,وعلم الله أوسع,وخلقه أكبر ,وشريعته بالهداية أملك,فلا ينطقون بشيء مما يدركون,بل حظروا الخوض في ذلك,ومنعوا من يكشف له الحجاب من أصحابهم من الخوض في ذلك,ومنعوا من يكشف له الحجاب من أصحابهم من الخوض فيه,والوقوف عنده,بل يلتزمون طريقتهم كما كانوا في عالم الحس قبل الكشف من الأتباع والإقتداء ,ويأمرون أصحابهم بالتزامها,وهكذا ينبغي أن يكون حال المريد".

ابن خلدون



ا

النص الأول

:"وأما الكلام في الكشف و إعطاء حقائق العلويات,وترتيب صدور الكائنات,فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه لما انه وجداني عندهم,وفاقد الوجدان عندهم بمعزل عن أذواقهم فيه,واللغات لا تعطي له دلالة على مرادهم منه,لأنها لم توضع للمتعارف الذي أكثره من المحسوسات,فينبغي أن لا تعرض لكلامهم في ذلك,ونتركه فيما تركناه من المتشابه,ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على وجه الموافق لظاهر الشريعة فأكرم بها من سعادة,وأما الألفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات ويؤاخذهم بها أهل الشرع,فأعلم أن الإنصاف في شأن القوم,أنهم أهل غيبة عن الحس,والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه,وصاحب الغيبة غير مخاطب,فمن علم منهم فضله حمل على القصد الجميل..

وسلف المتصوفة من أهل الرسالة أعلام الملة,لم يكن لهم حرص على الكشف الحجاب,ولا هذا النوع من الإدراك,إنما كان همهم الإتباع والإقتداء ما استطاعوا,ومن عرض عليه شيء من ذلك أعرض عنه,ولم يحفل به,بل يفرون منه,ويرون أنهمن العوائق والمحن,وأنه إدراك من إدراكات النفس مخلوق وحادث,وان الموجودات لا تنحصر في مدارك الإنسان,وعلم الله أوسع,وخلقه أكبر,وشريعته بالهداية أملك,فلا ينطقون بشيء مما يدركون,بل حظروا الخوض في ذلك,ومنعوا من يكشف له الحجاب من أصحابهم من الخوض في ذلك,ومنعوا من يكشف له الحجاب من أصحابهم من الخوض فيه,والوقوف عنده,بل يلتزمون طريقتهم كما كانوا في عالم الحس قبل الكشف من الأتباع والإقتداء,ويأمرون أصحابهم بالتزامها,وهكذا ينبغي أن يكون حال المريد".

ابن خلدون

## النص الثاني

:" وهنا افترق الناس على ثلاث فرق: مغضوب عليهم, وضالون, والذين أنعم الله عليهم.

مغضوب عليهم: يطعنون في عامة الأسباب المشروعة وغير المشروعة, ويقلون: الدعاء المشروع قد يؤثر وقد لا يؤثر, ويتصل بذلك الكلام في دلالة الآيات على تصديق الأنبياء.

والضالون: يتوهمون في كل ما يُتَخَيَلُ سببا, وإن كان يدخل في دين اليهود النصارى والمجوس وغيرهم.

والمتكايسون من المتفلسفة: يُحيلون ذلك على أمور فلكية, وقوى نفسانية,وأسباب طبيعية, يدورون حولها لا يعدلون عنها.

فأما المهتدون: فهم لا يُنكرون ما خلقه الله من القِوَى والطبائع في جميع الأجسام والأرواح, إذ الجميع خَلْقُ الله, لكنهم يؤمنون بما وراء ذلك من قدرة الله التي هو بها على كل شيء قدير. ومن أنه كل يوم في شأن. و من أن إجابته لعبده المؤمن خارجة عن قوة نفس العبد وتصرف جسمه وروحه و بأن الله يخرق العادات إظهار صدقهم ولإكرامهم بذلك, ونحو ذلك من حكمه.

وكذلك يخرقها لأوليائه تارة لتأييد دينه بذلك. وتارة تعجيلا لبعض ثوابهم في الدنيا, وتارة إنعاما عليهم بجلب نعمة أو دفع نقمة, أو لغير ذلك.

ويؤمنون بأن الله يرد كما أمرهم به من الأعمال الصالحة, والدعوات المشروعة إلى ما جعله في قوى الأجسام والأنفس. ولا يلتفتون إلى الأوهام التي دلت الأدلة العقلية أو الشرعية على فسادها, ولا يعملون بما حرمته الشريعة. وإن ظُنَ أن لها تأثيرا.

وبالجملة: فالعلم بأن ذا كان هو السبب, أو بعض السبب, أو شرط السبب في هذا الأمر الحادث قد يُعْلَمُ كثيرا, أوقد يُظَنُ كثيرا, وقد يُتَوَهَمُ كثيرا وَهْمًا ليس له مستند صحيح إلا ضَعُفَ العقل".

شيخ الإسلام ابن تيمية   اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم.

موضوعات للتحليل والمناقشة

1 - : "إن نظرية العرفان ووحدة الوجود عند محي الدين بن عربي هي تركيب وتأليف لمناهج وتيارات الفكر الصوفي الفلسفي ".

إن هذه الأطروحة مهما بدت سليمة إلا أن البحث الشرعي والعلمي الموضوعي يبطلها ويفندها, فما هي المبررات؟

2- هل تعتقد أن التصوف الإسلامي تجربة إنسانية.

3 - :"الزهد والعرفان سعادة العقل والوجدان".

- هذه المقولة صادقة تقبل الحجة والبرهان الشرعي والمنطقي.

4 - هل تجد في الكشف الصوفي بديلا عن مقاصد الشريعة الإسلامية.

5 - قال الإمام الغزالي:" اعلم إن سعادة الآدمي في معرفة الله تعالى وأن سعادة كل شيء في ما فيه لذته وراحته".

- تتبع الحياة الفكرية للإمام الغزالي والمراحل التي عرفها فكره وأبرز نظريته في الكشف الصوفي.

فهرس الموضوعات

الإهداء........................................................................3
المقدمة........................................................................4
إشكالية إدراك العالم الخارجي.....................................................5
في الإحساس والإدراك..........................................................5
في اللغة والفكر.................................................................19
في الشعور واللاشعور.........................................................32
في الذاكرة والخيال.............................................................42
في العادة والإرادة...............................................................53
إشكالية الأخلاق الموضوعية والنسبية.............................................65
في الأخلاق بين النسبي والمطلق..............................................65
في الحقوق والواجبات والعدل.................................................79
في العلاقات الأسرية والنظم الاقتصادية والسياسية..........................89
في الشخصية الجماعية والفردية وكرامة الإنسان.........................107
إشكالية فلسفة العلوم.................................................................115
في الحقيقة العلمية والحقيقة الفلسفية المطلقة...............................115
في الرياضيات والمطلقية.....................................................130
في العلوم التجريبية والعلوم البيولوجية.......................................142
في علوم الإنسان والعلوم المعيارية.........................................155
في الإبستيمولوجيا وقيمة العلم...............................................168
إشكالية الفن والتصوف بين النسبي والمطلق.......................................174
في الآثار الفنية والتجربة الذوقية............................................174
في التصوف بين النسبي والمطلق..........................................185
فهرس الموضوعات.................................................................197
المراجع..................................................................................198

ـ المراجع المعتمدة:
1 ـ محمود يعقوبي. الوجيز في الفلسفة. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. 1986
2 ـ د. جميل صليبا. المعجم الفلسفي. دار الكتاب اللبناني. 1982

3 ـ د. م. ع. أبو. ريان. تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام.دار النهضة العربية 1976
4 ـ الجرجاني. التعريفات تحقيق ع. ر. المرعشلي. دار النفائس بيروت. 2003
5 ـ إشكاليات فلسفية. حسين بن عبد السلام. الديوان الوطني 2007
6 ـ نصوص فلسفية مختارة. حسين بن عبد السلام. الديوان الوطني 2007
7 ـ معالم التحليل النفسي. س. فرويد. ترجمة. م. ع. نجاتي. الشروق بيروت 1982
8 ـ أحمد مؤمن. اللسانيات النشأة والتطور.ديوان المطبوعات الجامعية.2002
9 André Lalande vocabulaire technique et critique de la philosophie presses universitaires de France
10ـ الدكتور علي سامي النشار نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام دار المعارف الطبعة الثامنة.
11 ـ تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ترجمة الدكتور عبد الغفار مكاوي 1965 .
12 ـمحمد أركون تاريخية الفكر العربي الإسلامي ترجمة صالح هاشم مركز الإنماء القومي الطبعة الثانية 1996.
13 ـ جون لوك الحكومة المدنية ترجمة محمد شوقي الكيال مطابع شركة الإعلانات الشرقية.
14 ـ الدولة والسلطة في الإسلام بحث ألقي في الندوة العلمية الدولية في اليونسكو ديسمبر 1982م.